الإسلام

وإدارة الأزمات



بقلم:

الشيخ منصور الرفاعي عبيد

وكيل وزارة الأوقاف الأسبق

للمساجد وشئون القرآن



تصميم الغلاف: محمد عمار

الإسلام
وإدارة الأزمات

بقلم

الشيخ منصور الرفاعي عبيد

وكيل وزارة الأوقاف الأسبق

للمساجد وشئون القرآن

الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب : الإسلام وإدارة الأزمات
اسم المؤلف : الشيخ منصور الرفاعي عبيد
تصميم الغلاف : محمد عمار

الناشر
المكتب العربي للمعارف
26 شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس – مصر الجديدة – القاهرة
تليفون/ فاكس: 26423110–01283322273
بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى 2018

رقـــم الإيداع : 2017/19490
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978-977-812-198-8

إهداء

أهدي هذا العمل لوجه الله سبحانه وتعالى..

راجيا أن يشملني برحمته...

وأن يغفرلأبي وأمي ويرحمهما

كما ربياني صغيرا

منصور عبيد

المقدمة

الحمد لله خلق الإنسان، علمه البيان والأسماء. وأسجد له ملائكته- سجود تحية- وتقدير- واستخلفه في الأرض، ليبنى ويُعمر وينتج ويبتكر ويُبدع، مستلهما ذلك بعقله وفكره، مستعيناً بكتاب ربه، وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم...

والإنسان من يوم مولده حتى انتقاله للدار الآخرة: وهو يسعى ويكدح، وصدق الله العظيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ ﴾ الانشقاق: ٦، والإنسان معرض لإصابته بالأزمات الفردية أو الاجتماعية، وهو مُطالب بأن يشارك في حل الأزمات...

لهذا، وضعنا هذا الكتاب، ليكون بين يديك ــ أيها القاريء الكريم ــ كالدليل في حل الأزمات، وما يجب علينا أن نفعله...

ولقد استعنت بالله، وعليك أيها القاريء الكريم إن وجدت خيراً فانشره، وإن كان غير ذلك فاكتب إليَّ مُذ ليتم ملاحظة ذلك في الطبعات القادمة، ولك من الله الأجر، ومني الشكر، ومردداً قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوبي..

والله المستعان...

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

منصور الرفاعى عبيد

وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن

بين يدي الكتاب
إدارة الأزمات
في المنظور الإسلامى

الحمد لله رب العالمين. خلق الإنسان- علمه البيان- وعلمه الأسـماء. وأسجد له ملائكته- سجود تحية- وتقدير- واستخلفه فـي الأرض. ليبنـى. ويعمر ويتحرك في الأرض سعياً في طلب الرزق. وتحقيق الخيـر. وأمـره بعبادته ليكون المخلوق على صلة طيبة بخالقه ورازقه ومدبر أمره. سبحانه. سبح له الكون بأسره. لأن الكون يعرف مكونه ويعترف بقدرته. وقد نبهنـا ربنا سبحانه إلى ذلك في قوله "وإن من شيء إلا يسبح بحمـده. ولكـن لا تفقهون تسبيحهم"[1] ومع التسبيح لله. فالكون يسجد لخالقه. والمسيطر عليـه. يقول عالم الغيب والشهادة سبحانه "ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة- والملائكة وهم لا يستكبرون"[2] والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى الذى بعثه الله إلى الناس جميعاً فهو صلى الله عليه وسلم خـاتم الأنبياء والمرسلين. فلا نبى بعده ولا رسول. أيده الله بالمعجزات. كمـا أيـد الرسل السابقين بالعجزات من نفس ما نبغ فيه قوم هذلك الرسول، والمعجزة الكبرى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم. وعندما تقرأ القرآن تجد جمال اللفظ وعمق المعنى. مع دقة الصياغة. وروعة التعبير لأن أسلوبه يجرى على نسق بديع خارج عن أسلوب البشر. فالقرآن يصـلح لمخاطبـة

---

(1) سورة الإسراء 44
(2) سورة النحل 49
(3) سورة الأنعام 38
(4) سورة فصلت53

البشر كلهم على اختلاف ثقافتهم ومداركهم العقليـــة- مـــع تباعـــد أزمـــانهم وأوطانهم. ومع تطور العلوم والاستكشافات والتقدم الهائل. فإن القرآن ســـبق كل ذلك لأن الخالق العظيم منزل القرآن الكريم يقول "ما فرطنا في الكتـــاب من شئ"[1] ويقول سبحانه "سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبـــين لهم أنه الحق"[2] صلى الله وسلم على سيدنا محمـــد وعلـــى آلـــه وأصـــحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد....

فقد خلق الله الإنسان. واستخلفه في الأرض بعد أن زوده بطاقات إبداعية وأودع فيه العقل. وعلمه البيان. ومهد له الأرض ليمشى في جنباتها. ويتحرك في ربوعها. ينتج ويزرع يقول الله سبحانه "ويستخلفكم فـــى الأرض لينظـــر كيف تعملون"[3] ثم وجهه إلى العمل ونبهه إلى حسن استثمار الوقـــت فـــي أفضل الأعمال والإنتاج. وعدم الكسل أو التراخى فقال سبحانه "فإذا قضـــيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله. واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"[4]..

ولما كان الله سبحانه خلق الكون صالحاً للإنسان. بهوائه النقى. وأرضه الصالحة للإنتاج وليكون ملائماً لكل فرد ليعيش الإنسان في الكون بما فيه من هواء وذرّات. لا تضر. لأن الله بقدرته نقاه له حتـــى لا يصـــاب بـــأمراض تقعده. وتعطله. وتمنعه عن أداء وظيفته الإجتماعيـــة. كـــى يرقـــى بنفســـه وبمجتمعه ويتزاوج وينجب. كى تستمر الحياة في سيرها الطبيعـــى إلـــى أن

---

(1) سورة الأعراف 129

(2) سورة الجمعة10

(3) سورة الأعراف56

يشاء الله. ثم أمره أن لا يفسد في الأرض. فلا يلوث الماء. ولا الهــواء. ولا يحفر الحفر وينشئ المطبات التى من شأنها أن تعوق مسيرة الحياة الهادئــة الآمنة. فقال سبحانه "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"(1) وكررها مــن باب التأكيد والغرض من ذلك حماية البيئة كى تبقى على صلاحها. ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول والتبرز فــي المــاء الجــارى أو الراكد أو الظل أو الطريق العام وعدم رمى النفايات في الشــوارع. حفاظــاً على الغير حتى لا يتأذى ويصاب بأمراض بسبب التلوث البيئي، والإفساد في الأرض ويكون من وراء ذلك توالد الحشرات والجراثيم والبعوض والذباب، وكل ذلك يضر بالإنسان، كذلك فإن الإسلام شدَدَّ على عزل المريض بمرض مُعدِ. حفاظاً على الآخرين. والعقل في الإنسان له أهمية كبرى لأن به يفكــر الإنسان. ويهتدى بفكره. إلى التقدم والرقى والعيشة الآمنة في جــو يحقــق السعادة والهناء. ويسعد من حوله بالأمن والاستقرار. ولكى يكــون تفكيرنــا سليما راشداً محققاً لما نتمناه، نهانا عن كل مسكر أو مفتــر أو مخــدر. لأن العقل مناط التكليف. وموطن التفكير. ولذلك كان الدخول إلى حظيرة الــدين عن طريق العقل السليم. وممارسة شعائر الدين عن طريق العقــل الراشــد. وكانت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم في دعوته. القرآن الكريم- كتــاب يخاطب العقل. ويحرك المشاعر ويؤصل القيم الأخلاقية النبيلة الرفيعة ولهذا قال الله سبحانه "الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعــــر منــه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكــر الله"(2). ويقــول

---

1) سورة الزمر23
(2) سورة الرعد3
(3) سورة الأعراف184
(4) سورة آل عمران 190

سبحانه "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[1] ويقول "أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة"[2]. ويقول "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب"[3].

إن الله سبحانه من فضله ورحمته وكرمه. ما كان ليذر الناس- وهو خالقهم تعترض حياتهم المشاكل والأزمات- والكوارث والصراعات دون أن يبين لهم أسلوب الحلول عن طريقين.

الأول: القرآن الكريم.

الثانى: السنة النبوية.

وهذا البحث الذى نطرحه- عن أساليب حل الأزمات. في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية- نحاول إن شاء الله سبحانه- وبعونه. عرض بعض الأزمات ونحاول فيه الإجابة كيف تكون إدارة الأزمة- وأسلوب حلها. مستلهمين القواعد الإسلامية. لبيان أن المسلم الذى يعيش مع ربه ويتفهم السيرة النبوية يجد الأمن النفسى. والسلام الإجتماعي والمساعدة والمعاونة من الله الخالق القادر الذى يعلم كل شئ. ونفوض الأمر إليه لأنه هو القائل "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم"[4] إن الأزمة. وإن كان ظاهرها مشكلة تحتاج إلى فن وإدارة للسيطرة عليها وتقليل خسائرها وتخفيض مستوى تأثيرها. على الفرد- أو الأسرة والبيئة. أو المجتمع بأسره فإنها تحتاج إلى عقل فاهم ورأى راشد. وعزيمة قوية وتعاون مع الجميع وإذا كانت الأزمة لها تأثير - يشتد- أو يضعف.

---

(5) سورة الحديد22

حسب وقعها. فإن الأمر يستدعى سلوكاً يتناسب مع وقعهـــا. قبـــل الحـــل- وأثناءه- وبعده. حتى لا يفقد الإنسان توازنه ولا يستطيع السيطرة على نفسه. لهذا فإن التماسك والإتزان من أهم عوامل الحل والتغلب على الأزمة مهمـــا كان وقعها- لأن الشعور السلبى يزيد حدة الأزمـــة- ولهـــذا فـــإن الموقـــف يستدعى قوة إرادة وسيطرة على النفس. مع شحن نفوس المساعدين بالأمـــل العاجل. لأن من انتصر على نفسه كان على غيره أقدر. وعلى كل شئ لـــه كفاءة ويكون عنده حسن إدارة، إن عوامل ازدياد الأزمات ناتج عن الفشـــل والخيبة في عدم الثقة بالله. وفى عدم القدرة على التعامل معها، وهنا ينـــذر الأمر بعواقب وخيمة- لأنه لما كانت الأزمة غير متوقعة. فإذا أهملت فإنهـــا قد تتسبب في انهيار المؤسسات الاجتماعية. والعلاقـــات الاجتماعيـــة وقـــد تفرض الأزمة تغييراً في المواقع ونمطا فى العلاقات مما يجعل الأمر معقداً. لذلك فإن الأمر يتطلب المشورة من أصحاب الرأى وذوى الخبرة. حتى نقلل من حجم الضرر الذى يمكن أن يمس الأفراد. أو يشوه الصورة العامـــة لأى مؤسسة حدثت الأزمة فيها أو يوسع الهوية.

كما يجب أن يراعى "التحليل الإعلامى" مستوى التغطيـــة الإعلاميـــة- وعدم تسخين الجماهير أو شد أعصابهم وإنما يراعى تهدئة الروح المعنويـــة وتقليل حجم الخسائر. وعدم التهويل. وذلك وفق معايير مهنية وأخلاقية تعكس روح التفاؤل والإيجابية والتفاعل في أسلوب الحل. وكل ذلك وفـــق المـــنهج الإسلامى- الذى سوف نتعرض له.

وتشير الإحصائيات إلى العديد من ملايين الكوارث للأزمات التى وقعت على الأرض في مختلف بقاعها ومختلف أزماتها. وتسببت قي خسائر لحقت بالبشرية. حيث نتج عن الأزمات التى أصابت المجتمعات سواء كان فى فقد

الأرواح. أو ضياع الممتلكات أو انهيار المبــانى ذات الطوابــق المتعــددة، وترتب على ذلك. تشريد المواطنين. وانتشار الأمراض.

ولهذا، فإن العالم ينظر إلى الإسلام على أنه الملاذ الأخير ليقدم روشتة العلاج للعالم المضطرب الخائف المنزعج الذي يشعر بأن أمنه في الإســلام ونظمه، لأن عقلاء الغرب والمصلحين يذيعون بين أفراد قومهم ومجتمعاتهم قولهم: "لو كان محمد بن عبدالله حياً وبيده كتابه لقاد سفينة المجتمع الإنساني إلى شاطئ الأمان وبر النجاة والأمن والاستقرار".

وعلى ذلك نبدأ الكتاب، إن شاء الله، بتعريف للأزمة والله الموفق- وبه نستعين.

منصور الرفاعى عبيد

وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن

الأزمة

هى الشدة- أو الأمر الصعب- التى تفاجئ الإنسان- فهى مرحلة مـــن مراحل الصراع الإجتماعى يبدأ مــن داخــل الــنفس البشــرية- وانتهــاء بالصراعات الدولية- والصراع النفسى داخل النفس حقيقة- لأنه غريزة فــي أغوار النفس البشرية- وهو حقيقة من حقائق الحياة- لذا علينا أن نتعلم كيفية التعايش معها حتى نلقى الله- ولذا أشار الحق سبحانه إلى ذلك فــي القــرآن الكريم- فى قوله سبحانه "لقد خلقنا الإنسان في كبد"[(1)] والكبد هــو المشــقة والمعاناة والتعامل مع الأزمات ومواجهة الصراعات وقول الله ســبحانه "إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس"[(2)] وقوله سبحانه "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين"[(3)] إلى غير ذلــك مــن الآيات التي تبين أن الأزمات والكوارث التي قد تصيب الإنسان. ولهذا نعرفها تعريفاً يتفق مع منهج الإسلام- نقول- بأن ذلك بلاء من الله يختبر به إيمــان المؤمنين. وهو سبحانه يلطف بهم وهو اللطيف الخبير. وأن مراحل الصراع يبدأ من نفس الإنسان- فيكون الصراع النفسى الذى يفقد به الإنسان أحيانــاً توازنه عند ذروة احتدامه- وقد يكون الصراع بين الإنسان وأخيه الإنســان- أو بين بعض المؤسسات الاجتماعية- أو بين الدولة وغيرها من الدول- وقد يكون الصراع للتكالب على المادة المالية- أو الوظيفية إلى غير ذلك- وقــد

---

(1) سورة البلد4
(2) سورة آل عمران 140
(3) سورة العنكبوت 2،3
(4) سورة البقرة 216

يكون الإنسان غير مهيأ- فعلى قدر إيمانه- وحسن ثقته في ربه- وظنه به- فيصبر ويحتسب، ولكنه بأخذ في الأسباب لتخفيف وقع الأزمة، ولـــذلك قــد تنقلب المحنة منحة وإلى هذا أشار الحق سبحانه وتعالى "وعسى أن تكرهــوا شيئاً وهو خير لكم. وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلــم وأنــتم لا تعلمون"[1] إن مفهوم الأزمة من المفاهيم القديمة الواسعة الإنتشار- فهى جزء من واقع الحياة وتعنى الشدة والضيق وقلة الموارد، ولكــن التغلــب عليهــا بالصبر والأخذ في الأسباب لتعويض من أصابته الكارثة.

يقول الباحثون في هذا الميدان- الأزمة حالة توتر ولحظة تحول في حياة البشر فيتطلب الأمر تقبلها والإستعداد لها. والإستعانة بأهل الخبرة فى حلهــا وعند اتخاذ القرارات التى ينتج عنها مواقف معينة وبسرعة- ســواء أكــان القرار إيجابياً أو سلبياً- المهم سرعة التصرف ويقول آخرون بأنها- حالــة غير عادية تخرج الإنسان عن نطاق التحكم فى أعصابه والســيطرة علــى نفسه- وعلى من حوله- وقد تؤدى إلى توقف دولاب العمل أو هبوط الإنتاج إلى درجة تؤثر في التنمية الإقتصادية.

أو انهيار المبانى وانقلاب قطار أو سقوط طائرة ويحتاج الأمر إلى فترة تعمل الأيدى على إنقاذ البشر وفرق تسعف طبياً وأخرى فنية لحسر الخسائر وأخرى لتنمية الموارد.

مفاهيم متشابهة

الأزمة- المشكلة- الكارثة- الحادث- النكبة

يرتبط مصطلح الأزمة تاريخياً- بالطب- لأن المرض يفاجئ المريض في لحظة يكون مصيره بين الحياة والموت، وتحمل اللحظات تغييراً جوهرياً ومفاجئاً وتستدعى قراراً حاسماً- ويكون عنصر الوقت أساسياً في فاعلية القرار- وكثيراً ما كان يصاب القلب بالهبوط المفاجئ عند حدوث الأزمة ولذا أطلقوا على مرضه- بأزمة قلبية في حين لا يطلق هذا اللفظ على أمراض أشد خطورة منه...

المشكلة

تعبر عن الباعث الرئيسى الذى يسبب حالة ما من الحالات غير المرغوب فيها وتحتاج إلى جهد منظم للتعامل معها. وهى أخف وطأة من غيرها.

الكارثة

الكارث هو الأمر المسبب للغم الشديد. وهى أشبه بالأزمة- لأن الكارثة تعبر عن حالات مدمرة وقد ينجم عنها- إتلاف للماديات أو موت بعض الأشخاص فى حالة مفاجئة يترتب على ذلك آثار تحتاج إلى صبر وهدوء.

النكبة

حدث يهز المشاعر لكن أقل من الكارثة- وعندما تحدث النكبة تخلف تعباً وإرهاقاً على الإنسان- وعلى حسب النكبة يكون التعب النفسى. وعلاجها سهل ميسور.

الأزمة

لما كان حديثنا عن الأزمة فعلينا أن نفسح لها مجـــالاً واســـعاً ونبـــين خصائصها. ومنها:

1) عند حدوثها تسود حالة من الخوف والهلع قد تصل إلى حد الرعـــب والتوتر الشديد والهرج والتخبط.

2) المفاجأة– فهى تفاجئ الإنسان ويكون غير مستعد لها. وقـــد تكـــون عنيفة فتسبب الإرتباك.

3) عدم الفسحة في الوقت لرسم خطة التدخل السريع في الحلول حيـــث يصاب الإنسان بشلل فكرى يصاب به الفرد جراء المفاجأة التـــى لـــم تكـــن متوقعة.

4) نقص المعلومات عن الحل– وقد يسود جو من الريبة بين المتعاملين لعدم وضوح الرؤية أمامهم.

5) اليأس الذى قد يسيطر على البعض لقلة حيلتهم. وعدم وضوح رؤية للحل في عقولهم حيث يتعارض الهدف والرؤى واختلاف الآراء وتتضاربها.

6) الإشاعات التى يطلقها بعض الناس عن الخسائر وقد تكون كذباً. لعدم الإستعداد للحل وقد يكون هذا إفتراء وتسرى بين الجمهور لقلة الوعى وعدم إدراك البعض المسئولية لخطورة الموقف– وظهور بعض الراغبين في النفع الذى يحصلون عليه. فمصائب قوم عند قوم فوائد – ويؤدى ذلك إلى ســـلبية البعض وعدم المعاونة منهم حيث يصابون بالإحباط وقد يصـــل ذلـــك إلـــى الإنهيار التام.

7) خلق جو من الارتباك. مع قصور في الحركة فيتسبب ذلك فى شلل بعض الأفكار وظهور صراع بين أصحاب المنـــافع وكـــان المفـــروض أن

يتكاتف الجميع ويتعاون لخلق جو مشحون بالدافع القوى مع تماسك النسيج الإجتماعى- وتبنى روح التعاون للبحث عن حلول واضحة يتحالف الكل تحت هذه المظلة لخلق جو ملئ بالأمل.

8)سوء إدارة الأزمة بسبب العشوائية في تلقى المعلومات. مع انتشار الشائعات الكاذبة وعدم القدرة على التعامل مع الأزمة لعدم التدريب وقلة الخبرة. مع الجو المشحون بالإحباط مع ظهور فئة تبحث عن أساليب الإبتزاز. وخلق جو مشحون بالكراهية ضد القيادات العاملة وهم مشغولون بالأداء.

9)وأهم من كل ذلك- البعد عن الله- وعدم الإلتزام بأوامره- وارتكاب المعاصى- وبسبب ذلك تحل الكوارث والأزمات- وإلى هذا أشار الحق سبحانه "أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم"[(1)] وفي قوله سبحانه "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيدا"[(2)] ثم إن معصية الله تؤدى إلى الكفر بنعمة الله ولذلك لم تشكره وهو المنعم علينا فى تحل بساحة المجتمعات المشاكل. وتستفحل الأزمات. ويصعب حلها إلا بالرجوع إلى الله والإقلاع عن معاصيه ولهذا قال الله سبحانه "وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"[(3)].

10) الظلم: ظلم العباد لبعضهم فينتشر الغش. وتكثر الخيانة. ويشاع التدليس. والغدر والخداع ثم ظلم الأب لأولاده والتفرقة بينهم في التعامل

(1) سورة آل عمران 165 **(2) سورة النساء 79**

وتفضيل الذكر على الأنثى وأكل حقوق العمات والخـالات. ظلـم الحـاكم للرعية. وعدم اهتمامه بالمصالح العامة. وإنما يبحث فيما يعود عليه وعلـى عشيرته وجماعته بالمنافع. ويضرب بمصالح الأمة عرض الحائط. ويهـرب المال إلى الخارج ويترك شعبه في بطالة. وضآلة الدخول. وغلق المصـانع وترك الزراعة لعدم وجود أدوات الإنتاج. وانتشار البطالة- وكثرة العنوسـة وبسبب ذلك تكون الأزمات وما يلحق بالناس من مصائب وكوارث. ولأنه لم يقم أحد يقول له- اتق الله واعدل، ولما لـم يـتم ذلـك أصـيبت الكيانـات الإجتماعية بالإنهيار وكثرت الحوادث التى أضعفت كيان الأمة. وأدى ذلـك إلى اضطراب المجتمع وانتشار الفساد والأمراض والتفلـت الأمنـى وعـم الخوف. وقد أدى ذلك إلى تفسخ المجتمع وقرب زواله. وهذا أمر محتوم لأن سنن الله جرت على ذلك وتحدث القرآن موضحاً مثل هذه المواقف ونقرأ في ذلك قصة سبأ في سورة سبأ- من الآية- 15- 22" ويقول سبحانه "هل يهلك إلا القوم الظالمون"[(1)] ويقول سبحانه "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهـى ظالمة إن أخذه أليم شديد"[(2)] ويقول سبحانه "وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين"[(3)] ويقول سبحانه "فكأين من قرية أهلكناها وهـى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصـر مشـيد"[(4)] إن هـلاك المجتمع يكون بسبب الفساد- وبالفتن التى تؤجج نار العداوات بين الناس. كما تكون بالأمراض التى تدمر الصحة وتقعد الناس عن الحركـة- وبـالحوادث المؤلمة المدمرة وتعجيل العقوبة بسبب انتشار الشذوذ الجنسى- وغياب العفة

---

(1) سورة النحل 112 **(2) سورة الأنعام 6**
(3) سورة هود 102 **(4) سورة الأنبياء 11**
(5) سورة الحج 45

والفضيلة. والتعامل بالربا وأكل أموال اليتامى. والغيبة والنميمة. والتراخى فى العمل وقلة الإنتاج لأن الظلم والفساد. وعدم العدل يسبب ذلك وأكثر وهنا ينعدم نمو المجتمع أو تقدمه.

ولهذا تمر الأزمة بمراحل لعل الناس يفيقون من غيبتهم وينتبهون من نومهم- ويتعرفون على الله في الرخاء ليلطف بهم عند الشدة. ولا يغفلون عن الواقع المعاش. عندئذ تكون الأزمة خفيفة في أول حدوثها لأنها:

1) خفيفة في مرحلة الميلاد- تذكر الناس بصاحب الأمر. ومدبر الكون وكأنها تقول لهم تنبهوا فأنتم في خطأ فإن ازدادوا في الفساد ولم يرتدعوا تدخل الأزمة.

2) مرحلة النمو- تكبر شيئاً فشيئاً. وتبدأ تستفحل فإن تابوا وإلا.

3) تكون مرحلة النضج- الدمار الشامل والكامل والعام- ولا شك أن الناس سيفيقون ولكن بعد فوات الأوان فإن تابوا وندموا على تفريطهم- وعرفوا ربهم ورجعوا إليه واسترحموه واستغفروه فإن الأزمة تدخل.

4) فى مرحلة الإنحسار- تنحسر وتخف وطأتها ثم تختفى شيئاً فشيئاً وينشط الناس وقد جددوا العهد بربهم ولاذوا به واحتموا بحماه فيكشف الكرب عنهم ويذهب البؤس وتختفى آثار الأزمة وهنا يذكرنا ربنا بنعمه علينا فيقول "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[1] وعلى علماء الأمة وحكمائها وقادة العمل أن ينبهوا الناس إلى الإمتناع عن تبادل التهم- وأن تتنبه الإدارة لاتخاذ القرارات المدروسة بإتقان للعمل بجد لمحو آثار الأزمة مع بث روح الأمل والتفاؤل الحسن- والثقة في الله- مع قوة العزيمة للنهوض بالبناء والتعمير والعمل بجد ومهارة وإتقان لإزالة آثار الأزمة.

---

(1) سورة الرعد 11 **(2) سورة التوبة 105**

آثـــار الأزمـــة

لا شك أن الأزمة ستخلف وراءها سلبيات تؤدى إلى تصدع الأمة وأسوأ أيام حياتها. فإن نهضت الأمة وكان قادتها قدوة في ترشيد الإستهلاك- وقدوة فى العمل الجاد المتقن والسهر للتخطيط للعمل الجيد المتقن والإنتاج المتســم بالجودة، اجتازت الأمة فترة ما بعد الأزمة في وقت قليــل. خاصـــة وأن الله سبحانه لا يحابى أحداً. ولهذا نبهنا بقوله سبحانه "وقل اعملــوا فســيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"[1] ذلك لأن الأزمة لحظة حرجة ونقطة حاســمة وموقف صعب. لأنه سيتحدد بعد ذلك مصير الأمة، إما إلى الأفضل. وإمـــا إلى الدمار. وقد ترتب على الأزمة حدوث خلل مفاجئ في الأمور الإقتصادية والإجتماعية. وعلى هذا سوف يحدث خلل في نظام القيم الأخلاقية. والتقاليد الإجتماعية. وسريان جو يشعر فيه الفرد بحالة من الإحباط. لعدم توازن الفرد بين جو الإستقرار الذى ينشده والإضطراب الناشئ عن أزمة عــدم ســريان العدالة الإجتماعية. وجو الأمن العام المشحون بعدم الثقة.

كيف تُدار الأزمة

لا شك أن الأزمات منها ما هو ناتج من فعل الطبيعة- أو ناتج من فعل بشر

1)فالأزمات الطبيعية- مثل- العواصف- الزلازل- البراكين- السيول- الحرائق- انقلاب قطار أو سقوط طائرة أو غرق باخرة- إلى غير ذلك ممـــا لا دخل للإنسان فيه ومن الأدب مع الله أن ننسبها إلى الطبيعة مجازاً- لكـــن

المحرك لكل ذلك هو الله الذى قال لنا "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير"[1] وهذه الأزمة الطبيعية قد تكون نتيجة إهمال أو عدم الإهتمام أو السلبية في رعاية الموضوع. لكن ذلك غير محدد لفرد وغير معلوم للمؤسسة ولا حيلة لنا في هذا إلا باللجوء إلى الله. ندعوه خوفاً وطمعاً. ونتخذ الوسائل لتخفيف حدتها وتقليل خسائرها. ونبذل الجهد لإبعاد روح اليأس والشعور بالإحباط من بين الجماهير والدعوة إلى زيادة الإنتاج لسد العجز الإقتصادى الذى يحدثه الأثر المترتب على الأزمة.

2) أزمة بفعل البشر- وتكون بسبب شئ ما- مثل. إضراب العمال عن العمل للمطالبة بزيادة المرتب أو الخدمات التى تؤدى. وامتناع السائقين عن تسيير سياراتهم والقطارات فيتوقف دولاب العمل وتشل الحركة وتتعطل المصالح- ويتوقف العمل أيضاً بسبب المطالبة بتكوين نقابة- أو خفض ساعات العمل- أو المطالبة بإدخال مرافق معينة إلى بيئة معينة- وهكذا- كل هذا يتطلب حصافة من الإدارة التى لها صلة بهذا وتعمل بجد واجتهاد لتفهم ظروف وحالات المضربين والعمل على تلبية مطالبهم وحل مشاكلهم أو النظر فيها بعين الجد والإعتبار- أو يتحرك العقلاء الذين يحافظون على مؤسساتهم من عمل الذين يعملون على سحق مؤسساتهم وذلك بفض الإضراب على وعد بتحقيق المطلوب في جو هادئ بعيد عن التوتر الذى يسيطر على الجميع. مثلاً- إضراب المزارعين لعدم توافر أدوات الإنتاج- مثل المبيدات الحشرية (الأسمدة والتسويق وأنهم في إضرابهم سيتوقفون عن الزراعة- ولو صح ذلك سيصاب المجتمع بالإنهيار. هنا لابد أن يسرع

---

(1) سورة الحديد 22

المسئولون عن توفير ذلك حتى لو أدى الأمر دعمه من ميزانية الدولة التى قد تتأثر بذلك ولكنها تلجأ لأخف الضررين.

إنه لكى يكون الحل سليماً

1) النظر إلى الأزمة من عدة زوايا- مع الوضع في الإعتبار. حجم الأزمة- وأبعادها وما يترتب عليها من خسائر- مادية- أو معنوية- وتأثيرها على السياسة الداخلية والخارجية- وحجمها الإعلامى- ذلك لأن حل الأزمات فن وعلم- والسيطرة عليها يكون بتخطيط مدروس. ولكل مقام مقال. ولكل حدث رد فعل. والحذر من خلق جو يتم فيه الابتزاز لصالح فئة معينة- ولما كانت الأزمة سريعة ومفاجئة يتطلب الأمر سرعة محاصرة الأزمة. و تحليل المواقف بدقة. واستدعاء أهل الرأى والخبرة للتعاون في إيجاد الحل المناسب حفاظاً على أمن المجتمع. وسمعة المؤسسة مع استخدام المصادر الأكثر ملائمة ومصداقية وذات سلطة. وقدرة على اتخاذ قرار. على أن تكون الحقائق واضحة أمامهم- دون اختراق للسرية. والعمل على تخفيف الحدة وتقليل الآثار المترتبة على ذلك. ومع كل ذلك يكون هناك فريق لتجميع الأشخاص الذين كانوا متواجدين أثناء الحدث للإدلاء بمعلوماتهم والتى يترتب عليها حدوث ما حدث ويكون التخطيط للقضاء على آثارها. مع إعادة الإحساس بالسيطرة. ويتم كذلك إعداد فريق من الأخصائيين ذوى مصداقية فى العناية الصحية- ومن المختصين بالأمن ليقوم كل شخص بدوره المنوط به.

الإعـــلام والأزمـــة

لا شك أن الإعلام له دور كبير في توجيه الرأى العـــام. وفـــي حالـــة الأزمات. يتسابق الكل في ســـباق محمـــوم للحصـــول علـــى المعلومـــات. والمفروض أن يتم تقديمها للرأى العام بكل دقة ومصداقية- والإبتعـــاد عـــن التهويل- أو التشويش أو التهوين ولما كان لهذه الأخبار من أثر كبيـــر فـــي إدخال الرعب على الناس وإزعاجهم- فإن الأمر يتطلب.

1) قول الحقيقة- ولهذا أهمية كبرى في تقديم المعلومـــات. بصـــدق- وصراحة. وعدم تهييج المشاعر- وفى نفس الوقت- عدم التعمية في الأخبار لأن ذلك يؤدى إلى فقد الثقة وانتشار الشائعات. وتكبير حجم الخســـائر. لأن الحقيقة الغائبة تخلق جواً أبشع من الأزمة. فالأمر يتطلب. إتاحـــة الفرصـــة لفريق عمل يكلف بجمع المعلومات بدقة ومهارة. ويفضل أن يكونـــوا مـــن أقارب الضحايا للاتصال بالإعلاميين. أو من العاملين بالمؤسسة وإبلاغهـــم بالأمر الواقع إما عن طريق الإتصال المباشر أو التليفـــونى والتعامـــل مـــع أسئلتهم واستفساراتهم بصدق وإيجابية. مع إرســـال رســـائل ذات مصـــداقية لوكالات الأنباء تكون المعلومات واضحة. وعلى المتحدث عن المؤسسة إلى الإعلام. أن يصغى جيداً لأى سؤال. ويتحدث بلغة واضحة. وأن يعمل على وحدة الصف بتجنب ذكر الأسماء وعدم إلصاق التهم بأحد. وتـــرك الأمـــر للتحقيق وانتظار ما يسفر عنه.

مواجهـــة الأزمـــة

ــ تعريف الأزمة

الأزمة- الشئ الضيق الذي يصعب على الإنسان أن يسير فيه- ويطلق على كل طريق بين جبلين- وتعنى الشدة والقحط وعندما تنزل الأومة يصاب الناس بالتوتر. لأنها حالة غير عادية تخرج عن نطاق الـــتحكم والســـيطرة وتؤدى إلى توقف حركة العمل أو هبوطها إلى درجة غير معتادة. ويـــرتبط مصطلح الأزمة تاريخياً بالطب. لأنه عند سماع الأخبار غير السارة المفاجئة يصاب القلب بالهبوط. وتكون لحظة حرجة بين الحياة والموت وتحمل هـــذه اللحظة تغييراً مفاجئاً تستدعى قراراً حاسماً ويكون عنصر الوقت أساساً فـــي فاعلية القرار. ويقولون "أزمة قلبية" في حين لا يطلق هذا التعبير علـــى أى مرض حتى ولو كان أشد منه خطورة. وقد استعمل هذا اللفظ "الأزمة" فـــي الأحداث الخطيرة. والمشاكل المعقدة. والنكبات المتتالية...

ــ خصائص الأزمـــة

الأزمة لها خصائص تعرف بها أهمها:

1)تسود البيئة التى تقع بها حالة من الإضطراب والإرتبـــاك. بســـبب ضعف الحركة لإصابة البعض بشلل فكره.

2)ظهور جو من الصراع بين أصحاب المنافع. وطلاب الشهرة- بحيث يدعى البعض بأنه هو أول من أحس بالأزمة. وأنه. وأنه- ويدعى الكثير من المعلومات. قد يكون بشئ من التهويل وعدم المصداقية.

3)محاولة الإدلاء بالمعلومات على غير حقيقته. لأنه لم تتم الدراسة بعد. ويتم ذلك حباً في الظهور.

4)بسبب الإرتباك يكون الإضطراب في القرارات حيث يصعب التحكم في الموقف. مع نقص المعلومات وعدم وضوح الرؤيـة. ولهـذا يسـتحب التروى والتأنى وضبط النفس لمعرفة الحقيقة. وعدم التسرع فى اتخاذ القرار.

5) التداخل في الآراء بسبب التعدد. والعوامل. والعناصـر. والمؤيـد. والمعارض. وعدم السيطرة على الموقف لقلة المعلومات.

6)ومع ذلك فإن عنصر المفاجأة فى الأزمة خلق جواً متناقضـاً أحـس البعض فيه بالخوف والهلع.

7)قد تؤدى الأزمة إلى توقف دولاب العمل. وانهيار بعض المبانى. أو موت بعض العاملين. فيتطلب الأمر الإستعانة بأهـل الخبـرة ومـن لـديهم معلومات في الإنقاذ. أو إطفاء الحرائق وهكذا

ـــ الأزمة النفسية

بعض الناس يصابون بصراع نفسى حول شئ معـين. وتبـدأ الأزمـة النفسية من نقطة الصراع الداخلى في أعماق الشخص. وقد ينتقـد الإنسـان نفسه. ويشتد الصراع الداخلى. وهذا ما يسميه البعض بتأنيب الضمير. وقـد أشار الحق سبحانه إلى ذلك في قوله " "لا أقسم بيـوم القيامـة. ولا أقسـم بالنفس اللوامة"[1] هى النفس التى تلوم صاحبها. ويكون كالآتى– لِمَ فعلت ولِمَ تركت هذا؟ ولِمَ قلت كذا ولِمَ تقل كذا؟ وفي ذروة هذا الصراع قد يفقد الإنسان توازنه عند ذروة احتدام الصراع الدلخلى في أعماق الإنسان.

---

(1) سورة القيامة 114

ـ المؤسسات الاجتماعية

وقد يكون هناك أزمة بين بعض المؤسسات خلافاً على عمل ما واختلاف وجهات النظر. وقد يكون عند البعض قصور في النظر. واضطراب في التفكير فيكيد للمؤسسة الأخرى ويحاول أن يهدمها ويعمل على إيجاد شرخ فيها. لتكون مؤسسته هى الوحيدة.. وهذا خطأ في التصرف. وإجرام اجتماعى وحرام. فالمفروض أن تتعاون المؤسسات لعمل الخير والنهوض بالمجتمع- وأداء الواجب الإجتماعى مع التعاون على البر والتقوى. وتنميته الاجتماعية- والحفاظ على المال العام.

أو قد ينشب بين دولة وبعض الدول الأخرى أزمة. بسبب رأى إعلامى. أو تصريح غير مسئول. وهنا ينشط الإعلام ليشعل نار الفتنة ويؤجج المشاكل بين هذه الدول وكان الأولى بالإعلام أن يعمل على تهدئة الحال وخلق مناخ من الحب والتآلف والتعاون إلى غير ذلك مما يجب أن يتحلى به الإعلام من مد جسور المحبة والتسامح بين الأفراد. والمؤسسات والدول

ـ الأقارب

قد تحدث أزمة بين الأخ وأخيه. والولد وأبيه. والأقارب. وقد نبه الله العقلاء من الإنسانية وحكمائها إلى التدخل للصلح لأنه خير. وبسببه يتعاون الجميع على التنمية وإصلاح حال الجميع. وغلق باب الشر. وفي هذا يقول الله سبحانه "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما"[1]

---

(1) سورة النساء 114 **(2) سورة البقرة 153**

ـ هل ممكن تجنب الأزمة؟؟

نعم ولكى نتجنب حدوث الأزمات فإن الأمر يتطلب:

1) أداء حقوق الله– وأهمها إخراج الزكاة– وتحديد مكان فى المؤسسة لأداء الصلاة– ونشر روح التكافل الإجتماعى بين العاملين.

2) تدريب أفراد من ذوى المعايير المهنية. ويكون التدريب على حسب ما يعمل فيه المتدرب للتعامل مع الأزمة التى يتوقع حدوثها في المكان لأن أزمة في مصنع غير أزمة فى نقابة أو مستشفى خاصة وأن الإستشعار عن البعد. والوقاية من الجريمة أصبح ذلك من العلوم التى تدرس. فيتم تدريب الفريق على ذلك.

3) هذه الفئة تجدد معلوماتها كل فترة. وإعادة تدريبها على التعامل مع حريق– أو هزة أرضية أو تجمع في مظاهرة أوتصادم سيارات أو غرق سفينة أو خروج قطار عن مساره. أو غير ذلك من انهيار مبنى أو انفجار فى مواسير الصرف الصحى. وكما قلنا فإن لكل مقام مقال. ولكل فعل رد فعل حسب البيئة والمناخ العام.

4) أن يكون الجو العام تتجلى فيه الأخلاق النبيلة والجماهير عندها قيم أخلاقية قيمة. ومروءة– وشعور بالمسئولية وأن يكون لديهم القدرة على الاستفادة من الأحداث المماثلة. والتعلم من الدروس التى مرت عليهم ووقعت على الساحة أمامهم. وأخذ العبرة من أخطاء الآخرين والفشل الذى نزل ببعض الجهات دراسة ذلك بدقة.

5) السرعة في الحركة. والإيجابية في العمل والحكمة في اتخاذ القرار– والقدرة على الإنجاز في وقت قصير، وهذه وسائل ولكن مع هذا يجب:

6) أن نعتمد على الله- ونقدم بين يدى هذا العمل الصالح- مثل- الصدق في الكلام- الأمانة في التعامل- الصلاة- عدم التعامل بالربا- البعد عن شرب الخمر والمخدرات الصبر على تطاول الغير. الصدقة تدفع بها إلى الفقراء وغيرهم، إتقان العمل والأداء الجيد. وقد نبهنا ربنا إلى ذلك في قوله "يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة- إن الله مع الصابرين"[(1)] مع إعطاء العمال حقهم.

7) الدعاء لله في ذل وخشوع- تضرعاً وخفية- فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل.

8) الاستعانة بالناس الصالحين- الجادين- المعروف عنهم. الإيجابية في عمل الخير. والمسارعة لكل عمل يخدم الصالح العام وتقديمه على العمل الخاص والإشتراك في العمل التطوعى.

9) استشارة أهل الخبرة ومن لهم سابق عمل في هذا الميدان. والإعتراف بوجود أزمة.

10) العلاقة بالله تكون مستمرة- قبل الأزمة وبعدها حتى لا تكون ممن قال القائل فيهم:

صلى وصام لأمر كان ينظره لما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما

نمـوذج فريـد

من سنن الله في الكون إهلاك القرى الظالمة وتدميرها- فإن عادت إلى رشدها واتصلت بربها وحسنت صلتها بالله فإن الله يرفع عنها العذاب. ويفتح لها أبواب الخير. ويأتيها رزقها من كل مكان وإلى هذا أشار الحق سبحانه إلى حال أمة أخطأت. فأسرعت إلى التوبة وندمت على عصيانها فتغير حالها

يقول الله في بيان هذا "فلولا كانت قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين"[(1)].

ويلاحظ أنه لابد من الصبر والثبات والتفاؤل. والاستعانة بالله والتوكل عليه. والثقة في الله. مع الثقة فى النفس وبالفريق المعاون. مع الإبتكار في أساليب المكافحة. والتحلى بالشجاعة- وعدم التوتر. والقدرة على إيجاد حل سريع للمشاكل التى تتولد عند الأزمة- وهذا يذكرنا بالأزمات التى أحاطت بالأمة الإسلامية والمشاكل التى تفجرت فيها ويجعلنا نتساءل:

لماذا أصاب المسلمون هذا؟

هذا الوضع الراهن للحالة العامة في المجتمع الإسلامى. وهذه المشاكل العامة والخاصة في الداخل. قد انعكس آثار ذلك على العلاقات الدولية- الأمر الذى أوجد تكوينات سياسية- تفكر في تدخل عسكرى لعرض مخطط معين. فالأمر ينذر بخطر بسبب هذه الصراعات التى تؤدى إلى أزمات تدمر الشعب وتزيد من عنائه ويجعلنا نتساءل ألسنا بمسلمين. ونبينا صلى الله عليه وسلم واحد. وقبلتنا واحدة- ومنهجنا واحد. وشعائر ديننا واحدة. فلم هذا التطاحن. وهذه الصراعات- ولم يقتل الأخ أخاه- وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى "فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام- كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا؟ إلى يوم تلقون ربكم"[(2)]. وتأمل هذه الكلمات النبوية التى تبين حُرمة قتل أى إنسان وحرمة أكل أموال الناس أو

---

(1) سورة البقرة 153 **(2) سورة يونس98**

الإعتداء على أعراضهم. إن الإسلام الذى نؤمن به– لا يقر هذه الحالة أبـــداً ولا يرضى للناس أن يقتتلوا ويتشاجروا ويتخاصموا لأنه "لا يحل لمسلم أن يهجر– يخاصم– أخاه فوق ثلاث. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ صاحبه بالسلام" والرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن الله يعذب الذين يعذبون عباد الله في الدنيا"[1] ولنتأمل في وصـــية رســـول الله لجـــيش الذاهب إلى ميدان الحرب– يقول لهم "اغزوا باسم الله. في سبيل الله– قـــاتلوا من كفر بالله– أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا– ولا تقتلوا وليـــداً أو امـــرأة. ولا كبيرا فانيا. ولا منعزلا بصومعة"[2] إن الأخلاق النبيلـــة التـــى تحلى بها النبى صلى الله عليه وسلم في دفاعه لأعدائه الـــذين شـــنوا عليـــه الحرب فكان يصدهم لأنهم أعداء الدين والأخلاق النبيلة العالية– لأنه صـــلى الله عليه وسلم لم يحارب المسالمين وإنما حارب المعتدين, وكان دائمـــاً فـــى سلمه وحربه يتصف بالرحمة حتى مع أعدائه فقد كان النبى صلى الله عليـــه وسلم رحيماً بالطفل الصغير. والشيخ الكبير. والنساء والمرضى والضعفاء– وكان صلى الله عليه وسلم يوصى قادة جنده بتقوى الله. ومراقبة الله ليدفعـــه ذلك إلى الإلتزام بأخلاق الحروب وأهمها الرحمة في التعامل حتى في غياب الرقابة البشرية– ولهذا كان يُردد على مسامع الدنيا كلها "من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل حتى وإن كان المقتول كافرا"[3] هكذا يوضـــح رسول الله عليه وسلم الأمر ببساطة ويُسر. ولم يحاول أبداً أن ينـــتقم لنفســـه

---

(1) رواه البخارى **(2)، (3) رواه مسلم**

(4) رواه البخارى

فيسفك الدماء. وينتهك الأعراض. ويخرب الدور، ويثير الفزع- بل العفو من شيمته والإحسان إلى الناس كلهم من طبعه- والمروءة مع العدو والصديق- يعفو عمن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه. ويصل من قطعه فأين نحن من هذا السلوك. نحن أُمرنا أن نقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم. فتركنا ذلك. وضرب الأخ أخاه- لأن هذا فى حزب كذا وذاك في جماعة كذا انهارت الأخلاق وضاعت القيم وغاب الحق- وطمست الحقيقة وتساءل أعداء الإسلام- أهذا هو الإسلام؟ وأنا أقول- لا تظلموا الإسلام فالإسلام- دين محبة- دين تآلف- دين يحافظ على الدماء- وأعلن النبى صلى الله عليه وسلم أن المسلمين إذا التقيا- بسيفهما- أو بالرشاشات والمدافع- والخراطيش والمسدسات- والحجارة- والمليتوف والزجاجات الفارغة- فالقاتل والمقتول في النار- يعنى مفيش واحد شهيد- الكل في النار- لماذا؟ لأن كل واحد- كان حريصاً على قتل الآخر. إذا ماذا نسمى ما يجرى فى المجتمعات الإسلامية الآن؟

مسلمون بالاسم فقط

من يحمل السلاح على أخيه- ومن يحمل حجراً ليرميه على وجه أخيه- ومن يحمل خرطوشاً ليصيب أخاه بعاهة- في عينه- في أذنه- في بطنه- المهم أنه يحاول- أن يصيبه بأى إعاقة- هو مسلم بالإسم فقط. وليس بمسلم وغير صادق فى علاقته بربه "منافق". لأن المسلم يحرص على سلامة المجتمع- وأمن الناس. وعدم قطع الطريق على أحد- فقد سُئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم أى المسلمين أفضل؟ فقال من سلم النـــاس مـــن لســـانه ويده"[1]- إن هذه الدماء في رقبة وذمة من؟ فى رقبة الطامعين في المغـــانم- والساعين إلى انتهاز الفرص للوصول إلى القمة- فأين الإســـلام يـــا دعـــاة الإسلام- أسأتم- ولوثتم السمعة. وجعلتم الناس ينفرون من الإســـلام لأنهـــم اعتبروه- دين يحب سفك الدماء. وتمزيق صف الأمـــة. وتفريـــق الوحـــدة الإنسانية، والإسلام برئ من كل هذه المطامع وغيرها. لأن الإســـلام ديـــن الحب والتآلف والوحدة والأخوة ولهذا يقول رسول الإسلام صلى الله عليـــه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفســـه"[2] الإنســـان يمثـــل الإسلام بعمله. فإن خالف عمله منهج دينه فليس مـــن الإســـلام فـــي شـــئ. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول "ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فـــى القلب وصدقه العمل. وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا مـــن الـــدنيا ولا حسنة لهم. وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بـــالله لأحســـنوا العمل، إن الأزمات والمصائب التى حلت بالمجتمع الإسلامى نتيجة الجشـــع والغدر والخيانة. وشهادة الزور والفواحش ما ظهر منها وما بطن. وبهذا حل على المجتمع غضب من الله- وتلك سنته سبحانه في أتباع الأنبياء- ولهـــذا كان يبعث إليهم بالرسل يذكروهم- لكن الرسل ختموا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فليس بعده رسول- وختم الوحى بالقرآن الكريم فليس هناك كتاب ينزل يعده من عند الله- فالله يبعث بالنذر ليتذكر النـــاس جبـــار الســـموات والأرض وهو يغار من أن تؤتى محارمه- كما قال سبحانه: ولقد أخـــذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون"[3] ويقول سبحانه "فأرسلنا

---

(1)، (2) حديث متفق عليه

(1) سورة الأعراف 130   **(2) الأعراف 133**

عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصـــلات فاســـتكبروا وكانوا قوماً مجرمين"[1] ويقول سبحانه مبيناً لنا فئة حالها كحالـــة المجتمـــع الإسلامى اليوم "هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم فـــي الفلـــك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها- جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا مـــن هذه لتكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذ هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبـــئكم بما كنتم تعلمون"[2] دروس مستفادة للتخلص من الأزمات- لكـــن النـــاس لا يعقلون لماذا نقطع الطريق؟ لماذا نتطاحن؟- لماذا ننسى الله ونتعلق بالـــدرهم والدينار لماذا ننسى إخوتنا- فى الإنسانية العامة- وأخوة الوطن- وأعلى من كل ذلك أخوة الدين؟ لماذا ننسى العلاقات الإجتماعية المبنيـــة علـــى الحـــب والتعاون والإخاء؟ أسئلة يجب أن نجيب عليها لنصـــحح المســـار الحيـــاتى ونتعايش فى دنيانا سعداء. نشعر بالأمن وننعم بالهدوء والإستقرار. ونتجه إلى البناء والتعمير. والزراعة والإنتاج. والصناعة والتجارة. والإبتكار فى الأداء وحسن الأداء.

---

(3) سورة يونس 22، 23

نماذج من الأزمات
تعرض لها القرآن الكريم

أرسل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وقد ختم الله به الرسل- وأيده بالمعجزات كما أيد الرسل السابقين- ومعجزة سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم الكبرى هى القرآن الكريم لأن هذه المعجزة تلائم طبيعة الناس جميعاً من يوم نزول القرآن وإلى أن تقوم الساعة- لأن وجوه الإعجاز فيه تتعدد وجوهها- وتناسب البشرية في رقيها وتقــدمها. وتحــل مشـــاكل الإنسانية بصدق- وتوضح الرؤية أمامها. لتقوم الحجة على الناس وتبـــرهن على أنه من عند الله القادر العليم الخبير- ويظل القرآن بين يدى الإنســـانية شاهداً على ربانية الدين. وصدق مبلغه عليه الصلاة والسلام...

ومن فضل الله على العالم أن الله الذى أنزل القرآن هـــو الـــذى تـــولى حفظه- حتى لا يعبث به سفيه- ولا يزيد أو ينقص منه إنسان مشوش الفكر لا خلق عنده ولا أدب. فصان الله القرآن وحفظه. ويسر حفظه. وفهمه لمـــن يريد الخير لنفسه والسعادة- ولهذا يقول الله سبحانه "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[(1)] – فالقرآن على نسقه العجيب. ونظمه البديع عندما يستمع إليه الشخص فكأنما يستمع لهمس خاطره النقى ومن قرأ فيه كأنما يقرأ في طوية نفسه. فهو يستولى على مشاعر أى إنسان وأحاسيسه ويظل أسلوب القـــرآن سارياً على نسق عجيب- فيه السمو في جمال اللفظ. وعمق المعنى مع دقـــة الصياغة وروعة التعبير رغم عرضه لموضوعات مختلفة. فأسلوبه يجـــرى

على نسق بديع بعيد عن الأسلوب المعروف. من نظام كلام العـرب. وهـم أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء- وأعرف النـاس بأوجـه الشـعر- والنثـر- والأدب. ولقد صيغ أسلوب القرآن ليصلح لمخاطبة الناس كلهم على اختلاف ثقافاتهم- ومداركهم العقلية ومع تباعد أزمانهم وأوطانهم واختلاف لهجـاتهم ومع تطور العلوم والاستكشافات والتقدم التكنلجى فإن الله منزل القرآن يقول "ما فرطنا في الكتاب من شئ"[1] ولقد يسر الله آياته لكل من يريد- أياً كانت مهنته أو ثقافته فيقول سبحانه "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل مـن مـذكر"[2] وكررها حتى لا يشعر أحد بالعجز في فهم القرآن. فإن حال دون فهمه شـئ فيقول لك منزل القرآن سبحانه وتعالى "فاسـألوا أهـل الـذكر إن كنـتم لا تعلمون"[3]..

ومما لا شك فيه أن الأزمات والصراع موجود ذلك من أزمان بعيدة من الأيام الأولى لحياة الإنسان على الأرض. وكانت مهمة الأنبياء أن يعـالجوا الخلل الذى وقع في المجتمع ويديرون الأزمة إدارة إدارية متميزة متلائمة مع الواقع حيث إن الأزمة تحتاج إلى تصرف حاسم وسريع حتى لا تتفاقم الأزمة وتتأصل ويصعب حلها. فكان زمام المبادأة في يد قيادة فئة لديها قدرة علـى تفهم الأحداث. لذلك كان من الضرورى أن يكون قيادة الإدارة في يد أمينـة ترعى مصلحة الأمة وفق مقتضيات الأمور- والأنبياء هم لنا قدوة أمرنا الله أن نقتدى بهم فيقول سبحانه "أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده"[4] والكتـب التى أنزلها الله على الأنبياء فيها الهداية والنور ورسم الخطة لتوضيح الطرق

---

(1) سورة الحجر 9 **(2) سورة الأنعام38**
(3) سورة القمر17،22،32،40 **(4) سورة النحل43**
(1) سورة الأنعام90

وحل الصراعات وهذا القرآن العظيم الذى حل مشاكل المجتمع عند نزولـــه وأدار حل الأزمات بأسلوب ابتكارى وقضى على الصراعات وأزال الخلاف. ثم حول رعاة الغنم من أبناء الأمة العربية- إلى قادة أمم- وأصبحوا بفضـــل الله عليهم حكماء علماء. دانت لهم الدنيا وأصبح زمام الموقف فـــى أيـــديهم. فنشروا العدل وتعاملوا بالمساواة- وطبقوا نظام الشورى- فأسسوا حضـــارة وبنوا أمة على الأخلاق والقيم. فكانوا أمناء كرماء شرفاء يقدمون مصـــلحة المجتمع على مصالحهم- ويحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم. قدموا الكفاءات للعمل القيادى. وتعاملوا بذمة. وفي أيامنا هذه قال أحد الناس هو "برنردشـــو" وهو فيلسوف معاصر سُئل "أترى مشاكل العالم واختلاف أنواعها. هل هناك مصلحون يستطيعون- أن يعيدوا للمجتمع أمنه وسلامته؟ ويحلوا مشاكله قال نعم. قالوا له حددهم لنا- قال هو واحد فقط- أعظم العظمـــاء "محمـــد بـــن عبدالله" لو كان حياً "الآن- وبيده كتابه- لقاد سفينة المجتمع الإنســـانى إلـــى شاطئ الأمان. وبر النجاة" والفضل ما شهدت به الأعداء..

ماذا أصاب المسلمون؟

أصيبوا- بمشاكل وأزمات حيث ضاقت عليهم حياتهم- تأخـــروا عـــن غيرهـــم لأنهـــم أكلوا ما لا ينتجون- ولبسوا ما لا يصنعون- واستعملوا فيما لم فيه يفكرون. قلدوا غيرهم في التفاهات. وابتعدوا عـــن الجـــد والإجتهـــاد والإبتكار- وفر النابغون منهم من بلادهم إلى بلاد أوروبا فأسهموا في بنـــاء حضارتها. وفى غمرة الشهرة نسوا بلادهم وأوطانهم إلا القليل منهم. ولو أن الصقور المهاجرة عادت لبلادها لتغير الحال وأصبحت النكبة منحة. والأزمة عطاء وهذا ما نرجوا من الله أن يوفق هذه الصقور للعودة لبلادهم والإسهام

في بناء الأوطان. ويومها يختفى خفافيش الظلام الذين يفسدون فـــي الأرض ولا يصلحون. لأن البلهاء والبلطجية عندما يروا نور العلم ســـوف يفـــرون. ويختفون- إن المسلمين عندما أهملوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليـــه وسلم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وتاهوا عن القافلة. وهذه سنة الله في الكون وإلى هذا أشار الحق سبحانه "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشـــة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى- قال رب لم حشرتنى أعمـــى وقـــد كنـــت بصيراً- قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى"[1]

تحليل لنماذج من الأزمات

الأزمة فعل إنسانى- نتيجة تصرف خاطئ- يعود الخطأ على المجتمـــع وتكوينه، لهذا فإن نجاح إدارة الأزمة يتوقف إلى حد كبير عن المسئول الذى يقدر على تجميع المعلومات عن مثل هذه الأزمة- ويقوم بتحليل هذا وعرض النتائج على فريق التعامل مع الأزمة- والغرض الخروج من الأزمـــة بأقـــل الخسائر. مع درجة الإستعداد مع الاتصال بمتخذى القرار ليكون على استعداد لإصدار القرارات اللازمة للأزمة مع وضع تصور لتوابع الأزمة أو الكارثة- ودرجة قوتها. وموقعها. وتجميع البيانات عن الخســـائر. ووضـــع تصـــور للعلاج- والقيام بحملة توعية للقريبين من موقع الأزمة ورســـم خطـــة لهـــم واضحة بينة. مع توضيح المساعدات التى سوف تقدم. وعلينا أن نأخذ فـــي الأسباب التى تؤدى بنجاح إلى العلاج والخروج من الأزمة بأقل الخسائر وقد أرشدنا ربنا إلى ذلك في قوله "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتاً"[2]

---

(1) سورة طه 124- إلى 126

(2) سورة النساء 99

ويراعى المحلل أثر الأزمة على الجماهير. والمتعاملين مع المؤسسة أو العمارة التى انهـــارت- أو القطار الذى خرج عن القضبان- أو أزمة ثقة بين صديقين وتهدد هذه الأزمة بعدم استمرار صداقتهما وتؤثر على الشركة التى كونوها- أو أزمة الصراع الإجتماعى- الناتج من الصـــراع بـــين طبقـــات الشعب حيث يحتكر 15% من مجموع الشعب دخل الشعب ويمتلكون الأرض والعمارات والسيارات. ويتحكمون في إدارة حركة الحياة وحركة المعيشة لـــ 85% بلا رحمة ولا هوادة. كذلك الصراع الثقافى والقيمـــى لهـــدم صـــرح الأخلاق وإبادة العرف الإجتماعى. وطمس التقاليد الإجتماعية. كذلك الأزمة التى تنشأ من الصراع السياسى الناشئ من تعدد الأحزاب وكثرتها. والأساليب الملتوية للوصول إلى نظام الحكم مع عدم التأهيـــل لـــذلك وعـــدم التـــدريب السياسى والتثقيف الذهنى والاستعداد العقلى.

إن أزمة الصراع غالباً ما تكون نتيجة للتكالب علـــى الســـيطرة علـــى الموارد المادية- وهناك فرص متعددة في هذا المجال عندما تكـــون النظـــرة سطحية- أو مادية وهناك معنويات كثيرة ومتعددة- إذا نظرنا إلـــى الأزمـــة التى هى فعل إنسان فلا ننسى الأزمة التى ننسبها إلى الطبيعة تأدباً مـــع الله- مثل الزلازل- وهبوط الأرض والحرائق التى هى نتاج لرد فعل إنســـان- أو ناتجة عن الصواعق....

هنا يأتى دور صانع القرار- فلابد أن يكون معه فريـــق يعاونـــه- لأن الفريق الذى يتكون من عدة أفراد يختلف كل واحد عن الآخـــر. ويحيطـــون جميعاً بالأزمة دراسة تفصيلية من كل زواياها. حتى تكون على ما وصـــلت إلى ما هى عليه. وصانع القرار. لا يعيش في غرف مكيفـــة معـــزولاً عـــن الجماهير فهذا أكبر دليل على فشله: وأن قراره لا يلامس الواقع ولن يكـــون

من ورائه حل- لهذا عليه أن يعايش الناس ويحتك بالمتضررين يسمع مـــنهم ويحلل حتى تأتيه نتيجة بحث زملائه. مع ملاحظة أن الزمن لا يتوقف لـــذا فإن السرعة مطلوبة جداً، إن نجاح متخذى القرار لمهمته ونجاحه فـــي إدارة الأمور يتوقف على ترك هامش للظروف غير المتوقعة- طارئـــة أو بفعـــل إرادة يغيب عن الساحة من وراءها فتنسب إلى الله سبحانه. حيث فيها خيـــر عظيم ولطف كبير غير متوقع...

إن متخذى القرار عليهم أن يهتموا بجمع المعلومات من مصادر متعددة. وعليهم الدراسة بموضوعية. وسوف تقابلهم مصاعب متعـــددة لأن بعـــض الناس فضوليون. قد يدلون بآراء. يظهر فيها التلفيـــق. لكـــن غرضـــهم أن يظهروا في التليفزيون أو الجرائد ولا تهمهم الحقيقة. لكن الكذب واضح فـــى كلامهم لتردد بعض الجُمل. والنهنهة وكثرت الإلتفات حوله وتلفيق المعلومات وأثرها ظاهر. لهذا كان الخط الفاصل نحو اتخاذ القرار الصـــحيح يتطلـــب الأمر تدقيقاً في المعلومات وربطها بالنتائج. مع استبعاد الرؤيـــة الشخصـــية والإهتمام بالتحليل الجيد ووضع القرار المناسب مع سرعة الإنجاز لأن الزمن لا يجامل أحدا مهما كان.

إن العامل النفسى له أثر كبير عند حدوث الأزمة لذلك نحـــرص علـــى توجيه شخص. فاهم متوازن. هادئ يتسم بالصبر والتحمل وضـــبط الـــنفس للتحدث إلى الناس ورفع معنوياتهم. وتثبيتهم عند الابـــتلاء. فالحفـــاظ علـــى معنوياتهم في خضم الأزمة أمر مهم جداً. ولذلك يتحدث القرآن إلى النـــاس ينبههم إلى أن الناس شركاء في المصائب والأزمات. لكن المـــؤمن يتميـــز بحُسن ظنه بالله- وثقته فيه. إن المؤمن لا يجعل لليأس على نفســـه ســـبيلا. مهما كان حجم الخسائر. وفي القرآن يقول المولى ســـبحانه "أم حســـبتم أن

تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله- ألا إن نصر الله قريب"[(1)] .

لقد بلغت الأزمة ذروتها. وحلت المصائب متنوعة. حتى قال الرسول والذين معه- متى نصر الله- ولم يكن ذلك للشك فى الله وسوء الظن به، وإنما هو تعبير نفسى عن أن الأزمة شديدة جداً ووقعها خطير وأثارها عولمة صعبة- لذلك سمعوا في اللحظة- ألا إن نصر الله قريب- إن التربية الدينية أمر مهم جداً- والتدريب على احتمال النكد- يدل على قوة الإيمان- وثقة في النفس ويقين على أن الأمل قريب- وذلك حتى لا ينهار الفرد المسلم ولا يقوى على مواجهة الأزمة وحلها- ويشعر الإنسان بالندم لأنه بسبب عمله ويقينه حلت المصائب ونزلت المحنة، ولهذا يقول الله سبحانه - "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم"[(2)] فلابد من حث الجماهير على التوبة والرجوع إلى الله والاستغفار. والصلاة والسلام على النبى المختار فذلك يخفف الوضع المشحون بالآلام ويرفع البلاء. وتأمل قول الله سبحانه "حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم"[(3)].

وينبهنا ربنا سبحانه إلى الاستغفار ونتائجه عظيمة وعطاء ربك للمستغفر كثير وهو القائل سبحانه على لسان سيدنا نوح وهو يوجه قومه إلى

---

(1) سورة البقرة 214 **(2) سورة التوبة 118**
(3) سورة محمد 31 **(4) سورة نوح 10،11،12**
(5) سورة الزمر

الآثار المترتبة على الإستغفار فيقول "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفـــاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً"[1] والمؤمن على ثقة بوعد ربه الذى وعدنا على الصـــبر أجـــراً عظيماً وثواباً كبيراً وخيراً لا يحصى ولا يعد لقوله ســبحانه "إنمـــا يـــوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"[2].

إن المسلم مطالب بالصبر وحسن الظن بالله– والثقة فيه مع اتخاذ كافـــة الوسائل الممكنة والعمل بإيجابية. والتحرك على الساحة الإجتماعية والتشاور مع أهل الفكر والخبرة وانتظار أحسن النتائج لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا... كما قال فى سورة الكهف؟

أما الإنسان الخامل الكسول. الذى لا يعتمد على الله ولا يثق فى نفســـه ولا يستشير غيره. ولا يتحرك فإن أى أزمة تدمره ويصاب بحالة يأس. علماً بأن باب الفرج مفتوح أمامه. لكن جهله عماه. وصده عن ذلك كبرياء نفســـه بغباء. فزلزلة الأرض تحت قدمه. وأحاطت به المشاكل وأصـــيب بالإحبـــاط وشعر بالمرارة. فهو كمن قال الله في شأنه "ومن الناس من يعبـــد الله علـــى حرف فإنه أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خســـر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين"[3]– وفيه وفي أمثاله وجه الله لهم هذا التحذير "وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثـــم لا يكونـــوا أمثـــالكم"[4] إن الله سبحانه وجه الكسالى والخاملين إلى أن يتبعوا الحق. مع العمل الجاد– وسؤال أهل الاختصاص. والتعامل بالنصيحة لأنه لا خاب من استخار ولا ندم مـــن

---

(1) سورة الحج 11
(2) سورة محمد 38
(3) سورة النحل43
(4) سورة النساء 83

استشار. ولهذا يقول الله سبحانه "فاسألوا أهل الذكر إن كنـــتم لا تعلمـــون"[1] ويقول سبحانه "ولو ردوه إلى الرسول وإلى ولى الأمر منهم لعلمـــه الـــذين يستنبطون منهم"[2].

إن الأزمة تمثل موقفاً غير عادى. وتقع في وقت غير متوقـــع، شـــديد وقعها وخطورتها لأن أحداثها متلاحقة. أسبابها مختلطة- وتمثل محنـــة فـــي وقت عصيب مع الإضطرابات النفسية. والجو المحيط فيه هـــرج ومـــرج- تشويش في نقل المعلومات. والإرتباك واضح على الجميع- ومـــع مضـــى الزمن يشعر الجميع بالإرهاق والإجهاد المفرط. لهذا تكون القـــرارات غيـــر منضبطة وطائشة. وهنا نرى أن المنظور الإسلامى يوجه المسلم وبقوة نحو البعد الإيجابى للأزمة. ويعتبرها منحة ربانية. فيقول الحق سبحانه "ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفـــس والثمـــرات وبشـــر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعـــون أولئـــك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون"[3] وهكذا ترتبط الرؤية الإسلامية وتوضح لنا النتائج النهائية للأزمة وعائدها بالنفع لمن يسلم أمـــره لله. ولكنه يأخذ في الأسباب. ويستمر في حسن الظن بالله والثقـــة فيـــه لأن ابتلاء الإنسان بالشر والخير أمر دائم ولن ينجـــى الإنســـان مـــن الشـــر إلا الإعتصام بالله رب العالمين.

أسباب تفاقم الأزمة

تتفاقم الأزمة. ويستفحل خطرها ويشتد وقعها إذا:

---

(5) سورة البقرة 155-157

1) إذا كان الإنسان بعيداً عن ربه- لا يفى بوعـــده. ولا يلتـــزم بـــالقيم الأخلاقية. وقد ضرب الله لنا مثلاً بقوله سبحانه "هو الذى يسيركم فى البـــر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بهـــا جاءتهـــا ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهـــم دعـــوا الله مخلصين له الدين"[(1)].

2) نموذج آخر. جمهور أعلنوا عصيانهم وتمردهم على الله. فأنذروا ثم أنذروا فلما لم يستجيبوا ضرب الله القرية ضربة مهلكة مدمرة أخبرنا ربنـــا بذلك في قوله سبحانه "وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان. فكفرت بأنعم الله.... فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون..... "[(2)].

3) قوم لوط. كانوا أشباه الرجال. وأســـاءوا الأدب. مـــع الله. وخـــالفوا الفطرة الإنسانية السليمة وأصيبوا بالشذوذ. فأنذروا وأنذروا فلما تمادوا فـــي غيهم وإفكهم حل بهم الدمار. وقلبت قريتهم على من فيها وهم أحياء، ونجى الله سيدنا لوطا ومن معه يقول الله "ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء. بل أنتم قوم تجهلون"[(3)]

4) أصحاب الجنة الذين منعوا الزكاة ولم يعترفوا بأوامر الله. أهلـــك الله حرثهم ودمر الله زرعهم وزلزلوا عندما رأوا حديقتهم وقد أتلفت في أقل من سبع ساعات يا سبحان الله- قدرة على الضربة الشديدة في أقل من لحظة لأن أمر الله بين الكاف والنون- يقول الله سبحانه "أنا بلوناهم كما بلونا أصـــحاب الجنة. إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من

---

(1) سورة يونس 22،23 **(2) سورة النحل 112**
(3) سورة النمل 54،55

ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصــبحين. أن لغــدوا علـــى حرثكم إن كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون. بــل نحــن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنـــا ظالمين. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا يا ويلنا إنا كنا طـــاغين. عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون. كذلك العذاب ولعــذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون"[(1)]

5) إن قصص القرآن عن الأنبياء يوضح لنا أن قوم ثمــود أهلكهــم الله بالطاغية وقوم عاد أهلكهم بريح صرصر عاتيـــة. لأن الظلــم والإنحــراف والخروج على مقتضى الفطرة الإنسانية والخصائص البشرية يؤدى إلى ذلك، لهذا فإن علينا أن نعى الدرس. ونعترف بضعفنا وأن القوة العظيمة المهيمنـــة حددت لنا طريق الخير من طريق الشر ونبهنـــا ربنـــا أن الشـــر والفســـاد والإنحراف عن القيم الأخلاقية. ومخالفة تعليمات الله سبحانه والتى أُبلغنا بها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. فإن العواقب وخيمة والأزمات متلاحقة. والكوارث دائمة. يقول الله سبحانه "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشـــة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى"[(2)] إن الذين وصلوا أنفســـهم بالله. والتزموا بأوامره- واتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم وســـاروا علـــى نهجه. أولئك لهم الأمن. لماذا؟ لأنهم هدوا إلى الصراط المســتقيم والتزمـــوا طريق الله- وأدوا فرائضه. ورددوا "قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى

---

(1) سورة القلم 17-33
(2) سورة طه 124-126
(3) سورة الأنعام 162
(4)، (5) رواه الحاكم

لله رب العالمين لا شريك له"[1] وتمسكوا بسنة نبيهم سيدنا محمد صـــلى الله عليه وسلم وكانوا نماذج خير. ومشاعل هداية. ونماذج طيبة. فـــي الصـــبر. والوفاء. والتزموا بأداء الحقوق. وتعاملوا مع الناس بسعة الصـــدر. وحلـــو الكلام- وطهـــروا قلوبهم وصفوا نفوسهم. وأحبوا للنـــاس ما يحبون لأنفسهم وعاشوا وهم يمشون على الأرض هوناً ولفروجهم حافظون- وعلى صلواتهم يحافظون. هؤلاء سلاحهم الذى يحمون به أنفسهم من الأزمات أو الكـــوارث هو الدعاء لأنه نداء لله في وقت النعمة. وفى وقت الشدة- فهم يدعون ربهـــم تضرعاً وخفية. يدعونه لأنهم يؤمنون بقدرته وعظمته. ولأنه الخالق المبدع- الجبار المنتقم. فهم يؤمنون بأن الرسول العظيم سيدنا محمدا صلى الله عليـــه وسلم. لا ينطق عن الهوى. يقول "ليس شئ أكرم على الله من الـــدعاء"[2]- ويقول عليه الصلاة والسلام "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"[3] ويقول عليه الصلاة والسلام "من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة. وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه من أن يسأله العافية- وأن الدعاء ينفع مما نزل ومما لا ينزل- ولا يرد القضـــاء إلا الدعاء- فعليكم بالدعاء"[4] ويقـــول عليه الصلاة والسلام "ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع"[5] والذى يدعو ربه عليه أ، يكون موقناً بالإجابة لقـــول الله ســـبحانه "وقال ربكم ادعونى أستجب لكم" لكن الدعاء المقبول له شروط. أهمها:

1) أن تكون عيشة الفرد من مال حلال
2) 2) أن يكون على نية التوبة دائم الاستغفار
3) محافظاً على الصلاة

---

(1)، (2) رواه الترمذى

4) على علاقة طيبة بالصالحين

5) بعيداً عن التدخين للدخان والحشيش والمخدرات وفعل الموبقات.

الإرشادات الإلهية
والتوجيهات النبوية لحـــل الأزمـــة

الإنسان صنعة الله- خلقه في أحسن تقويم. وهداه النجــدين. وألهــم الله نفس الإنسان. فجورها وتقواها. والإنسان من يوم مولده إلى أن يدخل قبـــره. وهو يكابد. حيث يسعى على الأرض ويتحرك فى جنباتها تقابلـــه المشـــاكل. وتعترضه الأزمات. وهو يستعمل عقله. ويهتدي بهدى ربه. ويأخذ من ســـنة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويقتدي به في علاج المشـــاكل وحـــل الأزمات. لأن الإنسان. أى إنسان. إن لم يشغله الحق شغله الباطل. لهذا فإننا ونحن نتكلم عن المشاكل. والأزمات. والكوارث. وما شاكل ذلك فإن علينا أن نعود إلى تاريخنا نقرؤه. ونحلل ما فيه ونأخذ منه. لأن من لا ماضى لـــه. لا حاضر له. ومن لا حاضر له. لا مستقبل له والإنسان العاقل هو الذى يأخـــذ من هدى الله وتعاليم نبيه. العلاج لحل مشاكله. ولذا قيل "مـــا أشـــبه اليـــوم بالبارحة".

وعندما نقرأ التاريخ نقرؤه من تاريخ بناء الدولة الإســـلامية فـــى أول بدايتها. لأن مرحلة الدعوة في أول عهدها كانت على مرحلتين. **الأولى.** فـــي مكة. وكانت الدعوة في هذه المرحلة تهتم ببناء الإنسان. حيث تؤصـــل فيـــه القيم الأخلاقية. تثبت فيه العقيدة. تنمى فيه روابط الحب للناس جميعاً والألفة والتعايش السلمى مع الآخرين. وتبعد عن أنفسهم وقلوبهم التعصـــب لجـــنس أولون. أو وطن. وتنمى فيهم روح المساواة وطول البال. وهدوء الأعصاب.

وعدم التسرع في الغضب وهكذا كان البناء النفسى للإنسان. علـــى المبـــادئ العالية والقيم الرفيعة. والمروءة المبنية على حب الله ومراقبته. وحب النبـــى صلى الله عليه وسلم والإقتداء به ومساعدة الغير ومعاونته وجـــب الـــوطن والحفاظ على أرضه واحترام العلماء والأكابر من الناس. هذه هـــى بعـــض ملامح المرحلة المكية. كانت تهتم ببناء الإنسان وتكوينه على نبـــذ العـــادات السيئة. والبعد عن كل خلق دنى. والإرتقاء به وإظهار خصائصـــه الربانيـــة وقيمه الرفيعة. المرحلة **الثانيـــة**. وتبدأ بعد الهجرة. عندما هاجر رســـول الله صلى الله عليه وسلم من مكة. إلى. المدينة المنورة علـــى ســـاكنها أفضـــل الصلاة وأتم السلام ولم تكن الهجرة إلا- تخلصا من الإضطهاد والأذى الذى كان ينزل بالمسلمين من المشركين في مكة. ومع ذلك كانت الهجـــرة لبنـــاء مجتمع جديد يمتلئ بالأمن وينعم سكانه بالسلام وتشع منه حضارة الإســـلام على المجتمع الإنسانى كله حيث يطبق العدل. ويسود الجب وينعم سكان هذا المجتمـــع بالمســـاواة لأنه لا إكراه لأحد على اعتناق الإســـلام لأن المبـــدأ الإلهى "لا إكراه في الدين"[1] ويقول الحق سبحانه لحبيبه ومصـــطفاه "وقـــل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن. ومن شاء فليكفر"[2] ويقول ســـبحانه "لكـــم دينكم ولى دين"[3] إلى آخر آيات متعددة تبين أن الإسلام دين تسامح وتفـــاهم فالوطن للجميع والدين لله جل جلاله- لأنه لو شاء الله سبحانه لوحد الأديان. ولكنه سبحانـــه يقول "ولا يزالـــون مختلفين إلا من رحـــم ربـــك. ولـــذلك خلقهم"[4].

---

(1) سورة البقرة 256
(2) سورة الكهف 29
(3) سورة الكافرون 6
(4) سورة هود 118، 119

إن المسلمين الذين هاجروا أصبحوا في ظروف تختلف عن مكة. فقــد كان لهم بيوت وأزواج وبنين وحفدة. ولهم محلات تجارية. وورش صناعية. وها هم اليوم مطاردون والمشركون يستولون على بيوتهم ويبيعونها. ولــذلك قال الصحابى الجليل "أبو أحمد" من عائلة "بنو جحش" في رسالة بعث بها إلى إبى سفيان وهو الذى باع الدار وأخذ ثمنها- ونص الرسالة:

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامة

دار ابن عمك بعتها تقضى بها عنك الغرامة

وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامة

إذهب بها اذهب بها، طوقتها طوق الحمامة[1]

فالمهاجرون تركوا أموالهم وأمتعتهم. حتى ملابسهم استولى عليها أهــل مكة. والمهاجرون همهم اللحاق بالحبيب المهاجر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتمتع بالنظر إلى وجهه- والاستماع لما نزل عليه من قرآن. فــذلك يحقق لهم السعادة. وكل شئ يهون.

إن كل أمة ناشئة- أو خارجــة مــن صــراع. مــع متطــرفين- أو- إرهابيين- أو كانت تمر بأزمة- فلابد أن تمر بعقبات- وأول عقبة تواجههــا هى أن تجتهد فى توحيد صفها وأن تؤلف بين سكانها- ليكونوا لحمة واحدة- تقوى جبهتها في الداخل حتى يكون المجتمع كالجسد الواحــد- أو كالبنيــان المرصوص. والغرض من ذلك. عدم تمكن أعــداء العقيــدة والــوطن مــن الخارج- أو الداخل- من فتح ثغرات- وفى هذه الثغرات تتمكن الميكروبات البشرية من أن تتسرب منها لتنتشر مكروبات الفساد. وتؤجج نار العداوة بين السكان فيدب صراع معلناً حيناً وتحت الغبار مرة أخرى. فتنقطع العلاقــات.

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام ج2 **(2) سورة الأحزاب 18**

ويبدأ الاضطراب. فيكون المجتمع سهلاً للتفتيت والتفكك. ومن ثم تبتلعه الأمم القوية المتربصة بهذا المجتمع. وما يجرى على الساحة أمامنا خير شاهد مثل ما جرى فى العراق- السودان- اليمن- تونس مصر. وفى العديد مـــن دول العالم وغير ذلك غير خاف على أحد- وتأمل في عمل الذين أشعلوا نار الفتنة وأججوا الخلاف. ووسعوا الهوة- وأزهقوا الأرواح- وفـــي عقـــولهم أنهـــم يقومون بعمل ريادى خدمة للمثل النبيلة فى زعمهم- والحـــق أنهـــم مهـــدوا السبيل لتمزيق الأمة. وكانوا عوناً ويدا مساعدة على إراقة الدماء لكى يتمكنوا من الوصول إلى تمزيق الأمة- والثمن مدفوع من أعداء الوطن الذين يريدون الوصول إلى أعماق هذا المجتمع. وهذا الفريق القابض الثمن من الأعداء له نظير- ظهر في المجتمع الأول الذى كونه وشيد أركانه سيدنا محمد رســـول الله صلى الله عليه وسلم وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قول الله سبحانه "قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا "[1] وقالوا كما ذكر القرآن الكريم "هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عنـــد رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنـــافقين لا يعلمون"[2] تأمل عمل المنافقين الذين هم أشر خلق الله. وأخبث مـــن اليهـــود لأنهم هم الذين قالوا آمنا" فرد الله عليهم لأنه سبحانه أعلم بما في قلوبهم. فهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم. وهم أكبر أزمة في حياة البشر. يقول ربنا سبحانه عنهم "قالت الأعراب آمنا. قل. لم تؤمنوا ولكن قولوا أســـلمنا ولمـــا يدخل الإيمان في قلوبكم"[3] وطبيعة هؤلاء الغدر والخيانة وعلاماتهم أنهم كما

---

(3) سورة المنافقون 7

(3) سورة الحجرات 14 **(4) حديث متفق عليه**

(5) حديث صحيح. الترغيب والترهيب ج3 ص194

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " آية المنافق ثلاث إذا حدث كـــذب. وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان"[1].. وفى رواية أخرى. ثلاث من كن فيه فهـــو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر. وقال إنى مسلم"[2] وزيـــادة لمعرفـــة هؤلاء اقرأ عنهم من الآية 7–18 من سورة البقرة واقرأ عنهم كذلك مـــن.. الآية 138– إلى الآية– 143 من سورة النساء. واقرأ كذلك من الآيـــة 61– إلى الآية– 87 من سورة التوبة.. إلى غير ذلك فى القرآن الكريم.

كيف تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأزمات. وأسلوب حله لها

بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم برسـالة الحـق. والعـدل. والتسامح والرسالة التى بعث الله بها النبى المصطفى الأمين. هـى خاتمـة الرسالات الإلهية وقد تعرض النبى المصطفى الأمين. منذ اللحظـة الأولـى لبعثته لصنوف مختلفة من أنواع المضايقات. والتشهير. ثم الإسـاءة. الشـئ الكثير. بغرض وأد هذا الدين في أول الأمر وواجه الرسول صلى الله عليـه وسلم ومن آمن معه. بأزمات مختلفة الأشكال. اتسـمت فـي أول البعثـة- بالتعذيب. ثم بالتشهير. ثم بالحصار في شعب أبى طالب ثم بتآمر المشركين على قتله. بالإتفاق. مع اليهود. ثم مع المنافقين على المضايقات. ثم بحشـد الجيوش وخيانة اليهود والمنافقين للعهود والمواثيق. وهكذا تتوالى الأزمات. ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يضع الحلول المناسبة لحل كل أزمة بمـا يلائمها فى حينها. والعرض من ذلك. أن نقتدى به لأنه كما يقول ربنا سبحانه "من يطع الرسول فقد أطاعه الله"[(1)]. وقول الله سبحانه على لسـان رسـوله الكريم "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكـم ذنـوبكم والله غفور رحيم"[(2)] ويقول سبحانه "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمـن يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"[(3)]. إنه على مدار تاريخ الأمم. نلحظ أن أى أمة ناشئة تمر بأزمات تواجهها وبالتخطيط. والاستشارة. والتعـاون.

---

(1) سورة النساء 80 — **(2) سورة آل عمران 31**

(3) سورة الأحزاب 21 — **(4) سورة المائدة 2**

والاتحاد. والوقوف خلف قيادة تتسم ببعد النظر والتدقيق في اختيار معاونيه لإمكان العمل بقدرة وكفاءة على حل الأزمة بهدوء وثقة في معاونة الله سبحانه. فيد الله مع الجماعة. وقد قال الله سبحانه "وتعاونوا على البر والتقوى. ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"(1). نجد الحل المناسب. والقضاء على التوابع.

إننا سوف نقلب في سيرة النبى صلى الله عليه وسلم. نتعلم من هديه. ونقتبس من سيرته. لأن سنته صلى الله عليه وسلم هى المصدر الثانى بعد القرآن الكريم للتشريع.. فلنبدأ بعون الله وتوفيقه.

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

لقد وضعت الإدارة الحديثة خطوات يمكن اتباعها في حل الأزمات. لكنها تجاهلت النظام الإسلامى وأسلوبه في الحل. ذلك لأن علم إدارة الأعمال فى الإسلام لابد أن يكون بدقة وانضباط واختيار الكفاءات. والإستعانة بأهل الخبرة. وأصحاب العقول الناضجة والبعد عن المحسوبية. والشللية. فنحن نرى في العصر الحديث أن الدول تهتم بتدريب القيادات ومستوياتها وقد أعطت هذا الموضوع أهمية. وقد أصبح الابتكار في أسلوب التدريب فى حل الأزمات والأداء الجيد والتفنن فيه أمر ملحوظ لأن الأيام تكشف فى كل لحظة عن صعوبات. تواجه القيادات في العمل في العصر الحديث الذى تتعدد فيه المشاكل المتعددة حتى صار كل ميدان يخدم المجتمع يحتاج إلى تخطيط لتدريب القيادات. من أجل أن يسوس الإنسان أخاه الإنسان. ولا شك أن هذه قضية خطيرة لأن كل شخص يقول "الكل في حق الحياة سواء" فلماذا يتم

اختيار فلان ولا يتم اختيار فلان؟ ومن هنا كانت عملية الإدارة. مـــن أهـــم الوظائف وأصعبها ولابد أن يختار لها الأكفأ والأقدر والذى يتســـم بالثبـــات والعزيمة. والعلة في ذلـــك. أن ميـــدان الإدارة يتســـم بعنصـــر الحساســـية الإجتماعية والسرعة فى التنفيذ والكفاءة في صنع القرار. لأن المفروض في أى قائد في أى ميدان. أن يكون لديه القدرة على توصيل الحقوق إلى أهلهـــا. وأن يكون فى نفسه لديه الرغبة فى حب الخير وإيصاله إلى الناس مع التحلى بالصبر والرضا واحترام الآخرين. مع إبراز عنصر العمل الإيجابى البنـــاء لديه مع عاطفة تسمو إلى حب الخير للجميع. وعندما نقلب صفحات التـــاريخ نرى أن الإنسان يضيق صدره. وتتوتر أعصابه. وهو يشرف على فصل في مدرسة. طلابه يتسمون بعدم الإنضباط. وأحياناً ينوء المشرف الإجتماعى من كثرة الطلبات التى ترد إليه ولا يقدر على أن يقـــدم الحلـــول. وقـــد يعجـــز السياسى الداهية عن الوصول لحل قضية بلاده ونحـــن نـــذكر هـــذا أمامنـــا خبرات. وخبرات. وقنوات فضائية. وفيس بوك. وتليفون محمول. وإنترنت. وجرائد. ومجلات. وإذاعة ومع كل ذلك فإن العقول قاصرة. فما بالك بمـــن نشأ في الصحراء. وليس بها أى شئ مما ذكرنا. حدودها مفتوحـــة. آفاقهـــا بعيدة. منافذها مترامية. شاسعة. هذه الصحراء أجود بيئة رغـــم قلـــة المـــاء وليست بها إضاءة ومع ذلك فقد خرجت لنا أعظم قيادى تمرس على العمـــل القيادى مع أنه كان يرعى الغنم التى كانت هى أعظم وسيلة للتمـــرس علـــى العمل القيادى فهى تدريب رائد. وتجعل الشخص يتحلى بالصـــبر. واحتـــرام الوضع الاجتماعى للآخرين. فراعى الغنم يتسم بالإنتباه. واليقظة. والحرص. لأن واحدة من أغنامه قد تشرد. وثانية تجرى في الصحراء. وتتخلف واحدة. ويتناطح اثنان. والذئب يتربص هنا وهناك فترى الراعى اليقظ يجمعها مـــن

تشردها في صبر. ويحميها في تحركاتها. ويدلها على الطريق. ويختار لهـا مكان الكلأ والماء. ويقيها شر العوادى. وهو يشعر أن الغضب عليها سـوء في إدارتها وضرر بها. فهو لها أنيس وبها رفيق.. فراعى الغنم قائد مـاهر. فليس للتهوين عليه مغزى. وهو رفيق برعيته. ورائد يتعلم منه صانع القرار. ويقتبس من عمله من يخطط لنجاح الأمم "ولقد كان النبى العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتوجيه الله ورعايته له راعياً للغنم لأن في ذلك تمرساً له على اليقظة الدائمة وتدريباً له على نشأة تتسم بالعاطفة الرحيمـة للإنسـان. والحيوان. وكل ذى كبد رطب. لقد كان رعى الغنم. كما شاء الله له. لوناً من ألوان التهيئة التى أعده الله لها. حيث سيكون رحمة للعالمين ورعـى الغـنم مجال للتدريب الراقى. وإعداد الشخصية السوية العادلة في تصرفاتها ومـن هنا كان الأنبياء جميعاً رعاة غنم لأنه أجود مجالات التدريب. وأصدقها صقلاً لتربية عاطفة حب الخير من غير انحراف للعاطفة. وأحسن مجال لاكتسـاب خبرات أساسية في القيادة– أهمها. ضبط النفس. عدم التوتر وعدم الانفعـال والبعد عن الغضب. ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم قال له أصحابه. وأنت يا رسول الله؟ قال نعم. كنت أرعاهـا على قراريط لأهل مكة"[1] يقول السهيلى "وإنما جعل الله هذا فـي الأنبيـاء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أممهم رعاياهم"[2].

والنبى صلى الله عليه وسلم قام برعى الغنم مرتين:

---

(1) أخرجه البخارى

(2) الروض الأنف للسهيلى ج1 والطبقات الكبرى ج1 لابن سعد

(3) محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد الصادق عرجون ج1 فى 27 من رمضان سنة 1391 سلسلة البحوث الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية

الأولى: وهو فى بنى سعد. رضيعاً. وغلاماً. يخرج مع إخوته يــذهبون وراء بيوت الحى ويرتادون لأغنام قومهم المراعى وأماكن الميــاه. وظــلال الشجر وفي هذه البادية نشأ على فصاحة البيان والبلاغة وقوة الإفصاح ولذلك قال لأصحابه في رجولته "أنا أعربكم. أنا من قريش. ولسانى لسان بنى سعد بن بكر"[1].

الثانية: هو شاب بمكة- وإليها يشير حديث البخارى السابق.

ونؤكد على أن رعى الغنم لم يكن مهنة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. بل كان تدريباً وصقلاً لموهبته. على حسن القيادة والفطانة. ثــم قــام بالتجارة. ليكون له مع الناس احتكاك وتعامل بالــدرهم والــدينار. ولتظهــر أخلاقه في التعامل مع الناس على أرض الواقع.

الأمين المشارك

كان لحرب الفجار آثار سيئة في المجتمع العربى. فالعلاقات الإجتماعية قطِّعَت وصلات القربى تأثرت. فى هذا المناخ الإجتماعى المتــوتر فــنهض الزبير بن عبد المطلب "عم النبى صلى الله عليه وسلم فأجار رجلاً من اليمن كان أحد أكابر قريش اشترى بضاعته وحاول أن يماطل في دفع الثمن وحتى يدعم الزبير موقفه دعا إلى إنشاء وتكوين "حلف الفضول، وكانت مهمته درء المظالم دون مقابل والعطف على الضعفاء وهى مهمة جليلة عظيمة. إنسانية النزعة. لذلك شارك فى هذا الحلف سيدنا محمد صلى الله عليه وســلم وهــو شاب. وقد فرح العرب بهذا التجمع لأن في ذلك صــوناً لكرامتهــا وإحيــاء لمقوماتها الأخلاقية وتعمل على نشر العدل والخير بين القبائل"[2]. وهذا هــو أساس العمل التطوعى.

---

(2) **سيرة ابن هشام ج1 بتصرف**

لقد كان اشتراك النبى صلى الله عليه وسلم في هذا الحلف ثمـرة مـن ثمرات التهيئة الإلهية ليتعرف على قواعد العمل الإجتماعى المبنـى علـى سلامة الوجدان المرهف والتجربة الهادفة لأن دعوته ستقوم على أساس مـن التطوع دون مقابل من عرض الدنيا. لأن الله الذى كلفه بها كفاه كـل شـئ. ولأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب رسالة. وليست وظيفة لنيـل منصب. أو لجمع مال- إنه صاحب رسالة هيأه الله من أجلها. ولذلك أمـره بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل. لقد وهب الله جل جلالـه. النبـى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة. فضائل عالية وقدرة فائقة على إدارة الأزمات الإجتماعية. ولذلك شهد له الجميع بقناعة بأن الشخصية المحمدية جديرة فـي عالم الخلق بالإحترام والتقدير. ولذلك كان لقب الصادق الأمين وساماً لم ينله غير هذا النبى العظيم. وكانت سابقة في صياغتها الاجتماعية بـين القبائـل كلها.

إن لقب الأمين لم يكن وصفاً عابراً ولا كلمة مجاملة. ولكنه كان خلقـاً أصيلاً فيه. الأمر الذى جذب إليه النفوس. وأحسوا بالراحة النفسية في كنفه. وبلذة الحياة في صحبته- وأدركوا العزة في صداقته. وأحبـوا فيـه صـدقه وعشقوا فيه أمانته. ولذلك ارتضوه- حكماً وقاضياً بين العرب جميعاً. يوم أن رفعت السيوف وشرعت الأسنة وكاد يفضى ذلك إلى الحرب. وتهب ريـاح حرب الفجار من جديد. وذلك أن السيول طغت على الكعبة فغمرها بالمـاء. فتصدع بنيانها. فتشاورت قريش في إعادة بنائها بعد الذى أصـابها. وكـان العرب يتهيبون هدم الكعبة. مخافة أن يصيبهم الله بسوء. وأخيـراً جمعـوا أموالاً وهدموها ثم قاموا ببنائها. وارتفع البناء وجـاء دور وضـع الحجـر الأسود فاختلفوا فيمن يتشرف بوضع الحجر فـي مكانـه. ووقعـت الفتنـة

وارتفعت السيوف. وتعصبت القبائل ولو وقعت الفتنة لا يدرى أحد إلا الله كم ستكون الخسائر فى الأرواح. ومتى تنتهى. لذلك قال قائل منهم أمسكوا سيوفكم وحكموا بينكم أول داخل من باب الصفا.

حل الأزمة

لقد حلّت أزمة عظيمة تحتاج إلى عقول مفكرة. وحكماء لهم خبرة. في حل الصراعات وإدارة الأزمة. نظر الناس جميعاً إلى باب الصفا. وتعلقت أبصارهم إلى أن أقبل محمد بن عبدالله- فما إن رأوه حتى صاحوا وقالوا. هذا هو الصادق الأمين- رضينا به حكما. وعرضوا عليه المشكلة الخطيرة. لقد نظر سيدنا محمد إلى هذه القضية وفكر واقتنع بأن المجتمع يجب أن يتحلى- بالوحدة- والإتحاد- والإخاء- دون تفرقة بينهم بسبب الجنس أواللون أو العرق. ولابد أن يعيشوا في حالة مسالمة تجمع بين أبناء المجتمع الذين يجب أن يعيشوا في أمن وسلام. فكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في حل الأزمة بهدوء ثم قال. أبسطوا ثوباً. ثم حمل الحجر بيده الشريفة ووضعه على الثوب. ثم أمر ممثل كل قبيلة أن يمسك بالثوب. ثم يرفعوه جميعاً. وحمله ممثلوا القبائل كلها. ثم تقدم وأخذه بيده الشريفة فوضعه فى مكانه ورضى الجميع بذلك. وبذلك حقنت الدماء. وعادت الألفة بين القبائل. وكان حل الأزمة. نوع جديد فى حل الأزمات ولهذا قضى على الفتنة ونشر المودة. وحمد الناس لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذه الروح. وهذا العمل الذى ليس بغريب عنه. فهو الصادق الأمين. ثم إنه حافظ على الأمن والإستقرار وأعاد السلام إلى المجتمع المكى الذى حمد للصادق الأمين جسن التصرف. ولبعد النظر. وسرعة الحل. بلباقة غير معهودة. وليس للأزمة نظير قبل ذلك

مما يدل على رعاية الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلهامه الصـــواب لكل خير له عائد اجتماعى. تدعيماً لشخصه وتكريماً له صلى الله عليه وسلم.

حسن تصرفه فى العلاقات الاجتماعية وعصمة الله له

لو أن المفكرين فى العالم تتبعوا حياة العظماء في الدنيا فـــى تاريخهـــا الطويل ليصلوا إلى شخص يستطيع أن يعالج مشاكل المجتمع الإنسانى. لـــن يجدوا أبدا إلا شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فهو صلى الله عليه وسلم منذ ولادته إلى أن بعثه الله رحمة للعالمين وإلى أن انتقل إلى الرفيـــق الأعلى فهو الصورة الحية للإنسانية التى على فطرتها. فقد حفظـــه الله منـــذ ولادته وفى مراحل صباه وشبابه من كل دنس ينزع إليه الشباب. لقد عـــايش المجتمع وظهرت آثار تربية الله له. لذلك لقبوه بالصـــادق الأمـــين. واتفـــق المجتمع العربى على إعطاء هذا اللقب له. لأنه موئل سرهم. وأمين ودائعهم والحكم العدل فى قضاياهم. والصادق في كل أخباره. هذه الشخصية العظيمة السوية تدربت على كل أنماط الحياة فى المجتمع. لقد عـــاش حيـــاة البشـــر. فحصلت له بالممارسة معرفة بثقافة البيئة. وتعرف على طبائع الناس. ولـــم يتعرف على ذلك في معاهد تدريب. ولا قاعة محاضرات ولم يقرأ في كتب. ولم يجلس إلى محاضرين ولم يناقش أحداً فى ذلك. لكن التـــدريب الميـــدانى وهذا مصطلح اتفق عليه العاملون فى حقـــل الخدمـــة الاجتماعيـــة. يكـــون بالممارسة ويأتى الحفظ من الله رعاية وحفظاً ولهذا روى عـــن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قوله "ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا في ليلتين. كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما. قلت ليلة لبعض فتيان مكة.

ونحن نرعى الغنم. قلت لصاحبى. أبصر لى غنمى حتى أدخل مكـــة أســـمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال بلى. فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكـــة. فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير. فقلت ما هذا؟ قالوا تزوج فــلان فلانـــة. فجلست أنظر فضرب الله على أذنى. فوالله ما أيقظنـــى إلا مــس الشـــمس. فرجعت إلى صاحبى. فقال ما فعلت؟ فقلت. ما فعلت شيئاً. ثم أخبرته بالـــذى رأيت: ثم قلت له ليلة أخرى. أبصر لى غنمى حتى أسمر. ففعل. فلما جئـــت مكة سمعت الذى سمعت تلك الليلة. فقيل لى: نكح فلان فلانة. فجلست أنظر. فضرب الله على أذنى. فالله ما أيقظنى إلا مس الشمس. فرجعت إلى صاحبى. فقال. ماذا فعلت؟ فقلت لا شئ ثم أخبرته الخبر. فوالله ما هممت ولا عـــدت بعدهما لشئ من ذلك حتى أكرمنى الله بنبوته"[1] ويتبين من هـــذا أن الله قـــد عصم النبى صلى الله عليه وسلم من كل سوء منذ صغره وشبابه لأنه صلى الله عليه وسلم كان متمتعاً بخصائص البشرية السوية كاملة المحاسن متحليـــة بالأدب والأخلاق العالية. ولكنه كان يجد فى نفسه ما يجد كـــل شـــاب مـــن مختلف الرغبات: لكن عصمت الله له حفظته ورعته. فكان على خلق عظيم.

النبى الخاتم

لقد كانت عناية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم. وحفظه له. من كـــل مـــا يسئ إلى مقامه الرفيع ومكانته السامية شئ ملحوظ فقد بغض الله إلـــى هـــذا النبى العظيم القرب من الأوثان وكل أنواع الباطل التى كـــان يأتيهـــا فتيـــان قريش ورجالاتها. من شهود حفلات الغناء أو الرقص أو شـــرب الخمـــر أو لعب القمار. وسائر الملاهى. ومع بعده ونفوره من كل ذلك فإنه كان يشارك

(1) رواه ابن اسحاق والبيهقى

قومه فى كل أعمال الخير.. وأكبر دليل على ذلك أن أهل مكة نزلوا على حكمه فى وضع الحجر الأسود وهذه أزمة خطيرة حدثت عند تجديد بناء الكعبة لكنه ببعد نظرته وفراسته حلها بسهولة وذكاء. ونقف اليوم أمام أزمة اقتصادية. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعثه الله نبياً ورسولاً. بدأ دعوته سراً. ثم أعلن. وفى المرحلتين كانت المضايقات من قريش والأذى ينزل بالمسلمين فصبروا صبراً جميلاً. وبسبب التعذيب استشهد منهم شهداء "كسمية أم عمار بن ياسر" ولقد بذلت قريش كل ما فى وسعها من حيلة لإطفاء أنوار الدعوة. لكن قريشا باءت بالفشل. ولما خاب ظنها وقلت حيلتها حولت طاقتها إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين- كسيدنا بلال. وياسر. وزوجته. وولده عمار. وخباب بن الأرت وغيرهم وشدد أعداء الإسلام قبضتهم فى تعذيب المسلمين. ثم اتجهوا إلى المفاوضات مع عم رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبو طالب" الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم "إبق علىّ وعلى نفسك. لكن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمه "والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى أهلك دونه" ثم قدموا عروضاً للنبى صلى الله عليه وسلم فقالوا له "إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا. وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم "فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله"[1].

---

(1) **سورة يونس 72**

وقد رد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله "إنه ما بى ما تقولون. وما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم. ولا الشرف فيكم. ولا الملك علـيكم. ولكـن الله بعثنى إليكم رسولاً. وأنزل على كتاباً. وأمرنى أن أكون لكم بشـيراً ونـذيراً فأبلغكم رسالات ربى. وأنصح لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة. وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبيـنكم"[1]

ولما يئس المشركون من- تعذيب المسلمين كانوا يفكرون في حيلة جديـدة. وأساليب مبتكرة من المضايقات- كما أن المسلمين لم يقبلوا أنصاف الحلول- ولم يقبلوا ما عرضوه على النبى صلى الله عليه وسلم بدءوا يعرضون علـى بنى هاشم أن يسلموهم محمدا ليقتلوه- ويأخذوا بدلاً عنه أجمل فتى فى قريش أو يقبلوا ديته- لكن بنى هاشم رفضوا وبشدة. عندئذ أجمع المشركون علـى منابذة النبى صلى الله عليه وسلم ومنابذة المسلمين ومن يحميهم من بنى هاشم وبنى المطلب وأن يحاصرهم ويقاطعوهم ولا يتعاملون معهم. وكتبوا بـذلك كتاباً- تعاقدوا فيه على أن:

1) لا يناكحوهم ولا ينكحون منهم. ولا يجالسوهم. ولا يجلسون إليهم.
2) لا يبيعون لهم أى شئ ولا يبتاعون منهم أى شئ. ولا يكلموهم. ولا يسمعون لهم

مقاطعة- إقتصادية- إجتماعية- سياسية.

وعلقوا هذا الكتاب في جوف الكعبة ليكون له قدسية فى نفوسهم جميعـاً وهذه أزمة شديدة- لأن الحياة- علاقات اجتماعية- وبيع وشـراء وشـبكة اتصال إنسانى من خلال الزواج. ويظهر من هذه المقاطعة الظالمـة- أنهـا أزمة خانقة. وهنا تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى التعامل مـع

---

(2) سيرة ابن هشام

هذه الأزمة التى تتسم بالتعسف والظلم. ولقد لقى رسول الله صلى الله عليــه وسلم مع أصحابه عنتا شديدا ولم يجدوا الطعام أياماً وليالى كثيــرة وصـــبر المسلمون. وكان أطفالهم يتضاغون من الجوع. ويسمع بكاؤهم مــن بعيــد. وكانت قريش تهدد التجار فلا يبيعون للمسلمين إلا بأثمان عاليــة جــداً فــلا يشترون. لأنهم لا يقدرون على دفع الثمن المبالغ فيه.

الحــل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين على فك هذه الأزمة بالآتى:

1) القدوة الحسنة– فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة. لأنه كان آخر من يأكل. وأول من يشبع. وكان طعامه قليلاً جداً.

2) الصبر. فقد تحلى بالصبر. وأمر به. وقرأ على المسلمين "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"[1]. فصبروا وتحملوا بعزيمة قوية. وإيمــان قوى. وبالصبر. والإرادة ينتصر الإنسان.

3) كان يربط على بطنه حجراً خفيفاً. ويحمد الله. ولم يظهــر الضــعف أوالوهن أمام المسلمين.

4) كان المسلمون يروا ما عليه النبى صلى الله عليه وســلم مــن قــوة وعزيمة وربط الحجارة على بطنه وهمته العالية. ولجوؤه إلــى الله بالــدعاء والتضرع فيقتدون به.

5) كان يكثر من اللجوء إلى الله بالصلاة والصيام. عن قناعة ورضــا. وصبر جميل. ونحن نعلم ونوقن بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو ســأل ربه أن ينزل على المسلمين مائدة من السماء لأنزلها عليهم فى حصــارهم. فلقد أنزل الله مائدة من السماء لسيدنا عيسى عليه السلام كما أنزل على قــوم

([1]) **سورة الزمر 10**

سيدنا موسى عليه السلام- المن والسلوى- لكن الرسول صلى الله عليه وسلم والذين معه ضربوا مثلاً رائعاً في الصبر والتحمل. وكـــانوا يـــأكلون ورق الشجر. ولم تهن عزيمتهم. ولم يضعفوا أبدا. وكان الصبر هو السلاح الأقوى لحل الأزمة مع الأخذ فى الأسباب والإتصال ببعض الشخصيات المتزنة لحل الحصار. وخرج المسلمون من الحصار وهم أقوى عزيمة وثقة فـــي الله، إن بعض الدول الكبرى عندما تهدد بعض الدول الصغرى بالحصار الإقتصادى فتضعف إرادة قادة الدولة الصغرى ولو أنهم درسوا نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدوا الحل بوضوح. ولم تتمكن الدول الكبرى من فرض هيمنتها على الدول الصغرى. وربطها فى فلكها. لذلك نسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى الإقتداء بالنبى المصطفى الأمين. وخرج المسلمون من هذه الأزمة الخانقـــة. وهم أصلب عودا وأقوى عزيمة وأشد بأساً. وكانت عناية الله معهم. فأمـــدهم بالعزيمة. بينما أتلف كتاب أعدائهم. وقيض رجالاً تصدوا لقومهم وأجبروهم على الرضوخ لحل الأزمة. وخرج المسلمون من الحصار نورهم يسعى بين أيديهم.

الأزمة فى الفكر الإسلامى

لا شك أن المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية تعرضوا لصنوف متنوعة من التعذيب. ثم كان الحصار الإقتصادى والإجتماعى والسياسى وكان المسلمون- بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم يفكرون فى تحقيق نصر. وحل لأزمات التى يتعرضون لها مع حماية العناصر البشرية من أى أذى. وتأمين وسائل المعيشة. ووقف التدهور الخلقى الذى يتولد مع الأزمات وبعدها وعدم الخسائر. ودراسة الأسباب والعوامل النفسية عند المشركين، إنه من المعلوم أن من يسيطر على الاقتصاد. وحركة البيع والشراء. فإنه يتمكن من السيطرة على جميع نواحى الحياة. ولذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة، كان في أثناء الحصار يأكل قليلاً جداً. وأحياناً يأكل ورق الشجر. لأن المشركين كانوا يغالون في الأسعار على المسلمين- ونحن اليوم ننظر إلى المسلمين وهم يرمون الطعام الجيد في النفايات ولو أنهم رشّدوا حياتهم ووضعوا أمامهم ما يكفيهم وتبرعوا بالباقى للفقراء فإنه لن يظهر متسول فى المجتمع الإسلامى. فعلينا أن نتجه إلى سياسة الترشيد وعدم الإسراف. وعدم التبذير لأن هذه الأشياء منهى عنها ونتجه إلى سياسة الترشيد. ونطبقها في حياتنا العامة. وندرس أسباب الغلاء الذى حل بالمجتمع العالمى. والمسلمين جزء منه فسوف نجد أن الإسراف والتبذير هما السبب المباشر وراء ذلك، ثم قلة الإنتاج وقلة العرض، وكثرة الإقبال على الشراء. إننا نؤمن بالله. وبرسوله صلى الله عليه وسلم. ونؤمن بالقرآن وما جاء فيه. فالقرآن يشرح لنا أن الرازق هو الله. وأن رزقه وخيره تنالهما البشرية بكثرة ووفرة. إذا هى

أخذت في الأسباب وحسّنت علاقتها بالله الواحد. ونقرأ عن ذلك في قوله سبحانه عن أهل الكتاب "ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون"[1] وقال سبحانه عن المسلمين "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"[2].

هكذا يوجه الخطاب إلى أتباع الأنبياء بأن أى أزمة تعرض لكم وتحل بساحتكم فمفتاح الحل من عند الله القادر. ولكن هذا يتوقف على قوة إيمانكم ويقينكم وعزيمتكم وأخذكم في الأسباب والعمل الحاد والإبتكار في أساليب الإنتاج. واقرءوا تاريخ آبائكم وأجدادكم من بداية المجتمع الأول الذى تعرض لكثير من الأزمات. مختلفة الأشكال. وكيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضع خطط الحلول- إنه من بداية تأسيس الدولة الإسلامية. والرسول صلى الله عليه وسلم يدير أزمات الدولة. بالأساليب العلمية الدقيقة- وما بدأ العالم يفكر فيه من أساليب حديثة. هى نتاج العقول الإسلامية. التى تعلمت الإسلام وقرأت القرآن وتعرفت على سيرة النبى الأمين فلو أن قيادات العالم اتجهت إلى دراسة سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لوجدوا الحلول حتى فى الحروب الأهلية والفتن الداخلية، سنجد الحل لأن أى موقف من حياة النبى صلى الله عليه وسلم رسالة إعلامية موجهة للبشرية كلها لأنه رغم كثرة الأزمات التى يختلقها المنافقون. واليهود. والمشركون. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان دائماً على درجة عالية. من ضبط النفس. وعدم الغضب، لم تتوتر أعصابه أبداً. وهو متماسك في اتزان. ولم يفقد ابتسامته أبداً. لقد

([1]) سورة المائدة 66 (2) سورة الأعراف 96

كان صلى الله عليه وسلم ذا قدرات فائقة فى حسن التعامل مع الجماهير. والسيطرة على ردود الفعل. والسرعة فى إنهاء الخصومات. والقضاء على المنازعات. وإخماد روح العصبية ووأدها من أول لحظة تظهر فيها. بكل يسر وسهولة وثقة فى الله فى كل حال والعمل بتوجيهات الله سبحانه فى قوله "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[(1)].

أزمة السوق

السوق- هو المكان المعين المحدد المعالم يتجمع فيه الناس للبيع والشراء. واليهود هم الذين أنشئوا الأسواق لأنهم يهتمون بالتجارة فى أى شئ ليتمكنوا من وراء ذلك من السيطرة على جمع المال. ويحرصون عليه لتكون لهم السيطرة على الإقتصاد والتجارة. وفى الأسواق يتعاملون بالكذب. والغش. والاحتكار والربا وكسب المال بأى وسيلة. ومبدؤهم الغاية تبرر الوسيلة. فلما مر النبى صلى الله عليه وسلم على السوق فى المدينة. وجد أن اليهود يسيطرون عليه وأن زمام الاقتصاد بأيديهم. وهم يتعاملون بالربا الفاحش. فكان لابد من تغيير الموقف بالتدرج والحكمة. لأن اليهود يختلقون الأزمات. ولابد من وضع حلول. بحيث لا يكون فيها صدام مع الغير، لذلك فكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى نقل السوق إلى مكان أوسع وصالح لمواجهة التطور ومواجهة الزيادة البشرية وقد تم ذلك. ولم يشعر اليهود إلا وقد انتقل السوق. وبهدوء وأمن، وفى السوق الجديد تم إلغاء الرسوم التى كانت تفرض على الداخل إلى السوق. وحتى لا تكون سبباً فى ارتفاع

---

(1) سورة الرعد11

الأسعار. وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم فى وضع قواعد جديدة تـــدعيماً للتعامل على منهج الإسلام مثل:

1) منع احتكار السلع وتخزينها للعمل على غلاء الأسعار فنهى عن ذلك فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم "بئس العبــد المحتكــر. إن أرخــص الله الأسعار حزن. وإن أغلاها فرح"[1]. فالمسلم يقيم التــوازن. بيعــاً وشــراء. ويحب للناس ما يحب لنفسه. ولا يخزن البضائع أبداً.

2) لذلك وروى "الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله. والمحتكر من سوقنا كالملحد فى كتاب الله"[2] فالمسلم فهو يجتهد أن يجلب للســوق أجــود البضائع رخيصة الثمن. والناس فى حاجة إليها.

3) فقد روى "من احتكر على المسلمين طعــامهم ضــربه الله بالجــذام والإفلاس"[3].

4) وروى "من دخل فى شئ من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقــاً على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة" هذا الحديث رواه الإمام أحمد وفى رواية الحاكم "كان حقاً على الله أن يقذفه فى جهنم. رأســه أسفل".. لهذا فإن المسلم يتعامل بالمروءة. والرفق. والإحسان.

ونلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم نظم السوق بحيث لا يكون هناك احتكار للبضائع وتخزينها لدى التجار حتى إذا زاد السعر وغلا. بدأ التــاجر فى طرح ما لديه بالسعر الذى يرضيه" ونحن نؤمن بأنه لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب" وهذا أسلوب اليهود. لكن المسلمين لا يقرون هذا أبدا. لإيمــانهم بــأن الله فى عون العبد. ما دام العبد فى عون أخيه...

---

(1) رواه الطبرانى والبيهقى

(2) رواه الحاكم مرسلاً

(3) رواه الإمام أحمد

(4) سورة النور37

نظرة المسلم إلى السوق

لابد للناس كلهم من الدخول إلى السوق للبيع والشراء لكن المسلم له أخلاق نبيلة يتعامل بها من الناس كلهم العدو كالصديق أهمها- الصدق عدم الحلف. لا يبيع بذمتين وإنما كلمة واحدة- عم الغش. بيان ما فى السلعة من عيوب لأن الله سبحانه يقول عن المسلمين. "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار"[1] إن الأسواق هى "شر بقاع الأرض إذا دخلها الإنسان. وهو طامع. مضمر الغش. يحتكر الأصناف القليلة ليغلى السعر لا يبالى بحاجة الناس. يحلف بالله كاذباً. لذلك كان شر الناس أولهم دخولاً للسوق وآخرهم خروجاً" لماذا؟ لأن الشيطان يحرش بين الناس. ويدفع بهم للحلف بالأيمانات الكاذبة. لذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تكن أول من يدخل السوق. ولا آخر من يخرج منها. ففيها باض الشيطان وفرخ"[2].

ولما كانت أبغض الأماكن إلى الله- الأسواق- لما فيها من غش ونقص للكيل والميزان والحلف بالأيمان- تالله- وبالله. والطلاق. وغير ذلك. جاء عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله "شر المجالس الأسواق والطرق. وخير المجالس المساجد. فإن لم تجلس فى المسجد فالزم بيتك"[3] وفي قوله صلى الله عليه وسلم "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق- ولا آخر من يخرج منها. فإنها معركة الشيطان. وبها ينصب رايته[4]

---

(1) رياض الصالحين للنووى رقم 1842
(2) رواه الطبرانى
(3) رواه مسلم
(4) رواه البيهقى، والترمذى
(5) رواه الطبرانى
(6) رواه الحاكم
(7) رواه ابن ماجه
(8) رواه مسلم
(9) رواه السيخان

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن أطيب الكسب كسب التجار- الـذين إذا حدثوا لم يكذبوا. وإذا ائتمنوا لم يخونوا. وإذا وعـدوا لـم يخلفـوا. وإذا اشتروا لم يذوقوا. وإذا باعوا لم يطروا. وإذا كان عليهم لم يَمْطُلُوا. وإذا كان لهم لم يعسروا"(1). وفى حديث آخر "أفضل المؤمنين رجل سمح البيع سـمح الشراء. سمح القضاء. سمح الاقتضاء"(2). وقوله عليه الصـلاة والسـلام "لا يحل لأحد يبيع شيئاً إلا بين ما فيـه. ولا يحـل لأحـد يعلم ذلك إلا بينه"(3) وقوله "من باع عيباً ولم يبينـه لم يزل فى مقت الله. ولـم تـزل الملائكـة تلعنه"(4) ويقـول

عليه الصلاة والسلام "إياكم وكثرة الحلف فى البيـع. فإنـه ينفـق ثـم يمحق"(5) – ويقول عليه الصلاة والسلام "الحلـف منفقـة للسـلعة ممحقـة للبركة"(6).

ولقد أقام المسلمون نوعان من التفتيش على الأسواق والمراقبة للأسعار. وقد علمهم النبى صلى الله عليه وسلم ذلك. فقد مر عليه الصـلاة والسـلام برجل يبيع طعاماً. فسأله- يا صاحب الطعام- أسفل هذا مثل أعلاه؟ فقـال نعم. يا رسول الله. فقال- من غش المسلمين فليس منهم"(7) كذلك لا يجـوز للمسلمين أن يغشوا غيرهم ممن يخالفونهم فى العقيدة. ولهذا يقول صـلى الله عليه وسلم فى حق أهل الذمة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا. فغشهم فى البيـع والشراء أو فى أى تعامل حرام لأن الإسلام دين أخلاق قيمة. أخلاق عظيمة ومثل رائدة غيرت ما نشره أعداء الإنسانية الذين اتسموا بالأنانية وروج لـه من ليس لديهم دين. ولا عندهم أخلاق. هذه القيم الأخلاقية التى تعايش بهـا الناس أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ضربت فيها الأمة الإسلامية مثلاً عليا فى العمل التجارى ومن خلال تمسكهم بهذه المثل نشروا الإسلام. وقـد

أثنى عليهم حتى أعداء الدين. لأن القيم الأخلاقية جعلتهم يتسـمون برحابـة الأفق- وحسن التعامل مع الناس كلهم. ولذلك حافظوا على حضارات الأمم. وخالطوهم على اختلاف مذاهبهم الفكرية. والفلسفية.

ويتبين لنا

أن الرسول صلى الله عليه وسلم نظم السوق ليقيم اقتصاد الأمـة علـى دعائم قوية أهمها:

1) تحريم الغش. وعدم التدليس. وعدم بيع أى شئ انتهت صلاحيته.

2) عدم التعامل بالربا. وتحريمه.

3) عدم الحلف. بالله أو بالطلاق لترويج أى بضاعة.

4) عدم المغالاة فى الكسب.

5) عدم الاحتكار لأى بضاعة- لأن اللعنة تلاحق المحتكر.

6) عدم شراء الحاجات المسروقة- ففى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم "من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد شارك فى عارها وإثمها"[1] وعدم بيع أى شئ مجهول المصدر.

7) التيسير فى البيع والشراء يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء"[2] ويقول "من أنظر معسراً أو وضع عنـه أظله الله فى ظله"[3].

8) المراقبة- والمتابعة- والتفتيش- وعدم فرض رسـوم- مـن بـاب التخفيف وعدم رفع الأسعار.

---

(1) رواه الطبرانى   **(2)، (3) رواه البخارى**

(4) رواه مسلم

9)رعاية ظروف الناس- وأن تكون كلمة التاجر علـــى ثمـــن الســلعة واحدة. حتى لا يجره ذلك إلى الكذب. والحلف. ويجره ذلك إلـــى التلاعــب والضحك على السذج من الجمهور.

إن التجارة فيها الخير والبركة وتسعة أعشار الرزق فيهـــا. إذا التـــزم التاجر بالصدق. والأمانة وعدم المغالاة ففى الحديث "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"[1]. وبهذا فتح رسول الله صـــلى الله عليه وسلم للمسلمين أبواب الخير. ووجه المسلمين إلى فن التجارة لأهمية ذلك لصالح المسلمين وليتعاملوا بالرفق وحسن الخلق. وعلمهم أصـــول فـــن البيع والشراء. واليوم يتحالف أعداء الإسلام لسحب بساط الجودة والإتقان فى التجارة والصناعة من تحت قدم المسلم. فلننتبه لما يراد لنا ويخطط فى الظلام ضدنا نحن المسلمين. وعلينا أن نعود إلى الله ونلتزم بالأخلاق لأنه:

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهموا

لم يبن ملك على جهل وإقلال.

---

(1) **رواه الترمذى**

أزمات الهجــرة

الشئ الذى لا يختلف عليه أحد- أن حب الوطن من الإيمان. لكــن قــد يُكره الإنسان ويجبر على ترك وطنه. وهو محب له. ويعيش فى غربته وهو يتمنى العودة إليه وهذا ما حدث مع سيدنا محمد صلى الله عليــه وســلم. ولا شك أن هذه أزمة. ولابد من حلها- مع مراعاة وضع البدائل المتاحة. واختيار الشئ الملائم إلى حل الأزمة وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم دوراً لكل فرد من المشاركين فى الهجرة. ونبههم إلى الملائمة عند حــدوث أمــر يتطلب تغيير الموقف. مع اختيار الوقت المناسب للخروج إلى الهجرة. ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم فكر فى الهجرة من مكة- إلى- يثرب- بعد البيعة الكبرى للأنصار فى العقبة فى موسم الحج بعد البيعة الثانية- لأن بعدها اشتد إيذاء المشركين- فضيقوا على المسلمين بعد أن حاصروهم وقاموا بتعذيبهم. والتفريق بين الرجل وأهله. وحبسهم وسلب أمــوالهم. لكــل هــذه العوامل اتجهت فكرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلــى الإذن لأصــحابه بالهجرة. كان فى بادئ الأمر أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة. وبعد بيعة العقبة الثانية استقر الأمر أن تكون الهجرة إلى يثرب. وهذه أزمة خطيرة جــداً لأن المشركين وضعوا خطة لإراقة دم النبى صلى الله عليه وسلم- حيث اجتمــع المشركون فى مؤتمر عقد فى دار الندوة- وانتهى الأمــر أخيــراً علــى أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلدا ويعطى كل شاب سيفاً صارماً. ثم يقوموا جميعاً بضربة تقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقت واحد بأيديهم جميعا- وحتى لا يستطيع بنو هاشم على محاربــة القبائــل فيقبلــوا الفديــة

ويرضوا بها. وكان المؤتمر قد عقد سراً فلم يعلم به أحد. لكن الله مطلع عليهم وعليم بكل شئ ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وصدق الله العظيم "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"[1] ولذلك بعد انتهاء المؤتمر وقبل أن يخرج الناس من دار الندوة جاء الوحى يخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما حدث بالتفصيل يقول الله سبحانه "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله. والله خير الماكرين"[2] .

فكيف يواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأزمة الخطيرة جداً وكذلك توابعها. حتى يستطيع أن يبنى دولة. يتعلم قادتها من الزعيم العظيم والنبى المرسل. أسلوب مواجهة مثل هذه المشاكل. والأسلوب الذى انتهجه النبى صلى الله عليه وسلم. كان كالآتى:

1) تخطيط دقيق لكل مرحلة من مراحل الهجرة إلى يثرب ولماذا تم اختيار يثرب.

2) إسناد كل دور إلى شخصية معينة يتم اختيارها بدقة مع تحديد المهمة.

3) كيف واجه الرسول صلى الله عليه وسلم أزمة الإسكان.

4) " " " " " " " أزمة البطالة.

5) " " " " " " " أزمة المواصلات.

6) " " " " " " " أزمة الطعام.

إنه من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. عرف أن قومه سيخرجوه من بلده فى الأيام الأولى لنزول الوحى عليه- قبل أن يعرف أى شخص بنبوة النبى المصطفى الأمين (وذلك أن رسول الله صلى الله عليه

---

(1) سورة الملك 11 (2) سورة الأنفال 20

وسلم حبب إليه الخلاء. فكان يخلو بغار حراء. فيقيم فيه الليالى ذوات العدد. ثم يرجع إليه فيتزود لمثلها. يتحنث بحراء ففاجأه الوحى فى شهر رمضـــان. وبعد أن تلقى النبى صلى الله عليه وسلم أول آيات نزلت عليه. وتلقاها مـــن أمين الوحى جبريل عليه السلام. رجع النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيته. يرجف فؤاده. فأخبر زوجته السيدة العظيمة "خديجة بنت خويلد" وقال لها. لقد خشيت على نفسى. فثبتته. وقالت له. أبشر. والله لا يخزيك الله أبـــدا. إنـــك لتصل الرحم. وتصدق الحديث. وتحمل الكَلَّ. وتعين على نوائب الدهر"[1] (ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به "ورقة بن نوفل" وكان ابن عم السيدة خديجة. وكان قد تنصر فى الجاهلية. وكان يكتب العبرانى. فيكتـــب مـــن الإنجيـــل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمى. فقالت له ســـيدتنا خديجة. يا ابن عم. إسمع من ابن أخيك فقال له ورقة– يا لبن أخـــى. مـــاذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال ورقة. هـــذا الناموس (إى جبريل) (أو الوحى) الذى نزل على موسى. يا ليتنى فيها جذعاً (شاباً قوياً) ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه. أو مخرجى هم؟ قال نعم لم يأت رجل بمثل ما جئـــت بـــه إلا عـــودى. وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً"[2]. فالهجرة فى فكر النبـــى صـــلى الله عليه وسلم من أول لحظة. وبعد ما يقرب من ثلاثة عشرة سنة يبدأ التنفيـــذ. وهنا بدأ التخطيط. وبدقة.. ونلحظ أنه قبل الهجرة وقـــع حـــادث الإســـراء والمعراج. وهذا الحدث تم بسببه تمحيص الصف الإسلامى من الشخصـــيات الضعيفة. لأن ضعاف الإيمان لم يصدقوا بما حدث به النبى النبى صـــلى الله

(1) امتاع الأسماع المقريزى ج1 ص14 وما بعدها

(2) فقه السير النبوية/ د/ محمد سعيد البوطى ص62 وما بعدها

عليه وسلم من رحلته الأرضية وعروجه إلى السماء. واختراقه سـماء بعـد سماء إلى أن بلغ سدرة المنتهى ورأى. وشاهد. فضعاف الإيمان نكصوا على أعقابهم. لأن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم. وكان هذا الحـدث بمثابـة تنقيـة الصف الإسلامى من الشخصيات الضعيفة. لأن الهجرة هى التـى يمارسـها الأقوياء. وصدق الله العظيم (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحص الكافرين"[1] وكل ذلك دروس علينا أن نستفيد منها. والهجرة كذلك لم تكن هروبـاً مـن العذاب. والإستهزاء- لا- وإنما كان الغرض منها- إقامة مجتمع جديد. فـى بلد آمن. يحمل راية السلام. والدعوة إلى التعايش السلمى مع كافـة النـاس. وإن اختلفت عقائدهم- نعم- لأن الله دعانا إلى نشر العدل. وإقامة الصـلاة. وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. والحج إلى بيت الله الحرام وأن نتعايش مـع من لا يؤمن بعقيدتنا بالإحسان فلا أجبره. ولا أكرهه على إعتناق الإسلام لأن الله الخالق هو الذى نبهنا إلى ذلك بقولـه سبحانه "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى"[2] وقوله سبحانه و"قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"[3]. ثم يؤكد الحق سبحانه على ذلك بقوله المسلم الحق. هو مـن يتعايش مع من يخالفه فى العقيدة بما علمه الله "لكم دينكم ولى دين"[4]. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النبى. الهادى. والقائد. وهـو سـيهاجر. لذلك أصبح فرضاً على كل مسلم أن يهاجر ليسهم ويشارك فى بناء الدولـة التى يقود خطاها نبى يؤيده الوحى. والذى عرفه العالم بأنه الصادق الأمين.

---

(1) سورة آل عمران 171

(2) سورة البقرة 256

(3) سورة الكهف 29

(4) سورة الكافرون 6

(5) سورة البقرة 87

خطورة الموقف

كان الموقف فى مكة قد ازداد سخونة- خاصة وأن قريشاً عرفت بـــأمر مبايعة أهل يثرب الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم بايعوه عـــن يقـــين ومعرفة لأن عندهم علم بهذا النبى وزمان بعثه من اليهود الذين كانوا يعلنون أن رسولاً آن الأوان لمبعثه وهم سيتبعوه ويطردون الأوس والخـــزرج مـــن يثرب لتكون لهم وحدهم لأنها بقعة مباركة. لكن اليهود كما يقول ربنا سبحانه وهو يوجه الخطاب إليهم "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقا تقتلون"[1] وقال سبحانه "ولما جاءهم كتاب من عنـــد الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم مـــا عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين"[2] إنه بعد أن تمـــت بيعـــة العقبـــة الثانية. وبها يعتبر أن الداعى الأول- قد نجح فى فتح منفذ جديد. وببصيرته. وبعد نظره تأكد له أنه نجح فى تأسيس وطن للمسلمين. يجدون فيه الأمـــن. ويستطيعون ممارسة شعائر دينهم فى جو آمن للمسلمين غير مكـــة. وبـــين للمسلمين أن شخصيات من أهل يثرب يدينون بدينهم. وهذا هو أعظم كســـب حصل عليه نبى الإسلام فى هذا الجو الملتهب الملئ بشياطين الإنس. ولقـــد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين الذين يعذبون بمكة بالهجرة إلى يثرب "الوطن الجديد لأن الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وســـلم ظهـــرت عواطف الحب لله ولرسوله فى أحاديثهم. والولاء والتناصـــر بيـــنهم وبـــين المسلمين فى مكة. وعندهم شجاعة واستبسال فى الدفاع عن الدعوة. وثقـــة فى الله ورسوله لا حدود لها. كانت تجيش فـــى صـــدورهم مشـــاعر الـــود

---

(1) سورة البقرة 89 **(2) سورة القلم 4**

لإخوانهم فى مكة. بينما عندهم غضب علـــى المشـــركين الـــذين يعـــذبون المؤمنين. وكانت هذه المشاعر والعواطف والحب نتيجة للإيمان بالله ورسوله وبكتابه. وتلحظ أن ثمرة هذا الموقف ظهرت عندما وصل المســـلمون إلـــى يثرب. فقد سجل أهل يثرب على جبين الزمن أعمالا ليس لهـــا نظيـــر فـــى الماضى– ولم يشهد المستقبل مثيلا لها. كذلك نرى أن المسلمين فى مكة كانوا يعرفون أن الهجرة. قد يكون فيها. إهدار المصالح. والمهـــاجر يســـير إلـــى مستقبل مبهم غير معروف لا يدرى أحدهم ما تسفر عنه الأيام. ثم التضـــحية بالأهل. والمال. مع العلم أنه مستباح الدم. قد يهلـــك فـــى أول الطريـــق. أو آخره. فالاعتماد على الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا إن فضـــل الله عظيم فقد هيأ المناخ العام لتكون الهجرة فى وسط هـــذه المعمعـــة المتخمـــة بالأزمات والتحرش والصعاب وتنجح هذا النجاح لتتم الرسالة. ويعم نورها. فى الآفاق. وتتكون دولة. فيها الحب والتعاون والإخلاص والوفاء. وكل القيم النبيلة وقائدها قال الله سبحانه له "وإنك لعلى خلق عظيم"[(1)].

يثـــرب

تنكرت القبائل العربية وفى مقدمتهم قريش للدعوة الإسلامية وهم أعرف الناس بالداعى العظيم. ومع ذلك ناصبوه العداء لكن الحق سبحانه هيأ قبيلتين من يثرب هما الأوس والخزرج. شرح الله صدورهم للإسلام. لـــذلك أحبـــوا الإسلام. وآمنوا مع قومهم بالرسالة. والمعروف عن أهل يثرب أن الله طبعهم على رقة العاطفة. ولين الجانب. وعدم التعالى. وليس من طبعهم التكبر. أو جحود الحق. لأنهم هاجروا من اليمن إلى يثرب بعد خراب سد مأرب ســـنة

120 ق.م. وأهل اليمن كما يؤخذ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "أرق أفئدة وألين قلوباً" ومن حكمة الله سبحانه أن النبى صلى الله عليه وسلم اختار يثرب لتكون داراً للهجرة. ومركزاً للدعوة. لأن الله سبحانه أراد بأهلها خيرا لأسرار يعلمها الله سبحانه. وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله "إنى رأيت دار هجرتكم. ذات نخل بين لابتين. وهما الحرتان. فهاجر من هاجر إليها"[1] وكان الأوس والخزرج. ألفوا الحرية. فهم لم يخضعوا لمستعمر ولم يدفعوا إتاوة لأحد. وعندهم إباء. وقوة. وفروسية[2] جاء فى العقد الفريد "ومن الأزد. وهم الأوس والخزرج. وهم ابنا حارثة بن عمرو بن عامر. وهم أعز الناس أنفسا. وأشرفهم همما. ولم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك"[3] كما كان بيثرب بنو عدى بن النجار. وهم أخوال النبى صلى الله عليه وسلم. كان سكان يثرب كجسد واحد يصلون الأرحام. ولها حساب كبير عندهم. ولم يجد الشيطان سبيلا إلى قلوبهم لإثارة الفتنة. أو إثارة النخوة العصبية الجاهلية رغم الحرب التى يشعل نارها اليهود لكن سرعان ما يعود الصفاء بينهم. لهذا كانت مدينة يثرب أصلح مكان هيأه الله سبحانه لهجرة رسوله صلى الله عليه وسلم. واتخاذ يثرب دارا وقرارا. وتآخى المسلمون على أرضها أخوة لم تعرف الدنيا لها مثيلاً. ولهذا قال الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم "هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف بين قلوبهم. لو أنفقت ما فى الأرض ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم"[4]، والرسول صلى الله عليه وسلم هيأ قلوب الأوس والخزرج

---

(1) رواه البخارى

(2) يراجع ابن هشام ج1

(3) العقد الفريد لابن عبد ربه ج3

(4) سورة الأنفال 62-63

ليستقبلا الطليعة الأولى من الذين تربوا في مدرسة النبوة، وبسواعدهم ستقام الدولة الأولى لأصحاب العقيدة الصحيحة من المسلمين الأوائل.

التحرك من مكة

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرّف المسلمين أنهم سيذهبون إلـــى يثرب. وأكد على ذلك بقوله "إن الله عز وجل قد جعــل لكــم إخوانـــاً وداراً تأمنون بها. فخرجوا إرسالا. ولم تكن الهجرة شـــيئاً هينـــاً ســـهلاً- لا- لأن قريشاً لن تطيب بها نفساً لذلك كانوا يضعون العراقيل أمامهم لمـــنعهم مـــن الهجرة. فكان المهاجرون منهم. من يترك ما له ويتنازل عـــن كـــل شـــئ- كصهيب الرومى. ومنهم من أخذوا منه زوجته وولده. فهاجر وتركهم كمـــا فعل أبو سلمة. وغيرهما كثير. ذلك لأن مكة ضيقت على المسلمين. فضاقت على المسلمين الأرض بما رحبت. والوطن غالٍ وعزيز. فكان حب الـــوطن يجرى فى عروقهم مجرى الدم ولكن ومع هذا لم يمنعهم ذلك مـــن مغـــادرة الوطن. ومفارقته وترك السكن استجابة لداعى الخبر والإسلام الذي خطـــط وبدقة لكل حركة أو سكنة من المسلمين، ولذلك نجحت الهجرة.

ولقد فتحت يثرب أبوابها. وقبل ذلك قلوب أهلها. وهى باسمة الثغـــر. ترتدى لباس الفرح والفخر. تستقبل الرعيل الأول الذى تحمل من العذاب مـــا لم يتحمله أحد. وكان الصبر كأسهم فوفاهم الله أجرهم بغير حساب، وهيأ هذه القلوب لأن تستقبل هذه الصفوة المباركة من خير رجال الدولة الذين حملـــوا راية الإسلام وحافظوا عليها، رغم القسوة في المعاملة والفظاظة في العشـــرة والعذاب الذي تحملوه رغم شدته وقسوته.

تبعية أهل يثرب لأهل مكة

كان سكان يثرب يتبعون قريشاً فى العقيدة الدينية. وكانوا ينظرون إلى قريش كسدنة للبيت الحرام. وقادة فى الدين. وقدوة فى الإعتقاد. يعبدون الأصنام التى تعبدها قريش. وكان سكان يثرب يعظمون "مناة" وكان تعظيمهم لها أشد من تعظيم قريش التى عددت الأصنام. وكانت قريش تعترف بشرف الأوس والخزرج وكانوا يتزوجون منهم. وكانت يثرب بطبيعتها أرض زراعية حيث كان أهلها يعيشون على الزراعة. فكانت بها جنات النخيل والأعناب. والحبوب. والبقول. وكان اعتمادهم على ماء المطر. كما كانت بيثرب حركة تجارية. لكنها لم تكن كأهل مكة فى التنوع التجارى.

لقد هاجر المسلمون إلى هذا البلد الطيب أهله. تسللوا فى ظلام الليل يخرجون فرادى ثم يجمعهم الطريق. إلا سيدنا عمر بن الخطاب لما أراد الهجرة. تقلد سيفه. وحمل قوسه. وجمع السهام ومضى نحو الكعبة. والملأ من قريش بفنائها. فطاف بالبيت سبعا. وصلى فى المقام. ثم خاطب المشركين فقال لهم "شاهت الوجوه. من أراد أن تثكله أمه. أو ييتم ولده. أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى. يقول الإمام على كرم الله وجهه. فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين الذين هاجروا معه"[1].

---

[1] أسد الغابة للعلامة عز الدين أبى الحسن ص4

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرسول صلى الله عليه وسلم قائد- ولابد أن يطمئن على جميع من معه. لذلك هاجر المسلمون من مكة. والنبى عليه الصلاة والسلام بها يطمئن على كل فرد ويتابع خطاهم حتى اطمأن. وعندئذ جاءه الأمر بالهجرة. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أعدّ خطته. وتتلخص فى الآتى:

1) تكليف من ينام مكانه ليوهم الأعداء أنه بالداخل. ثم يقوم برد الأمانات التى عنده للمشركين. لأنه رغم عداء المشركين فى مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ويستعدون لقتله. إلا أن ثقتهم عظيمة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فليس هناك أحد فى مكة عنده شئ ثمين نفيس له قيمة. ويخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم- لماذا؟- لثقتهم فى أمانته. وصدقه ووفائه حتى مع أعدائه. فكانت الودائع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً. ولم يحاول أن يعوض أصحابه منها. رغم أن بعض الذين يحملون السيف ليشترك فى قتله ويقف فى صفوف المتآمرين له أمانة بالداخل. ولا يخاف عليها لأن الأمين لا يخون أبداً تحت أى مسمى. فكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا على بن أبى طالب لينام مكانه. وعرفه بالودائع وذكر له أصحابها وأمره بردها. يا سبحان الله. الموقف رهيب. والأزمة صعبة جداً. الشباب يقفون على الباب. معهم أبو جهل، وأبو لهب، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، وغيرهم أشخاص أكثر من ثلاثين شاباً من قبائل متعددة. والنبى صلى الله عليه وسلم يراهم ومع ذلك يعرف الودائع لسيدنا على- ويأمره بردها. من يقدر على هذا الموقف:

الأنبياء، لأنهم قدوة حسنة، وهذا العمل الرائع الرائد من نبي أمين صادق يُعلم الناس أجمعين بأن الإيمان ليس بالتمنى ولكن ما وقر فـــى القلـــب وصـــدقه العمل.

2)كان المشركون يحيطون ببيت رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم متيقظين ينتظرون ساعة الصفر. لكن الله غالب على أمرهم. لأنه مع تخطيط المشركين الدقيق إلا أنهم فشلوا ففى هذه اللحظة الحرجة خـــرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم واخترق صفوفهم. ثم أخذ حفنة من التراب. ورمى بهـــا فى وجوه الشباب والأكابر من قريش. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلـــو قول الله سبحانه "يس. والقرآن الحكيم- إلى قوله سبحانـــــه- فأغشيناهـــــم فهـــم لا يبصرون"[1] وكان تخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتجه مع سيدنا أبى بكر رضى الله عنه إلى غار بجبل ثور- وهو جبل بأسفل مكة. من ناحية الجنوب على بعد خمسة أميال وهو جبل عال جداً وعـــر الطريـــق. ذا أحجار كثيرة. صعب المرتقى. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يمشى علـــى أطراف أقدامه- كى يخفى أثره. فحفيت قدماه ودميت. وقد حمله سيدنا أبـــو بكر رضى الله عنه- إلى أن بلغ الجبل حتى انتهى به إلى الغار. ودخل سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ليطمئن بأنه ليس به شئ يؤذى النبى صلى الله عليـــه وسلم. ودخلا الغار وكانت قريش تبحث فى كل مكان. بعد أن عرفـــوا أنـــه خرج من بين أظهرهم ورمى بالتراب على رؤسهم ووجوههم. وقد وصـــلوا إلى غار ثور وأحاطوا به. وبكى سيدنا أبو بكر رضى الله عنه. لأنـــه رأى المشركين وعرفهم. وقال يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ما ظنك بإثنين الله ثالثهمـــا. وكـــان

---

1) سورة يس 1-9

"كرز بن علقمة" وهو خبير بآثار الأقدام- قد تتبع أثر النبى صلى الله عليــه سلم. لكن الله سبحانه بقدرته ومشيئته أرسل العنكبــوت فنســجت خيوطهــا. وعششت حمامتين على باب الغار. لذلك رجعوا خائبين وأعلنوا أن من قتــل محمدا أو أبو بكر فله مائة من الإبل. مع دفع دينه"[1]. هناك من ينكــر هــذا ونحن نقول لهم بمشيئه الله حمته فى الغاز ولا ينكر ذلك أحدا أبــدا- والله لا يعجزه شئ- وما يعلم جنود ربك إلا هو.. إن الرسول صلى الله عليه وســلم استنفذ قدراته فتدخلت عناية الله، لأنه سبحانه مع الذين اتقوا وهم محسنون.

3) هذه لحظات من أدق اللحظات التى مرت بها الإنسانية. وهى حاسمة فاصلة. لقد حبست الإنسانية أنفاسها. ووقفت خاشعة تنتظر. فإذا بالمشــركين عادوا خاسرين خائبين. لأن الله سبحانه هو القائل "فأنزل الله ســكينته عليــه وأيده بجنود لم تروها"[2] الرسول صلى الله عليه وسلم سيمكث فــى الغــار- ثلاثة أيام- فلابد أن يكون على علم تام بما يتحدث به الناس فى مكة ليتعرف على الاتجاهات. وما رأى رجل الشارع ورواد النادى والعمار لبيت الله.. وقد كلف بهذه المهمة الإعلامية شخصية لها كفاءة وقدرة. واستيعاب. وصدق فى النقل. وأمانة فى العرض. فكلف "عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما. لهذه المهمة. وقد أداها على أحسن وجه. فكان يمضى نهاره بين أهل مكة. وفــى شوارعها. يسمع ما يقولون. فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعــن أبيه ثم يذهب بالليل إلى الغار. فينقل بدقة وحصافــة ما دار طول النهار بين قريش وغيرهم"[3].

---

1) يراجع فى ذلك. امتاع الأسماع للمقريزى، وسيرة ابن هشام ج2. ورواه الحافظ بن عساكر عن جماعة من الصحابة

(2) سورة التوبة 40 — **(3) ابن هشام ج2 بتصرف**

(4) سيرة ابن هشام ج2

4) المدة التى سوف بقضيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سيدنا أبو بكر فى الغار- ثلاثة أيام يحتاجان فيهم إلى الطعام والماء فهل غاب عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطط لا. فقــد تــم تكليــف السيدة/ أسماء بنت أبو بكر رضى الله عنهم تمسيهما كل ليلة بالزاد والمـــاء وبما عسى أن تكون قد سمعته أو رأته من حديث القوم وغيرهم(1) وأســماء صبية أمثالها يفدون إلا ملاعبهم- ويأوون إلى صـــدور أمهـــاتهم وتحملـــت مسئولية يعجز أشد الرجال وأبطالهم أن يقوموا بها. وهى فى كل ليلة تقطـــع ثلاثة أميال فى جوف الليل. ووحشة الطريق. ماشية حذرة متخفية مترقبـــة. تصعد إلى الجبل. وتنحدر منه. بين أسنة الصخر. والرمال الناعمة. أى قلب هذا الذى تحمله؟ إنه القلب الذى أمده الله باليقين الصادق. والعزيمة القوية.

5) عبد الله بن أبى بكر. وأخته أسماء يذهبان فى كل ليلة إلى الغاز. ولو أن المشركين ترصداهما لعرفوا مكان من يبحثون عنه. لكن الـــذى خطـــط للخروج من هذه الأزمة الصعبة لم ينس ذلك. فكلف عامر بن فهيرة- وهـــو عبد مملوك لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه أن يتتبع خطاهما كل ليلة. بـــالغنم يرعاها لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه فيتم محو أثر الأقدام. فكـــر ناضـــج. وبعد نظر. واستشعار الواقع. مما يدل على أن وحى الســـماء يلهـــم النبـــى المصطفى ويسدد خطاه.

6) أمر خطير أخطر من كل ما تقدم. وهو دليـــل الرحلـــة. ذلـــك لأن الرسول عليه الصلاة والسلام من تخطيطه أن يتحرك علـــى طـــرق غيـــر مطروقة. حتى لا يتعرف عليه أحد فى الطريق. فيرشد عليـــه. خاصـــة وان العرب جعلوا مائة ناقة لمن يأتى برسول الله صلى الله عليه وســـلم أو بـــأبى

بكر رضى الله عنه. حياً أو ميتاً. لذلك. اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالدليل فى طريق رحلته. وقد اختار الدليل رجلاً مشركاً هو "عبد الله بن أريقط" ورغم أنه كافر. إلا أنه أمين- مهذب ولذلك اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون الأمين على النبى صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبى بكر رضى الله عنه- وهما فى الغار. إن قريشاً جن جنونها حينما تأكدت أن النبى صلى الله عليه وسلم فلت من يدبها. وهى التى خططت ودبرت ورسمت. لكن تخطيط النبى صلى الله عليه وسلم مؤيد من السماء مؤسس على الطهر فهو الناجح. أما المشركون فهم يمكرون. وعند الله ما مكروا.. بعد المكث فى الغار ثلاثة أيام يقول أبو بكر رضى الله عنه. أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قائم الظهيرة. وكان القوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد غير سراقة بن مالك. على فرس له. فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله فقال: لا تحزن إن الله معنا"[(1)].

كان "سراقة بن مالك" قد عرف الطريق. فحمله الطمع على أن يحصل على المائة ناقة- لكنه ما كاد يقترب من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وعثر به فرسه ثلاث مرات. فعرف أن المطلوب مرعى برعاية الله وعنايته. فنادى سراقة. وقال. أنا سراقة بن مالك. أنظرونى أكلمكم. فوالله لا يأتيكم منى شئ تكرهونه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر. قل له ما تريد؟ قال سراقة. تكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك. فكتب عامر بن فهيرة- يأمر النبى صلى الله عليه وسلم. كتابا على عظم أو رقعة"[(2)] ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم- لسراقة- كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟-

---

(1) صحيح البخارى

(1) سيرة ابن هشام وصحيح البخارى

(2) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج2

نبى مطارد يتتبع الناس أثره ويعد هذا الوعد؟ نعم. لأن لــه مــن الله وعــد بالنصر. ولدينه بالظهور. وهو ينظر إلى اليوم البعيد وعنده ثقــة قــى الله. وأمل. وهو واثق من أن اتباع دينه سوف يفتحون الــبلاد. ويطــأون تــاج كسرى– ويحطمون عرش قيصر. ويفتحون خزائن الأرض. ففى وسط هــذه الأزمة يتنبأ بهذا؟ نعم.. وتمضى الأيام. وفى عهد عمر بن الخطاب– جــئ إليه بغنائم كسرى. ومن بينها– سوارى كسرى ومنطقته وتاجه– ونادى عمر بن الخطاب على سراقة– أمام الناس فى المسجد. وألبســه إياهــا"[1] كبــر المسلمون. وقالوا– صدق الله ورسوله– إن الذى يدرس الهجرة يلحــظ أنهــا أزمات صعبة جداً. لكن عندما يتأمل أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم فــى الحل الذى انتهجه يتبين له أسلوب الحل وهو سهل ميسر بســبب التخطــيط واتخاذ القرار. وإسناد كل مهمة محدودة إلى شخصية معينــة لــديها قــدرة وحركة تفاعل مع الحدث والواقع.

فى يثــرب

وصل المسلمون إلى يثرب. ولقد تمت فرحة المسلمين بوصول رســول الله صلى الله عليه وسلم وما كان النبى صلى الله عليه وسلم يستقر فى يثرب حتى تحولت إلى مدينة عظيمة منورة بالقرآن. وبــالنبى المصــطفى عليــه الصلاة والسلام. ولكن بدأت الأزمات تظهر وظهرت عبقرية النبى صلى الله عليه وسلم فى الحل. وقد أدرك المسلمون. أن الهجرة ليس الغــرض منهــا التخلص من الفتن. والعذاب. والاستهزاء. وإنما كان الغرض مــن الهجــرة التعاون على إقامة مجتمع جديد فى بلد آمن. وها هم اليوم أمــرهم بأيــديهم.

وليس عليهم سيطرة من أحد. فعليهم أن يواجهون الحياة بثقة وقوة. لأنه بــلا شك لا يمكن تكوين المجتمع بين يوم وليلة. بل لابد من التكامل بالتدرج. مع تثقيف سكانه. مع التربية والتدريب. ولذلك بدأ المسلمون يواجهــوا. مســائل المعيشة. وتنظيم الاقتصاد. ويخططون لمسائل الحــرب والســلم والشــورى والمساواة. وهذا المجتمع الجديد يواجه المسلمون فيه أصنافاً من الناس:

1) الماجرون
2) الأنصار
3) اليهود
4) المشركون الذين لم يدخلوا فى الإسلام. ولا فى اليهودية
5) المنافقون. وهذه فئة جديدة من الناس كونها عبدالله بن أبى سلول بعد استقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يثرب. أعلنوا إسلامهم. وأخفــوا الكفر خوفاً على حياتهم. فهم أخطر فئات المجتمع.

وببعد نظر النبى صلى الله عليه وسلم وتأييد الوحى اتخذ أســلوبا قويــاً لمواجهة الأزمة.

مواجهة التفرق- أزمة التفرق

بدأ الأمر بتجميع المسلمين ببناء المسجد لأنه سيكون سبباً فــى تجميــع المسلمين. خمس مرات يومياً فتتلاقى الوجوه. ويسأل هــذا عــن ذاك مــع الإحاطة بأن اليهود من أساليبهم إطلاق الإشاعات. والمنافقون أســوأ مــنهم. فكان بناء المسجد. فيه القضاء على الإشاعات لأن المسلمين سيلتقون. خمس مرات فى اليوم وفى ذلك قطع دابر الفتن والقضاء على الإشــاعات ثــم إن المسجد ليس مكاناً لأداء الصلوات فقط. ولكنه.

1) أصبح المسجد داراً يسكن فيه بعض فقراء المهاجرين اللاجئين وليس معهم مال. وأطلق عليهم أهل الصفة.

2) مدرسة. يتعلم فيها المسلم أمور دينه. ويتلقى توجيه نبيـه صـلى الله عليه وسلم.

3) منتدى. يلتقى المهاجرون والأنصار ويجلسون مع بعضهم يناقشـون مسائل اجتماعية. وهذا يساعد على إذابة العصبية. والقضاء على النزعـات القبلية. وقراءة القرآن لمحو ذكريات الحروب من أذهان المسلمين. والقضاء على فكرة. قتل قاتل الأب. أو الأخ- الأخذ بالثأر.

4) قاعدة لإدارة شئون الوطن. والتشاور فيما يجـب أن يكـون عليـه الوضع الاجتماعى.

5) أن يكون المسجد برلمانا لعقد الإجتماعات مـن أعضـائه- الركـع السجود وتتخذ القرارات التنفيذية. وإسناد الأعمال إلى أهل الخبرة والكفاءات وإبراز القيادات. استعداداً لبناء الدولة الناشئة.

استقبال الوفود الرسمية التى تفد إلى الدولة للتعرف على إتجاهاتهـا، أن اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناء المسجد أولا كـان مـن ورائـه القضاء على شبه التشكيك وبث الإشاعات. ولقد أصبح المسجد مكاناً للتـآلف والتجمع. ومن وراء ذلك تدعيم روح المحبة. والتسامح. والتشـاور. ومـن فضل الله أن شرع الآذان. والذى دوى فى الآفاق بنغمـة علويـة. تجـذب القلوب. وتحيى النفوس. وتستريح الأذن عند سماعه. وكأنه نشـيد. يـدعو الناس لأداء فرض من الصلوات عمل ابتكارى. فيه خير اجتماعى. ومـنهج غير مسبوق. وحل لأزمات متعددة.

المؤاخـــــاة

تم بناء المسجد. وأصبح يؤدى رسالته. والرسول صلى الله عليه وســلم فى تفكير متواصل. لأنه يريد لأصحابه أن يهدؤا ويستريحوا حتى ينطلقوا إلى عمل يخدم الإسلام. ويعمر دولة. ليتمكن المسلمون من تبليغ الإســلام فــى أنحاء العالم- وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقيم التوازن بين كفتــى الدولة من المهاجرين. والأنصار. ذلك لأن المجتمع يتكون من أفراد. لــيس بينهم صلات قربى. والمجتمع كله يومها يعيش على مبادئ القبائل. وهنـــاك تفاوت فى الوضع الاجتماعى. ولا تستطيع السلطة أن تحقق مبادئ العدالـــة الاجتماعية بين الأفراد. إلا إذا كان هناك رابط من التآخى والمحبة. وهذا هو الضمان الحقيقى للاستفادة من مقومات الحياة- ومن فضـــل الله وتوفيقـــه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أساس هذه الأخوة- الحـــب فـــى الله- والتمسك بالعقيدة الدينية والأخوة من أجل نصر الإسلام وتبليغه. وهذه هـــى الضمانات التى تجمع اناس ولا تفرقهم. بغض النظر لأى اعتبار آخر. مـــن اجل هذا اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا التآخى أساســاً لمبـــادئ العدالة الاجتماعية.

ماذا تحقق من وراء هذا الإخاء؟

لقد أثمر هذا العمل الإيجابى العظيم- حل الأزمات التى واجهت المجتمع الأول الذى تم تكوينه- وأهمها- أزمة الإسكان.

لم يكن ما أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه- من أخوة لله. وفى الإسلام مجرد شعار. وإنما تحول ذلك إلى حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة. لذلك تمت الأخوة. بين شخص من الأنصار. وشخص من المهاجرين.

فكان الأنصارى يأخذ بيد أخيه المهاجر. ويذهب به إلى بيته. يقتسمان البيت. والمهاجر هو الذى يختار. وهنا بدأت أزمة الإسكان فى الحل السريع لأنهم سكنوا واستراحوا,

إن نتيجة هذا الإخاء, أن ذابت العصبيات الجاهلية. وأن تسقط الفوارق. التى تكون بسبب اللون- أو النسب. أو الوطن فلا يتقدم أحد على غيره. إلا بعمله وكفاءته. وتقواه لهذا رأينا عقد هذه الأخوة نافذا على أرض الواقع. فكانت عواطف الإيثار تمتزج فى هذه الأخوة وان تكون ذات نتائج خير بين هؤلاء. لهذا اقتسموا السكن. وتدرجت مبادئ هذه الأخوة فأصبحوا بها يتوارثون. وأصبح حق الميراث منوطاً بهذا التآخى. دون حقوق القرابة. والرحم. وقد شرع الله هذا الميراث لأن المهاجرين فارقوا أقوامهم. وديارهم. وتركوا أموالهم فى مكة- واستقر بهم المقام فى المدينة. فعوضهم الله بالأنصار خيراً. ولما استقر الأمر للمهاجرين. وتمكن الإسلام فى القلوب. أصبح من المناسب عود أمر الميراث إلى ذوى القربى والأرحام- ونزل قول الله "وأولوا الأرحام بعضهم أولياء بعض"[1].

بدأ رد الميراث- فالمهاجر لم يرث الأنصارى بعد نزول هذه الآية والتى نزلت بعد غزوة بدر.. كان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم. حتى أثنى الله عليهم فى القرآن الكريم. فقال سبحانه "والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"[2] لقد هيأ الله للإسلام هذه القلوب التى تلاقت على الإسلام. وقد مكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأخوة ليمكن لهم من

---

(1) سورة الأنفال 75 **(2) سورة الحشر 9**

بناء قاعدة إيمانية يعلو صرحها باسم الله القوى المتين الذى ألف بين هذه القلوب حتى صارت شيئاً واحداً. لذلك توارثوا بعد الموت.

أزمة البطالة

الذين هاجروا تركوا أموالهم. وليس معهم شئ. وأصبحوا فى مجتمع جديد. فهل يجلسون بلا عمل.؟ طبعاً لا.. فلابد أن يكون لهم عمل يتعايشون به. علماً بأن الإسلام يعلن نبيه أن "اليد العليا خير من اليد السفلى" ثم إننا ندرك أن المهاجرين لم يستغلوا كرم الأنصار ويطمعوا فيهم. لم يحدث هذا. فهم لم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أو دهم. ونذكر هنا. أن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين- عبد الرحمن بن عوف- مهاجر- وبين- سعد بن الربيع- أنصارى- فقال- سعد لعبد الرحمن- إنى من أكثر الأنصار مالاً. فسوف أقسم مالى نصفين. بينى. وبينك. ولى امرأتان. فانظر أعجبهما إليك فسمها فأطلقها. فإذا انتهت عدتها فتزوجها. فقال عبد الرحمن- لسعد: بارك الله لك فى أهلك ومالك. أين سوقكم. دلنى عليه؟ فدلوه على السوق. فرجع آخر النهار ومعه طعام. ثم تابع الغدو- فجاء يوماً وبه أثر صفرة. فقال النبى صلى الله عليه وسلم- - مهيم؟ يعنى ما هذه الملابس الجديدة- وأثر النعمة؟ قال عبد الرحمن. تزوجت قال- كم سقت إليها؟ قال- نواة من ذهب"[1] كما أن الأنصار- قالوا- للنبى صلى الله عليه وسلم "اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل- قال- لا. فقالوا تكفونا المؤنة. ونشرككم فى الثمرة. قالوا سمعنا وأطعنا"[2] إن الإسلام دين عمل. وسعى فى مناكب الأرض. حث أتباعه على

---

(1) صحيح البخارى **(2) صحيح البخارى**

(3) رواه بن ماجه والحاكم **(4) كتاب احياء علوم الدين ج2**

ذلك ورغبهم فى العمل. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الحبل فيحتطب ثم يأتى به فيحمله على ظهره. فيأكل خير له من أن يسأل الناس ولأن يأخذ تراباً فيجعله فى فيه خير له من أن يجعل فى فيه ما حرم الله عليه"[1] فالمسلم القوى فى جسمه. وعقله. ودينه. أحب إلى الله من المسلم الخامل الكسول. الذى يحب أن يجلس فى بيته. ويقول يا رب ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يتاجرون فى البر والبحر ويعملون فى تقليم الأشجار. وتلقيح النخيل. ولهذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق. ويقول. اللهم ارزقنى. فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة"[2].

إن الإسلام يدعو الإنسان إلى أن يتعلم المهن والحرف والصنعة ليستغنى بذلك عن طلب عن طلب المساعدة. ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب المؤمن المحترف"[3]. وعلى الإنسان أن يعمل ويتعب. ويجد. ويبتكر فى أسلوب الأداء. يجود صنعته. ويتقن عمله ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أمسى كا لا من عمل يده أمسى مغفورا له ذنبه"[4] إن الله سبحانه لو رزق العباد من غير عمل يتكسبون منه لأصبحوا فى فراغ قاتل ثم لو عاشوا بلا عمل لفسدت طبائعهم- فالذى يعمل بالنهار- يأتى عليه الليل يحب أن يستريح ليسترد قوته والذى لا يعمل- لا يعرف الليل من النهار. ومن رحمة الله بالناس أنه سبحانه خلق الناس متفاوتين. ما بين غنى. وفقير. وجعل الأغنياء محتاجين إلى الفقراء. فى أعمالهم وقضاء مصالحهم. وجعل الفقراء محتاجين إلى الأغنياء لأموالهم

---

(5) رواه الترمذى والبيهقى **(6) رواه الطبرانى فى الأوسط**

نظير أعمالهم. فقد جعل الله رزق هذا على هذا. وما هى إلا وسائل كى يتآلف الناس ويتعاونون ولهذا قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة. وسعياً على أهله. وتعطفاً على جاره لقى الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً مرائيا لقى الله وهو عليه غضبان"[1] إن من الأمثال الشعبية. لا تعطنى سمكة. آكلها اليوم ولا أجد من يأتينى بها غدا. ولكن. أعطنى سنارة. ودلنى على طريق البحر. إن العالم الذى يشكو من البطالة عليهم أن يعلموا أن الإسلام. عالج هذه المشكلة برفق لأنه كان يوجه أتباعه أن يغيروا مسار حياتهم. فمن يصنع الملابس لكن الناس انصرفوا عن صناعته. واتحهوا إلى الجاهز فإننا نقول له اتجه إلى صناعة أخرى. فيقول ليس عندى علم. نقول له تدرب. وتعلم وإذا كانت همتك متحهة إلى ذلك. فالله معك يمدك بمدده ويوفقك لأنه سبحانه علمنا أن ندعوه قائلين "وقل رب زدنى علماً"[2] جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. يسأله– يعنى صدقة. فسأله النبى صلى الله عليه وسلم وقال له. أما فى بيتك شئ؟ قال– بلى– جلس نلبس بعضه. ونبسط بعضه. وقعب نشرب فيه. قال. فأتى بهما. فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده– فقال من يشترى هذين؟ قال رجل أنا آخذها بدرهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. من يزيد على درهم. مرتين أو ثلاثاً. قال رجل: أنا

---

(1) رواه أبو نعيم فى الحلية ج4
(2) سورة طه114
(3)رواه الإمام أحمد بألفاظ قريبة من هذه الرواية
(4) رواه أحمد
(5) يراجع احياء علوم الدين ج2

آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياهما. وأخذ الدرهمين. فأعطاهما الأنصارى وقال. اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك. واشتر بالآخر قدوماً. فأتنى به. فشد منه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده. ثم قال. اذهب فاحتطب. وكل. ولا أرينك خمسة عشر يوماً. ففعل فجاء. وقد أصاب عشرة دراهم فاشتر ببعضها طعاما. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجئ المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة. لذى فقر مدقع. أو لذى عزم مقطع أو لذى دم موجع"[1].. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم "أى الكسب أطيب؟ قال- عمل الرجل بيده- وكل بيع مبرور"[2]. يقول لقمان لولده "يا بنى استعن بالكسب الحلال. فإنه ما افتقر أحد إلا أصابه ثلاث خصال. رقة فى دينه. وقلة فى عقله. وذهاب مروءته. وأعظم من هذه الثلاث. استخفاف الناس به"[3]

فالمسلم لا يعجز أبدا- ولابد أن يعمل حتى ولو يقوم بصيد السمك. أو بيع أنابيب الغاز. وبلاده تتسع للأعمال الحرة. وتدبير المال يمكن أن يساعده الناس ولو من زكاة أموالهم. حتى نحول الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة. والعمل شرف وكرامة.

أزمـــة الطعـــام

من الأزمات التى واجهت النبى صلى الله عليه وسلم عند بدأ تكوين الدولة بعد الهجرة. قلة المؤنة. خاصة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر هو وأصحابه. ويثرب بها اكتفاء ذاتى. إذا فلابد من مواجهة الأزمة بحلول يستطيع كل شخص التعامل معها. وبيسر وسهولة.

1) أمر بإكرام الضيف وقد وردت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحث على إكرام الضيف. والإحسان إليه. ومعاونته. ففى الحديث "مـــن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"[(1)].

2) المسلم يقدم لضيفه ما يقدر عليه. فالجود أن تجود بالموجود. مع العلم بأن الله سبحانه يقول "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"[(2)] إن الإيمان بالله يدعو إلى الجود والسخاء والبذل والإنسان يعتقد أنه مخلف عليه لقوله سبحانه "وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه. وهو خير الرازقين"[(3)].

3) ضرب الله لنا مثلاً بسيدنا إبراهيم عليه السلام عندما جاءه ضيوف لم يعرفهم فذهب إلى قومه وجاء بعجل حنيذ- يعنى مشوى بأحـــدث الأســـاليب يومها. ويعنى هذا أنه طيب. جيد. شئ عظيم.

4) ولقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم. فقـــال إنـــى مجهود. يعنى جائع. فأرسل إلى بعض نسائه "يسأل عن طعـــام" فقالـــت. لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء. فأرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى. قلن كلهن مثل ذلك. فقال من يضف هذا الليلة رحمه الله؟ فقـــام رجـــل مـــن الأنصار. فقال. أنا يا رسول الله.. فانطلق به إلى رحله. فقال لامرأته. هـــل عندك شئ؟ فقالت لا. إلا قوت صبيانى. فقال لها. فعلليهم. بشئ. فإذا أرادوا العشاء فنوميهم. فإذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج. وأريه أنا نأكـــل "زاد فـــى رواية" فقعدوا وأكل[(4)] الضيف وباتا طاويين. فلما أصبحا غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال للأنصارى "قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما".

---

(1) حديث متفق عليه **(2) سورة آل عمران 92**

(3) سورة سبأ 39

(1) رواه مسلم **(2) رواه الأصبهانى- الترغيب والترهيب ج3**

(3) رواه أحمد **(4) رواه أحمد**

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الملائكة تصلى على أحدكم مـــا دامت مائدته موضوعة"[1] وفى حديث آخر "لا خير فيمن لا يضيف"[2] وعلى المضيف أن يقدم أفضل ما عنـــده. والضيـــف لا يصيب ما قدم إليـــه. فقـــد دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيدنا جابر. فقدم إليهم خبزاً وخلا. ثم قال لهم كلوا. فإنى سمعت رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم يقول نعم الإدام الخل. إنه هلاك بالرجل أن يدخل إليه النفر من إخوانه فيحتقر ما فى بيته أن يقدمه إليهم. وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم"[3] هذا هو الأسلوب التربوى الذى يؤلف بين القلوب ويربط بينهم برباط المحبة والرضا والقبول بهذا التعاون. والإيثار. ثم يرغب الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى الزراعة وغرس الأشجار المثمرة. ويقول لأصحابه "ما من مســـلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة. وما سرق منه لـــه صـــدقة. ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة"[4] إن من زرع شجرة. وواظب على رعايتها والقيام بأمرها حتى تثمر كان له فى كل شئ يصاب من ثمرها أو ظلها. أو حطبها لزارعها صدقة دائمة إلى يوم القيامة. ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "من غرس غرساً لم يأكل منه آدمى ولا خلـــق مـــن خلق الله إلا كان له به صدقة"[5] إن رسول الله صلى الله عليه وســـلم وهـــو الصادق الذى لا ينطق عن الهوى قال "طعام الواحد يكفى الإثنـــين. وطعـــام الإثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية"[6] وتـــأملوا فـــى تربيـــة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه. تربية إيمانية تقوم علـــى الصـــدق. والإخلاص. وحسن الاتجاه إلى الله سبحانه الذى يعلم السر والنجوى فيقـــول

---

(5) رواه مسلم **(6) رواه أحمد**

(7) رواه مسلم

لأصحابه "إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو. أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد. ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم"(1) إن الكرم يوسع على الكريم الرزق وينعم بسعادة الدنيا والآخرة تكون سيرة الكريم ذكية طاهرة. والجود دليل الثقة فى الله. وانتظار فضله ويدل الجود على أن الإنسان فاهم للواجب عليه ويؤديه بشجاعة وابتسامة الرضا- اطعموا الطعام. وأفشوا السلام. وصلوا الأرحام. وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام..

البخل

هو نقيض الكرم- فالبخيل بعيد من الله. بعيد من الناس- بعيد عن الجنة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من البخل. ففى الحديث "اللهم إنى أعوذ بك من البخل. والكسل. وأرذل العمر. وعذاب القبر. وفتنة المحيا والممات"(2) وفى رواية حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم. خلق الله جنة عدن بيده. ودلى فيها ثمارها. وشق فيها أنهارها. ثم نظر إليها فقال لها. تكلمى. فقالت. قد أفلح المؤمنون. فقال وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بجيل"(3)

الزكاة

إننا ونحن نستعرض الأزمة التى مرت بالمجتمع الأول بعد الهجرة. يتبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم. لم يترك للظروف أى فرصة إلا ودرسها. وحدد أبعادها. ووضع لها معالم نكون كعلاج واق من هذه الأزمة.

---

(1) حديث متفق عليه **(2) رواه مسلم**
(3) رواه الطبرانى **(4) سورة البقرة 272**

ففى أزمة البطالة وأزمة الطعام وجه للعمــل وغــرس الأشــجار. وإكــرام الضيف. والكرم. والتحذير من البخل. ثم تأتى الزكاة لتؤدى دورا عظيماً فى التكافل الاجتماعى والإنفاق فى سبيل الله. ورعاية حق المجتمــع. وإشــراك الناس فيما أنعم الله عليك به من خير. عائد ذلك كله إلى الإنسان نفسه. مــع الزيادة من رب كريم وهو القائل "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم. وما تنفقــون إلا ابتغاء وجه الله. وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون"[1]

لقد عرف المسلمون. أن الامتناع عن إخراج الزكاة مع القدرة. سبيل إلى تهلكة المال. ودخول الأمراض إلى أفراد الأسرة. إن المال وسيلة إلى مرضاة الله. فى ظل إخوة إنسانية. يبنى فيها الإسلام مجده على التعاون. والتــراحم لأن شرف الوسيلة من شرف الغاية. وتوجيه المال إلى الطرق التى حددها الله سبحانه. اعترافاً من الإنسان بأن المال مال الله. والإنسان مســتخلف فيــه. يتصرف فيه وفقاً لمنهج مالكه وصاحبه الذى يقول سبحانه "ولا تحسبن الذين يبخلون لما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم ســيطوقون مــا بخلوا به يوم القيامة"[2] إن الشيطان يتربص بالمسلم يريد أن يمنعه من إخراج الزكاة. ويهمس فى أذنه بأن مالك إن أجرجت منه الزكاة سوف ينقص. ولن تستطيع أن تزيد فيه بعد ذلك أبدا. وسوف تفتقر. ثم يهمس. أنــت ســتعطى مالك. لفلان. يا أخى ربنا عايز له كده. أنت هتخالف أوامر الله الذى لو شاء لأغناه. يبين الله لنا هذه المواقف فيقول سبحانه "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء. والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم"[3] ويحدثنا ربنا جل

---

(1) سورة آل عمران 180
(2) سورة البقرة 268
(3) سورة يس 47
(4) رواه أبو داود فى المراسيل
(5) رواه البزار

جلاله عن فئة يمتنعون عن إخراج الصدقة أو دفع أى شئ إلى الغير وقـالوا كما ورد فى القرآن الكريم "وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلال مبين"[1].

إن الزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام. وعبادة من عباداته. ودعامة من الدعائم الخمس التى قام بناء هذا الدين- ومنكر الزكاة كافر. ومانعها آثم لأنها تكليف اجتماعى. شرعها الله تزكية للنفوس. وتطهيراً للمال. وتطييباً لقلوب الفقراء. ونزع الحقد والحسد من نفوسهم. لأن الزكاة حق معلوم. للسائل والمحروم وهذا النظام فيه من التكافل الإجتماعى ما يجعل الفقراء يحسنون الظن بالله سبحانه فلا تتطلع أعينهم إلى أموال الأغنياء يسرقونها. أو ينهبونها أو يفسدونها. والزكاة نظام إسلامى لم يسبق بنظام يشبهه. إنه يقرب بين الطبقات ويؤلف بين القلوب. والزكاة فرض عين على كل من توفرت لديه- الملكية- والنصاب- وأن يكون فاضلاً عن حاجاته الضرورية. وحال عليه الحول. ومن مات وعليه زكاة أخرج ورثته الزكاة من ماله قبل توزيع التركة ففى الحديث حصنوا أموالكم بالزكاة- وداووا مرضاكم بالصدقة. واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع"[2].ويقول عليه الصلاة والسلام "إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم"[3] ويؤكد النبى صلى الله عليه وسلم على أن إخراج الزكاة بنفس طيبة. ويد سخية. وقلب طاهر. يدخل الإنسان الجنة. فقد سأل أبو أيوب النبى صلى الله عليه وسلم. بقوله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة؟ قال. تعبد الله لا تشرك به شيئا. وتقيم الصلاة. وتؤتى الزكاة. وتصل الرحم"[4] والذين يمتنعون عن إخراج الزكاة.

---

(1) حديث متفق عليه **(2) رواه البيهقى**

(3) سورة العاديات 8 **(4) سورة ابراهيم 22**

يحل بهم الدمار. والخراب والأمراض. ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "يا معشر المهاجرين. خصال خمس إن ابتليتم بهن. ونـــزلن بكم. وأعوذ بالله أن تدركوهن. لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بهـــا إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين. وشدة المؤنة. وجور السلطان. ولم يمنعوا لزكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء. ولولا البهائم لم يمطروا. ولا نقضوا عهد الله. وعهد رسوله. إلا سلط عليهم عدو من غيرهم. فيأخذ بعض ما فى أيديهم. وما لـــم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم"[1] ويتبين لنا مـــن مشـــروعية الزكاة– إنها. طعمة للفقير المريض الذى لا يقـــدر علـــى العمـــل. لـــذوى الاحتياجات الخاصة. لأرملة. لليتيم. لبناء المصانع. وشراء مـــواد الإنتـــاج. وفى استصلاح الأراضى الصحراوية وتحويلها إلى أرض صالحة للزراعة. وحفر الآبار. وكل ما من شأنه يحول الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة... هناك فئة من الناس. وسع الله عليهم. لكنهم لا يخرجون الزكـــاة. اســـتجابة لهمس الشيطان فى أذنهم. ولأن المال حبيب إلى النفس وهى بإنفاقه شـــحيح. لبخلها وظناً منها أن المال يطيل عمر الإنسان. يقول الله فى أمثاله "وإنه لحب الخير لشديد"[2] ومن منع زكاة ماله فقد خسر الدنيا والآخرة. ويأتيه الشيطان عند احتضاره كأنه له مرشد. حتى إذا شعر بالعذاب والهوان والنزول إلـــى سقر. أسوأ مكان فى جهنم ساعتها يقول له الشيطان كما حكى القرآن الكريم "وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق. ووعدتكم فأخلفتكم. وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستحببتم لى. فـــلا تلومـــونى ولوموا أنفسكم. ما أنا بمصرخكم وما أنـــتم بمصـــرخى إنـــى كفـــرت بمـــا

---

(5) سورة المؤمنون 55،56

أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم"[1] وإذا كان الإنسان قد أعطاه الله. ووسع عليه. لكنه ضن به فى المساهمة فى الأعمال الإجتماعية. وبخــل به على الفقراء وأصحاب الحالات الخاصة. زاعماً أن المال ماله. وأنه حصل عليه بتعبه وأن الله ساعده لأنه على خير. نذكر هــؤلاء بقــول الله ســبحانه "أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم فــى الخيــرات. بــل لا يشعرون"[2].

ونقرأ قصة قارون فى سورة القصص من الآية 76---- والآيات من سورة التوبة ومنهم الذى عاهد الله. لو آتاه من فضله سوف يتصدق. وعندما أصبح المال فى يده بخل. وانتفخت أوداجه. ومنع الزكاة. وقال تعبى وشقائى ماذا كانت نتيجته. والآيات فى القرآن كثيرة ومتنوعة. فى سورة التوبة-75- . ولهذا المعنى يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم "من تصدق بعدل ثمرة. من كسب طيب. ولا يقبل الله إلا الطيب. فإن الله يقبلها بيمينه. ثــم يربيهــا لصاحبها كما يربى أحدكم فُلُوّه (هو المهر عند ولادته) حتــى تكــون مثــل الجبل"[3] وكان يحث أصحابه على الصدقة. فيقول لأصحابه. وللدنيا بأسرها "صنائع المعروف. تقى مصارع السوء. والصدقة تطفئ غضب الرب. وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صدقة. وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة. وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فــى الآخــرة. وأول من يدخل الجنة أهل المعروف"[4] ويقول لهم "صدقة السر تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى"[5] إن الأزمات التى تظهر فى أى مجتمع. مثل- البطالة. انتشار العنوسة. التفلت الأمنى. أزمة المواصلات. أزمة التراخى والكســل.

---

(1) حديث متفق عليه **(2)، (3) رواهما الطبرانى**
(4) رواه الطبرانى

وغير ذلك من الأزمات التى انتشرت فى المجتمعات. سبب ذلك ضعف الهمة- فقد المروءة- إنهيار. الإقتصاد. وتصدعه. وخلخلة المؤسسات عامة وعدم قدرتها على المواجهة. وتخلف الإنتاج وقلته. ماذا يصنع الناس؟. سيصابون بالتخلف. يأكلون من إنتاج غيرهم. ويتحكم فيهم. وينتشر بينهم أزمة الثقة. وكل شخص مشغول بنفسه. فتنتشر الأمراض الفتاكة ويبحثون عن العلاج. وهو من إنتاج غيرهم. ولابد من دفع الثمن. فأين المال؟ وهنا ينخر المرض فى جسم الأمة فتضعف وتنهار. ويقام عليها مأتماً ولن يبكى عليها أحد. لأنها تخاذلت وأهملت. وعصت ربها. ولنا فى سورة سبأ عبرة وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم درس وعظة. وذلك فى قوله "خمس بخمس. قيل يا رسول الله. ما خمس بخمس؟ قال. ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت. ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر. ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين"[1] إن الأزمة تحل- بالتعاون- والمال- لهذا كان الإسلام حريصاً على ربط القلوب بالحب- والتعاون. ثم تسخير المال لخدمة المجتمع والله سبحانه هو الخالق للإنسان وأقدر على حفظه ورعايته. وإدخال السرور عليه. حتى يعيش سعيداً. لهذا شرع الزكاة. وأمر بإخراجها. وشدد النكير على مانعها لأنه سبب لإلحاق الضرر بالمجتمع. والمسلمون اليوم. لو نظموا إخراج الزكاة لأصبحت بلادهم من أرقى أنواع الأمم وتنظيمها وعمل المشاريع الخيرية. والمصانع الكبرى. من هذه الزكاة. وأهم من كل ذلك "تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة" إن أولاد الشوارع فى المجتمع الإسلامى يشكلون أعظم مشكلة وأخطر وضع اجتماعى. ونحن كمسلمين

عندنا نظام اقتصادى رائع. لكننا لم نستطع أن نوظف الزكاة فـــى وضـــعها الصحيح ولو فعلنا لقضينا على مشاكلنا فبنينا المســـاكن. وتـــزوج الشـــباب. وشغلنا الأيدى العاملة. إن الإنفاق فى سبيل الخير طريق للزيادة ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من يوم يصبـــح العبـــاد فيـــــه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما– اللهم اعط منفقاً خلفاً. فيقول الآخر اللهم اعـــط ممسكاً تلفاً"(1)

إن العيب فى المسلمين. لأنهم لم ينظموا حياتهم. وهم يقومـــون بخلـــع الشجر المثمر الذى له ظل. ويستبدلونه. بشجر لا ثمر فيه ولا ظـــل منـــه. وعندهم نظام اقتصادى يغنيهم. ويجعلهم من أقوى بلاد العالم. فالعيب فينـــا. وإسلامنا عظيم وكامل ولذلك قال القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

نتضرع إلى الله أن يأخذ بأيدينا. ويوفقنا للعمل والإنتاج الجيد.

---

(1) حديث متفق عليه

مواقــف متعــددة

رسول الله صلى الله عليه وسلم واجه مشاكل لا حصر لها. وقد بين الله ذلك لنكون على دراية تامة. بأن أشد الناس بلاء. الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. ولهذا قال الله سبحانه "حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جــاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين"[1] ويقول ســبحانه "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب"[2] هكذا بربى الله الرسول والمؤمنين به الذين يسيرون على هديه ويتبعون سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حيث كان يتغلب علــى الشــر بتذكير المسلمين بالله. واليوم الآخر. والأخوة وحقوقها. من ذلــك. أن الأوس والخزرج كان بينهم فى الجاهلية صراع أدى إلى حرب يوم بعــاث. وكــان الذين يشعلون نار هذه الفتن والحروب هم اليهود. لماذا؟ ليبيعون لهم السلاح. ومن ليس عنده مال يشترى به السلاح. فليرهن- ولده أو يرهن زوجتــه. أو يرهن بيته- أو أرضه. ولهذا يقول الله عنهم بأنهم يشعلون نار الحرب فى أى مكان فلديهم القدرة على ذلك. وجبلت نفوسهم على هذا. يقــول الله ســبحانه عنهم "وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله. ويسعون فى الأرض فساداً. والله لا يحــب المفســدين"[3] هــذه طبائعهم. وهذا دأبهم لذلك عز عليهم أن يتعايش "الأنصار" الأوس والخزرج

---

(1) سورة يوسف 110 **(2) سورة البقرة 214**

(3) سورة المائدة 64

فى أخوة ومحبة وتعاون بينهم وبين المهاجرين. وكان سؤالهم- لمــن نبيــع أسلحتنا. ولمن نبيع الغدر والخيانة إذا تآلف هؤلاء. إذا فالوقيعة بيــنهم أهــم شئ. وإشعال نار الفتنة أعظم شئ- ونقل الأخبار الملفقة المكذوبة بينهم أقوى سلاح حتى تكون القطيعة والخلاف. والتراشــق بالكلمــات. ثــم النهــوض بالسلاح. وعندها يبحثون عنا. ونتعامل سراً. وبالربا الفاحش حتــى نمــتص دماءهم ونجفف جيوبهم. ونستولى على ما نقدر عليه من مال وأرض وعقار. ورهن ما عندهم. هكذا يفكر اليهود- لذلك بذلوا جهدهم فى إيجاد أزمة.

كان شاس بن قيس رجلاً يهودياً مسناً شديد العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم. عظيم الحقد وعلى المسلمين مــرّ علــى جماعــة- مــن الأوس والخزرج. وهم فى مجلس واحد. يتحدثون ويتضاحكون فغاظه ذلك. لما رآه من ألفتهم. وتوحدهم. واتحادهم. وأن الإسلام جمعهم على هذا الحب وإصلاح أحوالهم. وقد تم لهم ذلك فى ظل الإسلام. وعلى يد محمد بن عبد الله.. إنــه بهذا الأمر لن يكون لهم عندنا حاجة. وستبور تجارتنــا. وتمتلــئ مخازننــا بالأسلحة التى تشترى. إذا لابد من عمل على الفور. استدعى أحــد شــباب اليهود. وقال له. إذهب إلى هذا الجمع واجلس بينهم. وذكرهم بيوم "بعــاث" وما كان فيه. ومن قتل من؟. واقرأ عليهم من الشعر الذى قاله الشعراء هــيج مشاعرهم وحرك أحاسيسهم. وذهب الشاب. وفعل وقال. وتكلم. ومَثّل حالــة الأمهات والزوجات وما أصابهم من لوعة. وهنا ثارت الثائرة. وتطاول الناس على بعضهم. حتى قال أحدهم. إن شئتم رددناها الآن جذعة. يعنى نشعل نار الحرب قوية ونعلن حتى يأخذ كل واحد ثأره. وتواعدوا على الظاهرة يعنــى وقت الظهر. حتى نأتى بالسلاح. واستعد كل فريق. وضم إلى صــفوفه مــا أمكن من البشر وكادت تنشب حرباً أهلية.- أزمة خطيرة. النفوس غاضــبة.

والسلاح فى الأيدى والقلوب مليئة بالغيظ. بلغ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء مسرعاً. ومعه بعض المهاجرين. ووقف على مكان عالٍ وقال. الله. الله. أيها الناس. أبدعوى الجاهلية. وأنا بين أظهركم. أبعد أن هداكم الله للإسلام. وأكرمكم به. وقطع عندكم أمر الجاهلية. وأستنقذكم به من الكفر. وألف بين قلوبكم، أتعودون إلى الكفر يضرب بعضكم بعضاً.. لقد تنبه الناس وعرف القوم أنها نزعة من الشيطان. وغرس يهودى خبيث ماكر لئيم. وكيد دبر لهم هذا اللئيم هذه المكيدة حتى وصلوا إلى هذا الحد لكن الرسول صلى اله عليه وسلم تداركهم وبعد أن سمعوا صوته بكوا. وقاموا يتعانقون ثم اتجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحاطوا به. وأعلنوا أسفهم وندمهم وتابوا إلى الله"[1] حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم أطفأت نار العدو – وردت كيده إلى نحره.

هذا نموذج من كيد اليهود. وخلق الأزمات. ووضع العراقيل فى طريق المسلمين. لأن اليهود كانوا ينشرون الأكاذيب ويبثون الإشاعات ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين. كما كانوا يؤمنون أول النهار ويكفرون آخره ليبثوا بذور الشك فى قلوب الضعفاء. ولكن الله. وفق رسوله على كشف حيلهم. وإبطال ألاعيبهم. لذلك على كل شخص أن يكون إيجابياً فى حياته. يسهم برأيه فى سبيل الصالح العام. يأمر بالمعروف ويحث على المتمسك بالقيم الأخلاقية. وينهى عن المنكر ويحمى وطنه من كيد الخارجين على الأمن. الذين يحرقون بيوت الآمنين ويدمرون سيارات المواطنين. ويستعملون الأسلحة الفتاكة ويزعجون الكبار والصغار. وقنابلهم لا تفرق بين مسلم أو غير مسلم ذكر أو أنثى. طفل أو شاب. فعلى أى إنسان أن يحاول نصح

(1) سيرة ابن هشام ج1 بتصرف

هؤلاء يذكرهم بالله وآياته. واليوم الآخر وأهواله. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه. التقوى ها هنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[(1)]

ويقول عليه الصلاة والسلام "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار"[(2)] ويقول عليه الصلاة والسلام "إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم. فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً. قال الراوى. فقلنا. يا رسول الله. هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال. إنه قد أراد قتل صاحبه"[(3)] وقوله صلى الله عليه وسلم "من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة"[(4)] إن الإسلام دين أمن ومحبة وسلام. ولا يقر العنف. ولا الإرهاب.

أزمة المواصلات

المواصلات هى وسيلة الانتقال من مكان إلى مكان. قد تكون المسافة قريبة. أو بعيدة وقد ذكرنا ربنا بوسائل المواصلات فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وهى– الخيل. والبغال. والحمير. والجمال. وقد أشار القرآن إلى الوسائل الحديثة– كالطيارة. والسيارة. والقطار. إجمالاً فى قوله سبحانه "والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين

---

(1) رواه الترمذى
(2) حديث متفق عليه
(3) حديث متفق عليه
(4) رواه الطبراتى
(5) سورة النحل 5–8
(6) سورة غافر 79–80
(7) سورة الزخرف 12–14

تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. إن ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون"[1] ويقول سبحانه "الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون. ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون"[2] ويقول سبحانه "والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه. وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون"[3] إلى غير ذلك فى آيات القرآن الكريم. يبين لنا من نعمه علينا من وسائل المواصلات وهى زينة كذلك لنا لأن منافعها كثيرة. والرسول صلى الله عليه وسلم واجهته أزمة فيها. وحلها. وقضى عليها, كما حل كل الأزمات التى واجهته عند بناء مجتمع المدينة. وهو يؤسسه على الهدوء والاستقرار وتعالوا نتعلم من هديه صلى الله عليه وسلم كيف حل هذه الأزمة وبسهولة. ويسر دون تعقيد. وقد حلها بأسلوبين- **الأول:** فى غزوة بدر. كان عدد المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين "313" ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وروى ابن اسحاق انهم كانوا "314" وكان مع هذا العدد (سبعون بعيرا وفرسان) فكيف نقل هذا العدد- وهذه أزمة. لأن المسافة طويلة.

فقد اهتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحل. وهو كل ثلاثة يتعاقبون على بعير واحد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب. ومَرْثد بن أبى مرثد الغنوى على جمل واحد.. ولما لم تكن الساعة قد عرفت. فقد روا للراكب أن يقرأ جزءاً معيناً من القرآن ثم ينزل

فيركب الثانى. ثم ينزل ويركب الثالث. وهكذا. وقد قال علـــى ومرشـــد. يـــا رسول الله- اركب أنت (على طول الطريق) ونمشى عنك. فقال لهما ما أنتما بأقوى على المشى متى. ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما"[1] سماحة. وعدالة. وثقة. لأن غزوة بدر مليئة بالأحداث العظيمة. والأزمات الشديدة ولكن حكمة رسول الله. يسرت الأمور. وسهلت الأحداث. وجعلت الجمال فى كل حركة. والذوق سبيل للتفاهم.

الحل الثانى: لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم إدارة أى أزمة يتنبأ بها قبل وقوعها بهدوء. وبُعد نظر. وبتخطيط دقيق "الاستشعار من البعد" ولهذا يتبين لأى دارس "منصف" أن الدولة الإسلامية التى كونها رســـول الله صلى الله عليه وسلم. فمنذ تأسيسها. يجد الدارس ما لا يحصى ولا يُعد مـــن أصول منهجية لعلم "إدارة الأزمات" مؤسس على أصول البحث العلمى. وكان سبب نجاح النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك اعتماده على:

1) الله- الذى علمه ما لم يعلم. وهداه النجدين. وشرح صدره. ووفقه إلى الخير. وصدق الله العظيم "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.. ومن يتوكل على الله فهو حسبه"[2]

2) إشراك الصحابة ومشاورتهم فى الرأى الذى يطرح للحـــل لأن هـــذا توجيه من الله سبحانه حيث قال سبحانه "فبما رحمة من الله لنت لهـــم. ولـــو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم. وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"[3] ويقول سبحانه "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شـــورى بينهم ومما رزقناهم

---

(1) الروض الأنف للسهيلى **(2) سورة الطلاق 2، 3**

ينفقون"[1] إن المشورة حصن من الندامة. وأمان من الملامـــة. يقــول أحــد الحكماء "ما خاب من استخار. ولا ندم من استشار. لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرك أصحابه ويشاورهم. وينزل على رأيهم. ويدر بهم على العمل الجماعى. وأهم مظاهر العمل الجماعى فى الصلاة. فى الصيام. فــى الحج. لأن يد الله مع الجماعة. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليــه وســلم يتوسع فى نطاق المشاورة. لأنها خير وبركة فى العمل الــذى يعــود علــى المجتمع بالخير والأمن والسلام.

3)لقد كان لنجاح النبى صلى الله عليه وسلم فى حل أزمة المواصـــلات أثر عظيم. ولذلك نسمعه يقرر إذا أراد أن يغــزو "يــا معشــر المهــاجرين والأنصار. إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال. ولا عشيرة. فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة. فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عقبة لعقبة.. يعنى يحمــل أحدكم أخاه أو أكثر حسل قدرته وما عنده من ظهــر. قــال راوى الحــديث فضممت إلى إثنين أو ثلاثة مالى إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملى"[2] وعــن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينما نحن فى سفر إذ جاء رجل على راحلته. فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم "من كان معه فضل ظهر. فليعد به على من لا ظهر له. ومن كان لــه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له" فذكر من أصناف المال ما ذكر. حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل"[3] وعنه عليه الصلاة والسلام "إنه إذا كان فى سفر يتخلف فى المسير فيزجى الضعيف ويردفه ويدعو له"[4] يعنى يركب خلفه الذى لا يقدر على المشى لضعفه.

---

(1) سورة آل عمران 159 **(2) سورة الشورى 38**
(3) رواه أبو داوود **(4) رواه مسلم**
(5) رواه أبو داوود

أزمـــة الأميـــة

الأمية- يعنى- عدم معرفة القراءة والكتابة. وأى مجتمع بهذه الصـــورة مجتمع محكوم عليه بالانهيار والضياع. ولهذا حرص الإسلام دائما علـــى أن ينبه على فضل العلم. ورفعة مكانة العلماء. وصرح وأشار فى أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشير إلى القراءة والكتابة فيقول الله سبحانه "إقــرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. إقرأ وربـــك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم"[1] لذلك وجـــه رســـول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتعلموا لأنهم هم الجسور الموصلة لتعـــاليم السماء. وهدى النبى صلى الله عليه وسلم إلى العالم. وتسابق المسلمون فـــى تعلم العلم. وحفظ القرآن. ونقل الحديث النبوى. ومع ذلك فهم فهموا قول الله سبحانه "وقل رب زدنى علماً"[2] ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا. نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة. ومن يسر على معســـر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة. والله فى عون العبد ما دام العبد فى عـــون أخيه. ومن سلك طيقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة. ومـــا اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله. ويتدارسونه فيما بينهم إلا حفتهم الملائكة. ونزلت عليهم السكينة. وغشيتهم الرحمة. وذكرهم الله فـــيمن عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[3] إن شعار المسلم. "مع المحبرة حتى المقبرة".

([1]) سورة العلق 1- 5 **(2) سورة طه 114**

(3) رواه مسلم والنسائى والترمذى

(4) امتاع الأسماع للمقريزى بتصرف، والروض الأنف ج3

ولهذا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفيد من اى موقف يسهم فى الإرتقاء بالمستوى الأدبى. ويمحو أمية الأميين. ويعلم الكبار لتكون هناك نهضة تقوم على العلم. والثقافة والمعرفة- ففى غزوة بدر وقع أسرى من المشركين. وأصبحوا فى أيدى المسلمين وعليهم أن يقدموا فداء ليفتدوا أنفسهم. لكن بعضهم فقراء ليس عندهم مال. فقال لهم رسول الإنسانية. ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم كل واحد منكم يعلم عشرة من غلمان المسلمين الكتابة ويكون هذا فداؤه وكان فداء الأسير أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف- إلى ألف- كل شخص حسب قدرته المالية. وكان من أهل مكة كثير يكتبون. وأهل المدينة لا يكتبون. وهنا تم محو أمية الكثير. وتعليم الكبار"[(1)]

إن المجتمع الإسلامى اليوم فى حاجة ماسة إلى أن يستحضر هذا الموقف العظيم. وأن تجتهد فى محو أمية الأميين. لأنه من العيب أن نكون نحن أمة "إقرأ" وعندنا أكثر من 50% خمسين فى المائة لا يقرءون ولا يكتبون والبعض يستعمل البصمة والآخر يستعمل الخاتم. ثم نتكلم عن الجامعات وعددها والمدارس وكثرتها ومع ذلك فإن الخريجين ليس لديهم معرفة بحقائق الإسلام. بل هم فى أمية دينية. كل ذلك يجعلنا ننادى تعلموا واو أصبح سنكم "100" مائة عام. لأنه لا يستوى الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. فيا أمة "اقرأ" هلموا إلى العلم وساحاته. حتى يرفع الله أقداركم وتبنون أمنكم على العلم. والصناعة. والزراعة والتجارة ف ظل أخوة كريمة. ومحبة وتعاون. وعلم وثقافة.

فإنه بالعلم والمال يبنى الناس ملكهموا

لم يبن ملك على جهل وإقلال

الأزمـــة الطاحنـــة

فى السنة الخامسة للهجرة. وقعت غزوة "المريسيع" ويقال غزوة "بنـــى المصطلق" وسبب هذه الغزوة.. أن سيد بنى المصطلق جمع القبائل.. وتألف الناس. باعتباره سيد بنى المصطلق وهو "الحارث بن أبى ضرار". والغرض من تجميع الناس حوله ليقودهم فى حرب مهلكة للمسلمين والغزوة- هى أى موقعة حربية قاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فيها جيش المسلمين.

والسرية- هى مجموعة من المحاربين يؤمر رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أحدهم عليهم، وهل الإسلام انتشر بالسيف- لا- والرؤية أمـــام أعيننـــا واضحة. فالأعداء هم الذين يزحفون على المدينة. والمسلمون دائماً فى حالة دفاع- لقول الله سبحانه "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"[1] ثم إن الله سبحانه بين لنا فى القرآن الكريم- الحلال الذى يجب أن تعمله. كما بين الحرام الذى يجب علينا أن نبتعد عنه- ثم قـــال " لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى"[2]

وفى غزوة المريسيع - حدثت أزمات أعظمها حادث الإفك- لكننا نشير إلى الأزمات ليتبين لنا- كيف واجه النبى صلى الله عليه وسلم هذه المواقـــف بحزم. مع الهدوء- وعدم الانفعال. ولم يضق صدره أبدا أمام هذه الأزمـــات المتكررة.

قـــول المنافقين

إن خلق الأزمات وابتكارها من ألاعيب اليهود- وابتكـــار المنـــافقين - والغرض من ذلك- صرف اهتمامات القيادة من التفكير- فى خلق مناخ مريح

---

(1) سورة البقرة 190 **(2) سورة البقرة 256**

تجد فيه كل يد عملاً. وكل عقل متفجر بابتكارات وإنتاج يسهم فى تقدم الأمة والنهوض بها. ثم إن ابتكار الأزمات فى إثارة لبلبلة فكرية- وإحباط نفسى. وشعور بجو مشحون بالإنهزامية- وهنا تتعطل الطاقات. ويضيع الوقت. لهذا رأينا الصف النفاقى يحدث بلبلة لكى يصرف طاقة القيادة عن العمل البناء. وإيجاد حالة من عدم الاستقرار. ويصاب المجتمع بحالة من الكسل. والتأخير فى أداء أى مهمة.

إن فن صناعة الأزمات مقصود به. السيطرة على الآخرين. وابتزازهم وإخضاعهم لفكرهم. ولذلك تجد صناع هذا الفن. يتخيرون الوقت غير المناسب لخلق جو تصادمى. فى مرحلة من حالات عدم التوازن. وخير مثال على ذلك.

المسلمون فى حالة فرح بسبب نجاحهم فى غزوة بنى المصطلق. والغنائم كثيرة. وليست عند المسلمين أى خسائر. وقد ذهب بعض غلمان من المهاجرين يستقون من بئر- وهناك على البئر بعض حلفاء للأنصار. فتشابك الطرفان. كان عبد الله بن أبى بن سلول "زعيم المنافقين" يرى هذا المنظر ومعه بعض أعوانه. ورأى أن المهاجرين انتصروا. فنظر إلى الناس وقال "ما رأيت كاليوم مذلة "أى وضاعة". والله إن كنت لكارها لوجهى هذا ولكن قومى قد غلبونى. وها قد فعلوها. وقد نافرونا. وكاثرونا فى بلدنا. وأنكروا نيّتنا والله ما صرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل...

"سمن كلبك يأكلك" والله لقد ظننت أنى سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف جهجاه وأنا حاضر لا يكون ذلك متى غِيَر- والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.. ثم أقبل على من حضر من قومه. فقال. هذا ما فعلتم بأنفسكم. أحللتموهم بلادكم ونزلوا منازلكم. وآسيتموهم فى

أموالكم حتى استغنوا. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غيـر بلادكم. ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلتم دونهم. فأيتمتم أولادكم. وقللتم وكثروا"[1].. أزمة خطيرة. وفتنة كبيرة. وكلام ينم عن حقد. وحسد. وكراهية. كان بين القوم صبى لم يبلغ العاشرة من عمره هـو "زيد بن أرقم". فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث. وكان حولـه جماعة من المهاجرين والأنصار. فتغير وجهه. ثم قال. يـا غـلام. لعلـك غضبت عليه؟ قال. لا. والله قد سمعت منه. قال. لعله أخطأ سمعك؟ قال لا يا نبى الله. قال لعله شبه عليك؟ قال. لا والله يا نبى الله. لقد سمعت منه. وشاع هذا الأمر فى المعسكر. ما قال ابن أبى. حتى ما كان للناس حديث إلا هـو. وأنب جماعة من الأنصار "زين بن أرقم" الغلام. وقال "عمر بن الخطاب" يا رسول الله. مر "عباد بن بشرى" فليأتك برأسه. فكره رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ذلك وقال- لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه- وبلغ الخبر ابن أبى- ما نقله عنه زيد بن أرقم. فذهب مسرعاً إلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم وحلف بالله ما قال. عندئذ تحرك رسول الله بجيشه. وهذه ساعة ما كان يتحرك فيها بالجيش أبدا. وكان يظهر عليه الغضب لخوفه من حـدوث شئ لا تؤمن عواقبه. فأدركه عمر بن الخطاب. عند شجره يتفيـأ ظلالهـا. وغليم أسود "يدلك ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمـر كأنـك تشتكى ظهرك. فقال- تفحمت بى الناقة الليلة. فقال عمر. يا رسول الله- إئذن لى أن أضرب عنق ابن أبى- فقال- لا يتحـدث النـاس أن محمـدا يقتـل أصحابه. وجاء سعد بن عبادة- وقال. يا رسول الله ساعة ما كنـت تـروح فيها. فقال- أولم يبلغك ما قال صاحبكم ابن أبى- زعم أنـه إن رجـع إلـى

(1) إمتاع الأسماع

المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل- فقال- سعد. فأنت يا رسول الله تخرجـــه إن شئت. فهو الأذل. وأنت الأعز. يا رسول الله. ارفق به. فوالله. لقد جـــاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز. ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عنـــد يوشع اليهودى. ليتوجوه. فما يرى إلا إنك قد سلبته ملكه"[1].

كان زيد بن أرقم يحاول أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه ليؤكد له أنه صادق. والناس ينظرون إليه على أنه زاد فى نقل الكلام. وأدرك زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه كان فى حالة تلقى الـــوحى. فلمـــا سُرّى عنه أخذ بإذن زيد. وقال- وفت أذنك يا غلام. وصدق الله حديثك ونزل فى ابن أبى "إذا جاءك المنافقون" السورة كلها. وكان عبادة بن الصامت قـــد قال لابن أبى- لو أنك أتيت رسول الله يستغفر لك. فلوى رأسه معرضا فقال عبادة لينزلن فى لىّ رأسك قرآنا يصلى به أبدا. وبـــدأ النـــاس لا يكلمونـــه. احتقاراً لشأنه. وجاء عبد الله. بن عبد الله بن أبى بن سلول فقال- يا رســـول الله. إن كنت تريد أن تقتل أبى. فيما بلغك عنه. فمرنى به فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا والله لقد علمت الخزرج. ما كان فيها رجل أبر بوالده منى وإنى لأخشى يا رسول الله. أن تأمر غيرى فيقتله. فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس. فأقتله فأدخل النـــار وعفـــوك أفضل. ومنك أعظم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. مـــا أردت قتلـــه. وما أمرت به. ولتحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال- عبد الله- الإبـــن. يا رسول الله- إن قفومى كانوا قد اتفقوا أن يتوجوا أبى ملكا عليهم. فجاء الله بك فوضعناه- ورفعناك وإن أبى معه قوم يطيفون به يذكرونه أموراً قد غلب

---

(1) سيرة ابن هشام ج3 بتصرف

الله عليها"[1] حدث ضخم. له دلالته. وأبعاده الإجتماعية. وأزمة خطيرة. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تداركها بحكمته. وعالج الموقف بفطنة وبعد نظر. ومن دلالتها أن كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام فليحذر أن يؤت الإسلام من قبله- المهارة فى تنبيه القيادة إلى ما يخطط ضدها. والدقة فى النقل. حماية

للدين. حتى ولو كان المتآمر أب- أو أخ- أو عم- فالدين عند المسلم أهم من كل شئ وقد يكون العفو من القيادة عن المسئ يؤلف القلوب. ويجمع النفوس. ويجعل التآلف حقيقة واقعة. فلنكن مع الله يكن الله معنا بنصره وتوفيقه ورعايته للصالحين. لأنه سبحانه "يدافع عن الذين آمنوا".

ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن مواجهة الأزمات. والوعى بها شئ ضرورى. لنقضى على الشائعات. ونتفادى المزيد من الخسائر. ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم واضحاً فى تصرفاته فى كل أزمة. بلباقة يحول الموقف السلبى إلى إيجابى. وعنده أمل عظيم فى الله. وثقة به وكان دائماً متفائل يعمل جهده على السيطرة على الأزمة. والقضاء عليها. وتأمين الجماعة. والاستفادة من الموقف ولذلك فى غزوة بنى المصطلق.

فقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الإبل. وبحث المسلمون عنها قلم يجدوها. وهنا ظهر المنافقون وقالوا للمسلمين. أفلا يخبره الله بمكان ناقته؟ فأنكر المسلمون على المنافقين هذا القول. وأسمعوهم كل

(1) سيرة ابن هشام- وإمتاع الأسماع بتصرف وابن سعد فى طبقاته

مكروه. وهموا أن يتشابكوا بالأيدى. لكن أحد المنافقين. ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمى به من غضب المسلمين. وكان الوحى قد نـزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما حدث. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله صـلى الله عليه وسلم. وقال. ألا يخبره الله بمكانها؟ فلعمرى. إن محمدا ليخبر بأعظم من شأن الناقة. ولا يعلم الغيب إلا الله وإن الله قد أخبرنى بمكانها. وإنها فـى هذا الشعب مقابلكم. قد تعلق زمامها بشجرة. فذهبوا فأتوا بها من حيث قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. والمنافق يسمع ويشاهد. ومع ذلـك ظـل على نفاقه. لأن الضمير مات. والقلب عليه ران بسبب النفاق. وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

حديـث الإفـك

إن أخطر شئ فى حياة البشر. النفاق- لأن المنافق يعيش بوجهين. كما قال ربنا سبحانه:إذا لقوا الذين أمنوا قالوا آمنا. وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يسـتهزئ بهـم ويمـدهم فـى طغيـانهم يعمهون"[2] والمنافق مريض القلب ميت الضمير. غائب العقل. مفسـد فـى الأرض. لا يحب الخير لأحد أبداً إذا دخلوا على مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيوه بما لم يحيه الله به[3] فيقولون "السام عليكم" فيرد علـيهم

---

(1) إمتاع الأسماع بتصرف
(2) سورة البقرة 14،15
(3) سورة التوبة 61
(5) سورة محمد 16
(4) طبقات بن سعد ج2
(5) سورة محمد 29،30

"وعليكم" وقالوا كما حكى القرآن عنهم- عن النبى صـــلى الله عليـــه وســـلم "ومنهم الذين يؤذون النبى. ويقولون هو أذن. قل أذن خير لكم يـــؤمن بـــالله. ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم"(1) وكان المنافقون- إذا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم- يتساءلون ويقولون بتهكم وسخرية "ماذا قال آنفاً" إلى هذا الحد. يبين الله ذلك بقوله "ويتهم من يستمع إليـــك حتـــى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبـــع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم"(2) فالمنافقون شر خطير ولذلك. لا يساهمون فى أى عمل تطوعى خيرى. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى. يراءون الناس. وإذا فيل لهم آمنوا بصدق ويقين كما آمن الناس. يقولون. أنؤمن كمـــا آمـــن السفهاء. "زعيم هذه الفئة0 عبد الله بن أبى بن سلول- هو الذى أسس النفـــاق ونشره ووضع له ضوابط وقواعد زعيم المنافقين هذا له ولد يسمى "عبد الله" مسلم بصدق. ويقين. طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل أباه. بعد أن قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولده- نعفو عنه من أجلك. هكذا يصـــنع الإيمـــان. وتكـــون المواقف البطولية الإيمانية. وموقف سجله التاريخ لعبد الله بن أبى الإبن. أنه ضيق على أبيه الطريق- حتى وقفا وجهاً لوجه- وقال الولد لأبيه. لا أفارقك حتى تعترف أنك الذليل وأن رسول الله هو العزيز. وسمع رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ذلك فأسرع إليهما. وقال لولده- دعـــه- فلعمـــرى لنحســـنن صحبته ما دام بين أظهرنا"(3) إن المنافقين كانوا يظنون أن أحـــدا لا يعـــرف أمرهم. لذلك تمادوا فى التآمر على المسلمين. وغاب عـــنهم أن الله يعـــرف

---

(1) طبقات بن سعد ج2 **(2) سورة محمد 29،30**
(3) سورة التوبة 107-109

سرهم ونجواهم ذلك لأن فى قلوبهم مرضاً. فــزادهم الله مرضــاً. لكــن الله سبحانه كشف أمرهم. وهتك سترهم. وقال لحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم. بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم"[(1)].

وإمعاناً منهم فى الضلال. والتستر. والكتمان ورسم الخطط ضد الإسلام ونبيه. ونشر الإشاعات. وترويج الأكاذيب. بنوا لأنفسهم مسجداً سماه القرآن "مسجد الضرار" لأنهم يرسمون لأنفسهم الأسلوب الأمثل فى إلحاق الضــرر بنبى الإسلام والمسلمين. يقول الله سبحانه فى حق مسجد الضرار "والــذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حــارب الله ورسوله من قبل. وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى. والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً. لمسجد أسس على التقوىٍ من أول يوم أحق أن تقوم فيــه. فيــه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين. أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين"[(2)]

إن المنافقين أخطر من اليهود. لأنهم يعلنون أنهم مؤمنون بــالله. وهــم كذبة وغرض المنافقين من ذلك:

1) إشاعة حالة من الإضطراب. بسبب الإشاعات الكاذبة.

2) نشر حالة من الإحباط بين المسلمين.

3) تقوية روح الإنهزامية بين المسلمين لإصابة المسلمين بحالــة مــن التدهور النفسى.

4) تمزيق الصف الإسلامى. وتنمية عناصر خوف الأخ من أخيه.

5) صرف الناس عن الداعية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
6) خلق مناخ فاسد يتسم بالبلبلة والشك وعدم الثقة المتبادلة بين الجميع.
7) النيل من القيادة العظيمة. وخلق أزمات من حوله لصرفه عن الدعوة.
8) التدفق فى المعلومات المغلوطة لخلق مناخ يتسم بسوء الظن. زالشك- والإنزعاج
9) فقد السيطرة على أفراد المجتمع وينفرط عقد الجماعة. وتتسع الأزمة، هذا هو الذى يهدف إليه المنافقون. أصحاب النفوس الميتة والضمائر الخربة. فى هذا المناخ أشيع كذباً "حادث الإفك".

ولم يكن من قبيل المصادفة. التشهير- بأم المؤمنين- الصديقة بنت الصديق الطاهرة العفيفة لأن المنافقين. وجدوا هذه الفرصة لا تعوض. خاصة وأنها رضى الله عنها مع أبيها الصديق من عوامل النصر. وتحقيق الخير للمجتمع. وكانا من أكبر الدعامات فى سبيل نصرة الحق. لأنه من المعلوم أن الأزمات تعطل عجلة التنمية. وتهدر الكثير من الوقت والطاقات الذهنية. ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حقق الكثير. والكثير من الإنتصارات. لذلك عمد المنافقون إلى صرف اهتمام القيادة من نشر روح المحبة. وإرساء دعائم نهضة. ولابد من اشغاله بفتن متلاحقة.

إن المنافقين كانوا ينظرون إلى المسلمين. نظرة حقد وحسد. ويحاولون إثارة الفتن. لأن نصر المسلمين كان شوكة فى حلوقهم. لذلك حاولوا إثارة الفتن. والتحرش بين المسلمين. والإساءة إلى مقام الرسول صلى الله عليه وسلم. ونشرا لمقالة حول عرضه. وكرامته. ويحاولون زلزلة الكيان الاجتماعى لأسرة تنعم بالهدوء والإستقرار. ولا شك أنه إذا أثيرت الشائعات

السيئة حول بيت النبوة. زالت عن جميع بيوت المسلمين ولهذا كان حـــادث الإفك أخطر ما خطط له المنافقون...

لقد كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وســـلم. عنـــد ســـفره- أو خروجه فى غزوة يصطحب إحدى زوجاته. وكان يجرى بين نسائه قرعـــة لمن تخرج معه وفى غزوة بنى المصطلق كان نصيب الطـــاهرة. الشـــريفة العفيفة الصديقة. المبراة من فوق سبع سماوات السيدة/ عائشة- أم المـــؤمنين أن تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة وبعـــد انتهـــاء الغزوة. وما تحقق فيها من نصر. رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلـــى المدينة وفى الطريق- بات ليلة- وعندما هموا بالرحيل فى الصباح البـــاكر كانت سيدتنا- عائشة- تقضى حاجتها فى الصحراء. وتحرك الجيش دون أن يفطن أحد إلى غياب سيدتنا- لأنها تأخرا ولم يفطن أحـــد لغيابهـــا ورفعـــوا هودجها وهى خفيفة ولم يلحظوا غيابها وسبب تأخرها أنها كانت تبحث عـــن عقد سقط من صدرها. فلما رجعت إلى مكانها. وجدت الجيش تحرك. وليس بالمكان أحد. فتلففت بجلبابها وجلست فى مكانها.

كان من تنظيمات الجيش الإسلامى أن يكون له مقدمة. تستطلع الطريق وتتعرف على أحسن الطرق وأيسرها. وكذلك مؤخرة الجيش- يؤمنون بـــه ظهر الجيش. وربما يكون قد تأخر أحد الجند لظروف خارجة عـــن إرادتـــه وشاء الله- أن يكون "صفوان بن المعطّل السلمى" يمر فـــى مكـــان نـــزول الجيش. ربما يكون هنا شئ نسيه الجند أثناء الإستراحة. فلمـــا رأى ســـيدتنا عائشة رضى الله عنها- استرجع- وقال ظعينة رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم. ثم قدم البعير. وأناخه. واستأخر. فركبت ثم تقدم وأخذ بخطام البعيـــر. وانطلق سريعاً يطلب الناس فأدركهم. لأنهم نزلوا يستريحون. قبـــل دخـــول

المدينة.. كون أنثى تكون وحدها. ويأخذها رجل يوصلها إلى منزلهـــا. أمـــر مألوف فى البادية ومعهود فى طرق القوافل. وكان الناس يحفظون أنفســـهم. ويتعففون عن العفيفات. لأن هناك صاحباة الرايات كثير. لمـــن أراد. فكـــان الرجل العربى. يحافظ على دينه. ويصون شرفه ويرد:

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى

حتى يوارى جارتى مأواها

ومثال من كون الرجل العربى يصطحب سيدة يوصلها إلى بيتها كثيـــرة خيرا من ذلك ما ذكرته سيدتنا- أم سلمة- وكان قومها منعوها من الهجـــرة إلى المدينة مع زوجها- فكانت تخرج كل غداة. تجلس فى الإبطح وتبكى لمدة سنة. إلى أن مر بها رجل من بنى عمومتها. فرأى ما بها. فرق لها. وقـــال لقومها. هذه المسكينة. فرقتم بينها وبين زوجها. وولدها. فقالوا لها. ارحلـــى إلى زوجك. وردّ أهل زوجها ولدها إليها. فارتحلت بعيرها. ووضعت ولدها فى حجرها. ثم اتجهت إلى المدينة وليس معها إلا الله. فلما كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن أبى طلخة. فقال لها. إلى أين- يا ابنة أبى أمية؟ قالـــت أريـــد أن ألحق بزوجى فى يثرب. قال- أو ما معك أحد؟ قالت معى الله. وابنـــى هـــذا فقال. والله مالك من منزل. فأخذ بخطام بعيرها. وانطلق يقود بعير أم ســـلمة وتقول فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل. أناخ البعير. ثم يستأخر عنها. فإذا نزلت آخر البعير فقيده فى شجرة. ثم يبتعد عنها وينام تحت شجرة. فإذا دنا الرواح. قام إلى بعيرها. فيقدمه إليهـــا فـــإذا استوت على ظهر البعير قاده. وهكذا. إلى أن وصل إلى قرية بنـــى عمـــرو "بقباء" وقال لها زوجك هنا فى هذه القرية. فادخليها علـــى بركـــة الله. ثـــم انصرف راجعاً- ولهذا كانت تقول عنه- ما رأيت صاحباً قـــط أكـــرم مـــن

عثمان بن أبى طلخة"[1] أخلاق عربية نبيلة. وتصرف يدل علـــى الشـــهامة والمروءة...

عندما وصلت سيدتنا عائشة. إلى الجيش. والأمر لا يسترعى انتباهاً ولا تعليقاً. لأنه أمر مألوف- لكن المنافقين انتهزوها فرصة سانحة لإثارة فتنـــة بين المسلمين- وخلق مشكلة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإضعاف الثقة فى أسرة سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وإضعاف ثقة المسلمين فى بعضهم. ولما رأى عبد الله ذلك- أشاع كذباً "حديث الإفك" وتناقله الناس. وأصبح على كل لسان.. وتورط فى الخوض فى هذا بعض المسلمين الـــذين يرددون ما لا يعلمون- ذلك لأن أمهات المؤمنين. بمنزلة أم الإنسان والإنسان العاقل يأنف من الوقوع على أمه ولهذا لا يجوز لأى مسلم أن يتزوج من أى واحدة من أمهات المؤمنين- والشخص المتهم هناك أكثر 100% يشهدون له بالصلاح- والأدب- والأخلاق. لكن المنافقين. يطلقون الإشـــاعة. وتشـــتعل النار وهم فى مأمن. لأنهم يعلنون أنهم مسلمون. وكذبوا. فقالوا حديث الإفك واتهموا أمنا العظيمة بما لا يجوز أبداً.

وبلغ الخبر إلى مسامع رسول الله صلى الله عليه وســـلم. وعـــرف مـــا خاض الناس فيه. وكبر عليه ذلك القول. وعرف مصدر هذه الإشاعة فصعد على المنبر. وقال يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه أذاه فى أهلى. والله ما علمت على أهلى إلا خيرا ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عنه إلا خيراً وما يدخل على أهلى إلا معى.. فقام سعد بن معاذ- وقال أنـــا يـــا رسول الله أعذره منك فإن كان من الأوس ضربت عنقـــه. وإن كـــان مـــن إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة. وقال. كذبت لعمـــر

---

(1) تفسير ابن كثير ج2

الله. لا تقتله ولا تقدر على قتله. ولو كان رهطك ما أحببت أنه يقتـل. فقـام أسيد بن خضير. وقال لسعد بن عبادة- كذبت لعمر الله لنقتلنه. فإنك منـافق تدافع عن المنافقين. وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج. لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل من فوق المنبر وهدأهم حتى ثابوا إلى رشـدهم أما سيدتنا عائشة. فكانت مريضة. وكانت عند أمها تمرض ولم تعلم بما يتكلم به الناس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسأل عنها. ويمر على باب حجرتها. ويقول. كيف أنتم. كيف حالكم[1]. كان رسول الله صـلى الله عليه وسلم يستشير بعض أصحابه. فيما يفعل فقال أسامة بن زيد- وهـو مؤمن ببراءة سيدتنا عائشة. هم أهلك- أهلك ولا نعلم عنهم إلا خيراً. وقـال على بن أبى طالب.. لم يضيق الله عليك. والنسـاء غيرهـا كثيـر. وسـل الجارية- تصدقك فدعا عليه الصلاة والسلام- الجارية "بريرة" وسألها. هـل رأيت من عائشة شئ يريبك؟ فقالت والذى بعثك بالحق ما رأيت إلا خيراً وما رأيت عليها أمراً قط آخذه عليها غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتى الداجن فتأكله..

إنه فى خضم الأزمة قد تتوسع هوة الخلاف. وتظهر تيارات وانقسامات داخل المجتمع- فالقائد- تبدو عليه آثار الضغوط النفسية. وتتزايد الحـرارة الجسدية لديه. ويتمثل عظم الخسائر التى تصيبه إن صح شئ من ذلك. والقائد فى هذه الفترة أحوج ما يكون إلى أن يستخدم ما لديه من مهارات. ومرونـة للإستفادة من كل شئ لأن الجو مشحون بالأفكار السيئة. والبعض ينظر بسهام الإتهام إلى بيت النبوة. إن المجتمع كله يعلم أن سيدتنا عائشة- أطيـب مـن طيب المسك وأنقى من الذهب الخالص. وإن حدث شـئ لأخبـره السـميع

(1) السيرة الحلبية بتصرف

البصير الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السـماء لكنهـا حكمـة الحكيم. لنتعلم الدرس. ونتأدب بهدى السماء.

لقد أكد القرآن على سؤال أهل المعرفة بدقائق الأمور لهذا كـان النبـى صلى الله عليه وسلم يسأل من لهم علاقة بسيدتنا عائشة رضى الله عنها. ومن خلال استقرائه لاستطلاع الرأى يستطيع أن يواجه الموقف. لأن هـذا أمـر يتعلق بأهل بيته. ولهذا كان من الصعب عليه حسم الموقف لسببين:

الأول: نقص المعلومات. الأمر الذى جعل المجتمع الإسـلامى يومهـا يعانى معاناة شديدة.

الثانى: تدفق إشاعات أهل النفاق- حتـى صـدقه بعـض المخلصـين الأوفياء.. ثم إن عنصر المفاجأة. والتسرع فى نشر المعلومة المغلوطة كـان دأب المنافقين ولذلك رأينا أهل الورع والصلاح يتعاملون مع هـذه الأزمـة بهدوء ورباطة جأش. منتظرين ما تسفر عنه الأحداث مع اسـتبعادهم لهـذا الاتهام- لكنهم يرددون- اللهم اكشف هذه الغمة وأنزل على حبيبك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

إدارة الأزمة بحكمة

إن ابن سلول قال كلمة. يبوء بإثمها إلى يـــوم القيامـــة- فعنـــدما رأى صفوان- الشخصية النبيلة- يقود الجمل الذى تركبه سيدتنا عائشة رضى الله عنها قال لمن حوله من أنصاره- "امرأة نبيكم باتت مع رجل" ثم فرق أنباعه فى جميع الاتجاهات ينشرون هذا الإفك. دون تقدير منهم للأحـــداث وزادوا على كلام المنافقين. والله ما نجت منه- لهذا كاد البعض يفقد سيطرته علـــى نفسه يريد أن سقتل من يقول ذلك- ومضى شهر. والناس يخوضون فى هذا الحدث. والوحى لم يحسم الأمـــر- والســـيدة عائشـــة رضـــى الله عنهـــا- مريضـــة- ولا تعلم أى شئ. لهذا تحاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواجه السيدة العفيفة الطاهرة- عائشة رضى الله عنها وكان يسأل عنها وهى مريضة من على الباب. لأنه لا يريد مواجهتها. لربما يزداد مرضـــها. فـــى نفس الوقت يخاف على أبى بكر الصديق. وهو الصاحب الـــوفى والصـــديق الذى ضحى بما له. وكل شئ فى سبيل الدعوة. فكيف يواجهه بمثل هذا. وهو ما زال يجمع المعلومات. ويتحرى رغم إيمانه القوى ببراءة أمنا العظيمـــة. لكنها طبيعة النفس الإنسانية. والوحى لم يسعفه. وهكذا فالرسول صـــلى الله عليه وسلم يخاف على مشاعر الصديق. وأهل بيته.

وهذا أدب عالٍ تحلى به نبى الإنسانية- يراعى مشاعر الناس ولا يحب الأذى. ثم هو بشر- يوحى إليه- لذلك لا يعلم الغيب ولو كان يعلمه. لأخبـــر عن هذا الحدث الذى هز المشاعر وأثار البلبلة ولهذا نزل عليه قول الله "قل لا أقول لكم عندى خزائن الله. ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك. إن أتبـــع

إلا ما يوحى إلى"[1] ويقول سبحانه "قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضرا إلا مـا شاء الله ولـو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء. إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون"[2] وعلى هذا فالرسول صلى الله عليه وسـلم لا يستطيع أن يتكلم إلا بعلم ولأنه لا ينطق عن الهوى. فلابد من التروى. حتى يوافيه الوحى– وفى رد بليغ على من زعم أن القرآن من عند محمد. فلو كان من عنده لقال آية ببراءتها وانتهى الأمر لكنها الرسالة والأمانة. والوحى من الله العلى العزيز.

وحديث الإفك يدل على كذبهم فلو كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو منشئ القرآن من عند نفسه أو يتعلمه من بشر لجاء بآية أو أكثر تدل على براءة الطاهرة العفيفة التى هى أطيب من طيب المسك ولكـن المنـافقين لا يعلمون. لأنهم فى الغى يعيشون "لهم قلوب لا يفقهون بهـا. ولهـم أعين لا يبصرون بها. ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام هم بل أضل. أولئـك هم الغافلون"[3]. ونؤكد على ذلك ونكررها ليفهم من يريد الحق.

المفاجـأة

السيدة الطاهرة عائشة رضى الله عنها لا تعلم أى شئ عن حديث الإفك. لأن من حولها فى ذهول– لا يصدقون– لكن الكلام كل لحظـة يـرن فـى آذانهم– لكنهم لا يهتمون ولثقتهم فى الله– وإيمانهم القوى يقول الله سبحانه "ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير"[4] فالمؤمنون واثقون من أن هذه غمة سـوف تـزول

---

(1) سورة الأنعام 50 **(2) سورة الأعراف 188**
(3) سورة الأعراف 179 **(4) سورة الحديد 22،23**

قريباً وبأمر الله سبحانه. وبعد شهر من الخوض فى هذا الحديث. وكانت هى فى حيرة من تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم حيالها حيث لـم يـدخل لحجرتها ويؤنسها كعادته قبل ذلك. فلما نَقِهَتْ خرجت هى وأم مسطح- وهى قريبتها من ناحية أمها. وهى وإبنها يعيشان فى كنف سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه. فبينما هما يتمشيان عثرت أم مسطح فقالت. تعسى مسـطح "تدعو على ولدها" فقالت سيدتنا عائشة رضى الله عنها- بئس ما قلت. أتسببين رجلاً شهد بدرا. فقالت "يا هنْتاه" "يعنى لقد أهان نفسه" أولم تسمعى ما قـال- فأخبرتها بحديث الإفك- لأن مسطح كان من المتحركين وتقل خبـر حـديث الإفك. وما أن سمعت به حتى عادت مسرعة إلى بيتها وها لها هذا الخبـر. وفى البيت خرت مغشياً عليها وبها حمى ترعشها فينتقض جسـدها. وأمهـا تهون عليها وتقول لها- "يا بنية. هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقالت سيدتنا عائشة رضى الله عنها "سبحـان الله. أو قد تحدث الناس بهذا؟ وبكت. وجافاها النـوم وبعـد يومين من البكاء المستمر وعدم النوم- ابيضت عيناها من الحزن.

وبينما هى على هذا الحال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخـل إلى حجرتها ثم جلس. وقال- أما بعد- يا عائشة إنه قد بلغنى عنك كذا وكذا- فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاسـتغفرى الله وتـوبى إليه.. فإن العبد إذا اعترف وتاب. تاب الله عليه. كانت سيدتنا عائشة رضى الله عنها قد جف دمعها. فقالت لأبويها. أجيبا رسول الله- قالا. والله ما ندرى ما نقول. فقالت. إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فـى أنفسكم وصدقتم به. فلئن قلت لكم إنى بريئـة لا تصدقونى. ولئن اعترفـت لكم بشئ والله يعلم أنى منـه بريئة لتصدقننى. فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً إلا

أبا يوسف حيث قال "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"[1] ثم تحولت واضطجعت على فراشها. ولم يبرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه حتى نزل عليه الوحى ببراءة الطاهرة. من الآية 11–27 من سورة النور.

تحليل الأزمة

المجتمع الإسلامى منذ أن أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بداية الدعوة– وهو يمر بأزمات حيث اتفق أعداء الدين على وأده والدارس للتاريخ الإسلامى يلحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجه الكثير من الأزمات مختلفة الأشكال. ويلاحظ أن الأعداء يتفقون مع بعضهم عند محاربة الإسلام. وهذه الأزمات أبرزت لنا شخصيات عظيمة. صبروا وضحوا ببسالة وتضحيات لم تظهر فى التاريخ. وليس لها مثيل. وهذه الأزمات جعلت المسلمين يضحون وتظهر بينهم روح التكافل الإجتماعى ومبدأ المشاركة مع مبدأ الثبات والإيمان لبلوغ الهدف.

---

(1) سورة يوسف 18

إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للأزمات

إن العوامل التى أدت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاح الباهر فى التغلب على الأزمات الرهيبة التى تعرض لها. يرجع إلى:

1- حسن الإعتماد على الله- مع الصبر..

2- دراسة أبعاد الأزمة والإلمام بأطرافها..

3- البحث عن الأطراف الفاهمة المساعدة لإيجاد حل الأزمة.

4- عدم تضييع الوقت واستغلال كل لحظة فى التغلب على الأزمة لأن عامل الوقت مهم جداً.

5- اختيار الشخصيات التى تعاون- ومشاورة أهل الخبرة.

6- التعامل بهدوء ورباطة جأش.

7- التوجه إلى جميع فئات المجتمع للمشاركة فى وقف تيار الإشاعات- والأخذ على يد من يروج لهذه الإشاعات إعمالاً لقول الله سبحانه "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"[1]

8- العمل على ضبط النفس. وعدم الانفعال- حتى تتمكن القيادة من التفكير السليم والتخطيط الدقيق للسيطرة على الموقف. والتعامل برفق مع من تسبب فى الأزمة. مع الوضع فى الإعتبار أن أمر الخطأ وارد كما أن الذين يتحدثون إلى الناس عليهم أن يوجزوا طرحهم للمشكلة ووضع الحلول والغرض من ذلك أن يفهم الجميع ما يهدف إليه المتحدث.

---

[1] سورة الحجرات 6

9- يلاحظ أن كل أزمة لها توابع- فالقيادة الحكيمة. تذكر الناس بالأزمة. وتنصحهم لتجنب أسباب عودتها. وذلك بالبعد عن المعاصى وتجديد التوبة. ومتابعة الاستغفار. والعمل الجاد. وشغل أوقات الفراغ. وعدم التراخى. والبعد عن الغيبة والنميمة. وخلق مناخ طاهر يتسم. بسمو الروح. وصفاء النفس. والابتكار فى أساليب العمل النافع المفيد.

10- على القيادات- وهى تخبر أفراد المجتمع بزاول الأزمة- ينبههم إلى عدم الغفلة لأنه ربما تعود الأزمة ويتدرج معهم فى إبلاغ ذلك. وتأخذ هذا من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعد نزول الوحى ببراءة السيدة عائشة رضى الله عنها. بدأ يبتسم ويضحك ويبشر السيدة عائشة رضى الله عنها ببراءتها وأنها بريئة ثم تلا عليها ما نزل بشأن براءتها- والغرض من ذلك مراعاة البعد النفسى. وأثر الأزمة فى هذه النفس. ولا شك أن الفرح الشديد بعد الحزن الشديد. قد يؤدى إلى صدمة نفسية تؤدى إلى شئ لا تحمد عواقبه.

إن المجتمع الإسلامى عرّف إدارة الأزمات على أعلى مستوى قبل أن تعرفه المجتمعات الحديثة بنظمها الإدارية. إن الإنسان صنعة الله- خلقه بيده- وعلمه ما لم يكن يعلم. وكرمه. وفضله على كثير من خلقه- ولهذا لم يتركه. تلعب به الشياطين. أو تتقاذفه الأحداث وإنما هداه النجدين. ووضح له طرق الحياة. وبعث إليه الأنبياء هداة مرشدين. وأنزل الكتب بين فيها معالم الخير وسيل السعادة. وأخبرنا أنه معنا. يدافع عن المؤمنين. وهو ولى الصالحين. ولا يضع أجر من أحسن عملا.

إقامة الحد على من خاض فى حديث الإفك

"شغل حديث الإفك المسلمين فترة لا تقل عن سبع وثلاثين ليلة"[1] وكانت السيدة (عائشة) رضى الله عنها. واثقة كل الثقة. بطهارتها. وبراءتها، نفسها مليئة بالثقة فى الله الذى يعلم كل شئ أنه سيبرئها. لأنها تعتز بنفسها شأن الأبرياء الذين لا يشك أحد فى طهارتهم وعفتهم. لهذا كانت تثق أن الله لا يحب الظالمين. وسوف يبعد عنها كل ظن سئ أو تهمة من جاهل فلما نزلت براءتها من فوق سبع سموات انطفأت نار الفتنة التى أراد أن يشعلها المنافقون. ويروج لها اليهود. لذلك خرست الألسنة. ووقع الخزى والكآبة على من روجوا وأشاعوا كذباً وبهتاناً. ولقد عاد الهدوء إلى مجتمع المسلمين. ولكن لابد أن يكون هناك حساب على من تطاولوا وخاضوا بألسنتهم فى هذا الموضوع. يقول ابن اسحاق: "إن حسان بن ثابت. ممن خاض بلسانه فى هذا الموضوع فلما نزل قول الله تعالى "والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة. ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك الفاسقون"[2] فضرب وضرب كذلك كل من تكلم وثبت عليه وهو منهم"[3] حد من حدود الله نفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توابع الأزمـــــة

بعد أن نزلت براءة السيدة/ عائشة رضى الله عنها. وانحسرت مادة الفساد وأصاب الخزى الذين روجوا لهذه الإشاعة. وكأن شيئاً لم يكن ظهر شئ خطير بين الأوس والخزرج. لأنه فى أثناء الفتنة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فى خطبته "ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى. ويقولون

1) إمتاع الأسماع للمقريزى ص210
(2) سورة النور 4
(3) الروض الأنف للسهيلى ج4

عليهم غير الحق. والله ما علمت منهم إلا خيراً. ويقولون ذلك على رجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى) فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك- وقف أسيد بن حضير. وقال يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيكهم. وأن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا يأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم- تقول السيدة/ عائشة رضى الله عنها" رواية الحديث فقام "سعد بن عبادة" وكان قبل ذلك يُرا أنه رجل صالح. وقال كذبت لعمر الله. لا نضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج. ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد كذبت لعمر الله. ولكنك منافق تجادل عن المنافقين- قالت- وتساور الناس حتى كاد أن يكون بين الحيين. من الأوس والخزرج. شر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على المنبر ودخل إلى بيت السيدة عائشة رضى الله عنها[1] لقد اتسع الخلاف بين الأنصار. ولو ترك الأمر سيتسع الخرق على الرافع فلابد من تدارك الأمر. خاصة. وأن المنافقين. واليهود بدءوا ينفخون فى النار وعلى القائد العظيم أن يتحرك. ويطفئ النار. ويقضى على هذه الفتنة ولذلك كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بتدارك الأمر قبل أن تكبر الأزمة وتتضخم. لهذا فقد سارع النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ بيد "سعد بن معاذ. وأسيد بن حضير ومعهما نفر من المسلمين. وذهبوا إلى دار "سعد بن عبادة. ومعه نفر من قومه. الخزرج. وجلسوا يتحدثون. ساعة. ثم قرب لهم سعد بن عبادة طعاماً فأكلوا. وانصرفوا. وبعد أيام. أخذ بيد سعد بن عبادة. ومعه نفر من قومه. وذهبوا إلى منزل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعندهما نفر من قومهما. فجلسوا يتحدثون ساعة. ثم قرب سعد طعاماً فأكلوا

---

1) المرجع السابق **(2) إمتاع الأسماع للمقريزى بتصرف ج1 ص210**

ثم انصرفوا. فذهب من نفوسهم ما كان من آثار لهذا الحدث وانطفأت الفتنــة وقضى عليها بحكمة البشير النذير"[1] حكمة فــى معالجــة المشــاكل وحــل الأزمات. وبُعد نظر فى القضاء على الفتنة التى تفرق الجماعــة. وتضــعف الصف الإسلامى. لقد عاد الصفاء. وتشاغل المسلمون جميعاً بما أمرهم بــه الله ورسوله. وبما يعود عليهم وعلى الإنسانية من خير عظيم ونشر للإسلام فى الآفاق وهم قدوة فى السلوك الاجتماعى. والحــب لبعضــهم. والتــآلف. والتعاون على البر والتقوى.

الأزمة الثانية

مسطح بن أثاثة شاب يتيم فقير. ترعاه أمه وهى "أم مسطح إبنة رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف– وكانت أمها خالة لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه. ينفق وبسخاء علــى مســطح وأمه. فلما خاض الناس فى حديث الإفك. كان المفروض فى مسطح أن يدافع عنها– ليكون بمثابة رد لإحسان أبيها إليه لأنه كما قال ربنا ســبحانه "هــل جزاء الإحسان إلا الإحسان"[2] ومسطح يتكلم بما يلقنه له أبىّ بــن ســلول– زعيم المنافقين– لم يترو ولم يتعرف الحقيقة. وهو قد عض اليد التى تمتد إليه كل يوم بما يجعله شخصاً له مكانة اجتماعية من الناحية المالية التى يتحملها سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه– لذلك بعد أن انكشفت الغمــة. وزال الكرب. وتوقفت الفتنة. وبرئت السيدة الطاهرة/ عائشة رضــى الله عنهــا. وهدأت النفوس. فأوقف سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه الكفالة المالية.

---

1) سورة الرحمن 60 **(2) سورة النور22**

(3) بتصرف من الروض الأنف للسهيلى ج4 ص 12،13

التى كان يدفها سيدنا أبو بكر – لمسطح وأمه. وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه. قد غضب غضباً شديداً من مسطح. فأقسم بالله. أنه لن ينفق على مسطح شيئاً أبداً. بعد الذى قاله ما قاله فى ابنته الطاهرة لكن من ينفق على مســـطح وهو فقير جداً هنا تدخلت عناية السماء لأنها ترعى الكـــل فنـــزل قـــول الله سبحانه "ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين. والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم"[(1)] ولا يأتل أولوا الفضل– لا يحلف أهل الدين والغنى على أنهم لن يتصدقوا على المحتاجين وأهل القرابة من مالهم ما يغنيهم. لأن الله يتولى جزاءكم ويغفر لكم ولذلك قال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنـــه. بلـــى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى. ورد على مسطح ما كان يأخذه. وقال. والله لا أنزعها عنه أبدا"[(2)] إن الله سبحانه ما كان ليذر الناس تعتـــرض حيـــاتهم الأزمات وبسببها تتقطع بينهم أواصر العلاقات الاجتماعية. ويكـــون التنابـــذ والهجران والقطيعة– فهذا بلاء إذا أصيبت به المجتمعات "فأقم عليها مأتمـــاً وعويلاً، ولهذا كان من وصايا رسول الله صلى الله عليه وســـلم أن المســـلم "يعطى من حرمه. ويعفو عمن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه. ويصل مـــن قطعه" فالمسلم إذا قال الله أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعليـــه أن يقول "سمعنا وأطعنا" ويظهر لنا من قصة مسطح رغم أنه أساء الأدب. مـــع ولى أمره وكافله فإن الله قد أمر صاحب المال أن يعفو ويصفح لأن العفو من شيم الكرام– ومن أعطى لله– ومنع لله. فقد استكمل الإيمان. ولو أن المسلمين تعلموا لغة العفو عمن أساء إليه وإذا أحسن إلى من أساء إليه لانتشر التـــآلف والتعاون دنيا المسلمين. وقويت شوكتهم. وأصبحوا فى دنيا الناس أمة عظيمة

لها مكانة مرموقة. وقوة يهابها العدو. ويأمن فى جوارها الخائف ويعم عدلها. ومنها ينتشر السلام. والأمن الإجتماعى.

الأزمة الثالثة

من فضل الله على الأمة الإسلامية أن هيأ لها من أمرها رشداً وسدد الله خطى العاملين للنهوض بالأمة لأنه سبحانه أوكل إليها نشر الإسلام. وإذاعة تعليماته. وأن يكونوا قدوة حسنة فى سلوكهم وتعاملهم مع غيرهم من الأمم. وأن يتمسكوا بالأخلاق الحسنة- لأنهم خير أمة أخرجت للناس كما قال ربنا عنهم "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"[1] ولما كان من توابع أزمة حديث الإفك. قصة حسان بن ثابت بن المنذر- من بنى النجار. وهو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكنه خاض فى حديث الإفك. وجلد. ولكنه عاد. وتكلم فى حق صفوان بن المُعَطّل بن ربيعة- وصفوان هذا- هو المتهم- البرئ- لأنه هو الذى جاء بالسيدة عائشة رضى الله عنها وقال فيه المنافقون ما قالوا- وكان من أصدقاء صفوان- جُعَيْل بن سراقة الغفارى، وجهجاه بن مسعود- فقال- عنهم- أبى بن سلول- زعيم المنافقين. أمثال هؤلاء الفقراء كان الواحد منهم لا يتكلم. فصاروا اليوم يتكلمون. وإذا بحسان بن ثابت يقول فى مطلع قصيدة شعرية له:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا

وابن القُرَيْعَة أمسى بيضة البلد

وهذا البيت فيه تلميح بالثلاثة. ولذلك جاء- صفوان بن المعطل- إلى جعيل بن سراقة- وقال له- إنطلق بنا نضرب حسانا- فوالله ما أراد بذلك غيرنا- ولنحن أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسان. فأبى

(1) سورة آل عمران 110

جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم- فخرج صـــفوان- مصلتا سيفه حتى التقى بحسان فضربه ضربة مؤلمة- فلما صاح خرج قـــوم حسان من ناديهم. فوثبوا على صفوان فأوثقوه وربطوه. وتولى ذلك- ثابـــت بن قيس. فجاء عمارة بن حزم بن زيد ففك رباطه. وجاء به وبحســـان إلـــى رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقال حسان يا رسول الله شهر على السيف فى نادى قومى. ثم ضربنى ضربة مؤلمة كدت أن أموت. ولا أرانى إلا ميتاً من جراحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لصفوان" لم ضربته وحملت عليه السلاح؟ فقال صفوان يا رسول الله. آذانـــى. وهجـــانى وســـفه علـــى. وحسدنى على الإسلام. فقال النبى صلى الله عليه وســـلم لحســـان. أســـفهت عليهم. إنهم أسلموا؟ ثم قال لمن حوله احبسوا صفوان. فـــإن مـــات حســـان فاقتلوه به. فخرجوا بصفوان وبلغ سعد بن عبادة. فأقبل علـــى قومـــه مـــن الخزرج. فقال. عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم تؤذونه. وتهجونه بالشعر. وتشتمونه. فغضب لما قيل فيه. ثم أسرتموه أســـوأ وأقبح الأسر. ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم؟ قالوا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بحبسه وقال. إن مات صاحبكم فاقتلوه. قـــال. سعد- والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو. ولكن رسول الله قضى لكم بالحق. وإن رســـول الله صـــلى الله ليحـــب أن يتـــرك صفوان. والله لا أبرح حتى يطلق. فقال حسان ما كان لى من حق فهو لـــك. وأتى قومه فغضب قيس بن سعد. وقال عجباً لكم. ما رأيت كاليوم. إن حسان قد ترك حقه. وتأبون أنتم. ما ظننت أحداً من الخزرج يرد أبا ثابت فى أمـــر يهواه. فاستحيا القوم وأطلقوا صفوان من الوثاق. فذهب به سعد إلـــى بيتـــه. وكساه حلة ثم خرج به إلى المسجد ليصلى فرآه رسول الله صـــلى الله عليـــه

وسلم. فقال صفوان؟ قال نعم يا رسول الله. قال من كساه؟ قال سعد بن عبادة. قال. كساه الله من ثياب الجنة. ثم جاء وفد من الخزرج فيهم حسان بن ثابت. ووقفوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسان. يا رسول الله. كل حق لى قبل صفوان فهو لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنت. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً ببير حا وهى أرض واسعة براحا لا نبات فيها ثم أهداه سيرين أخت مارية القبطية. وكان مقوقس مصر قد أهداهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأعطاه سعد بن عبادة أرضا بها نخل كثير. عوضاً له لما لحق به من أذى لأن الضرب من صفوان كان شديداً"[1]

الفتـــح الأعظـــم

من الشئ العجيب. الذى تؤيده السنة الكونية. وترويها الروايات التاريخية. والمصادر الصحيحة من كتب التاريخ. ومصادر الحديث والسنة النبوية. ويؤيدها القرآن الكريم. ويرشدنا إلى منابعها التى نستقى منها ذلك أنه العقل فى الإنسان لأنه مناط التكليف ثم إن الحياة الإنسانية لم تعرف طوال مسارها الطويل حدا لرقى الفرد فى الجماعة البشرية ينتهى إليه تدارك العقل. فالحياة متجددة. والمعارف الإنسانية متزايدة- والعقل البشرى دائب العمل. وخزائن الكون لا تزال مغلقة. وأسراره ما برحت محجبة وحقائق ما فتئت مجهولة. ومن المعلوم- أن مهمة العقل فى الحياة. هى كشف الأسرار الكونية. ومعرفة حقائق الوجود. واستخدامها فى رقى الإنسان وتخفيف أعباء

---

(1) القصة فى إمتاع الأسماع وهى هنا بتصرف من الجزء الأول ص212،213

الحياة عنه. لأنه من الغرور المدمر أن يزعم أى إنسان أنه وصل إلى العلـم بحقائق الكون. وأنه حصل على ثقافة ومعارف لم يحصل عليهما غيره. لأننا نؤمن بأن ما عرفته الإنسانية عن الكون. شئ قليل جداً "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"(1). فالمجهول عن أسرار الكون لا يزال أعظم بكثير ممـا عرفتـه البشرية. لهذا كانت الثقافات. والمعارف لا تنتهى عند حـد ومـا خصّـلته الإنسانية قليل محدود. فعلى الإنسان أن يردد "وقل ربى زدنى علما"(2).. ومن هنا يظهر حاجة الإنسانية إلى وجود الرسالات السماوية لقيادة العقـل. إلـى مجاهل الطبيعة وما وراءها. وإلى الكون وما فيه من أسرار وآيات. وآثـار تدل على قدرة الواحد الأحد الذى نتعرف عليه عن طريق التفكير فى عجائب صنعته. وآثار قدرته. وبالغ حكمته ولذلك على أى إنسان يريـد أن يـزداد معرفته. بالكون وخالقه. وقدرته التى تربط بين عناصر الكون. ونكشف لـه عما يصيبه من منافع- أو يدفع عنه ما يصيبه من شرور أن يقوى صـلته بالله والعقل فى الإنسان ليس بمعصوم عن الخطأ. بل ربما يكون كثير الخطأ خاصة إذا ضعف أمام الغرائز. واستجاب لدواعى القوى الشهوانية. وتصبح معارفه وسيلة لتلوين الحياة كما يشتهى- لذلك كان الأوفق وضع الضـوابط الأخلاقية التى يلتزم العقل بها والتى يستحيها من يهدى الرسـالات الإلهيـة لأنها هى التى تمده بالخير. وترشده إلى فعله. وتهديه إلى الطريق السوى من هنا. فلو أن عباقرة التاريخ. وصناع الحياة. وعشاق فنها تتبعوا سيرة النبـى العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولادته- وإلى أن بعثه الله رحمة للعالمين- وحتى بعد انتقل إلى الرفيق الأعلى وأراد أن يضع – هذه الحيـاة. فى إطارها الصحيح. وجمع ألوانها. ووحد بين أحداثها. وحوادثها. لوجد هذه

---

(1) سورة الكهف 85 **(2) سورة طه 114**

الصورة الجميلة– الكاملة العاقلة التى تعيش على خلق عظيم تحـــب الســـلم. وتدعو إلى السلام. وترفض العنف. ولا تقترب من ساحة الإرهاب هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان مع كل ذلك شخصية نشأت على فصاحة البيان. ورصانة المنطق. كان يكره الحرب. ولا يحب الخصام. وينهى عـــن هجر الإنسان لأخيه الإنسان مع أن الحـــرب ســـنة جـــرى عليهـــا العـــرف الاجتماعى العربى– وكانت الحرب مألوفة عندهم عاشوا عليها ومارســـوها. وتاريخهم مشحون بالحديث عنها. شعرهم. وهو ســـجل حيـــاتهم. وأدبهـــم. ونثرهم. كل ذلك مفعم بأخبار الحرب. نصراً وهزيمة– شـــجاعة– وجبنـــاً. فروسية وبطولة. تلك حياتهم عليها نشئوا وتمسكوا بها وأعلنوا "إنـــا وجـــدنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدرون"[(1)]

والمتقصى لأسباب الحروب التى شغلت العرب فى جزيرتهم يجد أنهـــا كانت تقوم على أسس تافه جدا. ما كانت تستأهل أن تكون دافعاً إلى إشـــعال نار الحرب التى تأكل الرجال. وتشرد الأطفال. وترمل النساء. وتذل الأعزاء وتنشر الخوف والفزع بين الآمنين. لهذا كان النبى صلى الله عليه وســـلم. لا يدعو إلى حرب أبدا ولا يبدأ بها. وإنما كان فى حالة دفاع عمـــلاً بقـــول الله سبحانه "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"[(2)] وقال قبـــل هذه الآية "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـــدوا إن الله لا يحـــب المعتدين"[(3)] وتعالوا بنا نقف مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الفتح العظـــيم الذى تم بلا حرب. ولا اعتداء. ونتوجه بها إلى الناس جميعاً وننادى بنـــداء علمنا إياه ربنا "ادخلوا فى السلم كافة"[(4)]

---

(1) سورة **(2) سورة البقرة 194**

(3) سورة البقرة 190 **(4) سورة البقرة 208**

الرؤيـــا الصادقـــة

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام. أنه دخـــل مكـــة. وطاف بالبيت. دون أن يحدد الشهر. أو العام. فأخبر أصحابه بذلك. ففرحوا فرحاً عظيماً. خاصة أن المهاجرين اشتاقت نفوسهم لرؤية الكعبة. والطواف حولها وتطلعوا إلى رؤية أماكن صباهم. وملاعب شبابهم. والإسلام بتعاليمه زادهم ارتباطاً بالوطن لأن حبه من الإيمان. ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وصدق. لذلك تحركت كوامن الشوق. ودفين الحب وعواطف حب الوطن فى نفوسهم. وطنوا أن هذه الرؤيا ستتحقق هذا العام. فكان كل واحـــد منهم يهيئ نفسه. ويجهز زاده ويعد راحلته. فلما أخبر رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الناس أنه متوجه إلى مكة معتمرا وكان ذلك فى شهر ذى القعـــدة سنة ست من الهجرة. وأنه لا يريـــد حربـــاً فخـــرج معـــه. "1500" ألـــف وخمسمائة. وساقوا معهم الهدى. وأحرموا بالعمرة. وأعلن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أنه خارج زائراً للبيت معظماً له[1] وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشخص من "خزاعة" يتميز بالحصافة وبعد النظر. ولديه خبرة فى حضور الجماعات. والمشاركة فى الحوار ومعرفة بلغة الإشارة وفهم واســـع لما يجرى فى المجتمعات، بعثة إلى قريش ليتعرف على أخبـــارهم. ويجمـــع المعلومات عن اتجاهاتهم. فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وســـلم إلـــى "عسفان"[2] أتاه الرجل الذى بعثه. وقال له (إن كعب بن لؤى مع قريش قـــد جمعوا لك الأحابيش) "جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة ويســـتأجرون بالمال. وجمعوا الجموع وهم مقاتلوك. وصادوك عن البيت. فواصل المسير

---

(1) يراجع زاد الميعاد ج1، وسيرة ابن هشام ج2

(2) مكان بين مكة والمدينة

حتى إذا كان "بالتثنية" بركت ناقته. فقالوا "خلأت القصواء" يعنى تعبت. فقال ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق. ولكن حبسها حابس الفيل والذى نفسى بيده لا يسألونى "يعنى أهل مكة" خطة يعظمون فيها حرمات الله. ويسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها. فوثبت به وسار حتـــى نـــزل بأقصى الحديبية. فى مكان قليل الماء. فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته. وأمرهم أن يجعلوه فى بئر قليل الماء. وما أن وضع السهم حتى جاش بالماء. وما زال حتى انصرفوا".

فـــزع قريـــش

قذف الله الرعب فى قلوب المشركين جميعاً. وانتابهم خوف سيطر على نفوسهم وسبب الخوف والرعب. أن محمداً الذى تآمروا على قتلـــه بـــالأمس والذى يدعو إلى السلام.. يؤمن الخائف جاء إليهم. يريد أن يدخل عليهم مكة ولابد أن يحاسبهم على مطاردتهم له وتجميعهم الجموع وتحزيبهم الناس ضده ثم حاربوه. فانتصر عليهم- وكانوا هم الذين يذهبون إليه. ولكن ها هو اليوم جاء إلينا فماذا نصنع؟ ولقد مر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى طريقـــه على قبائل- بنى بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم ليخرجوا معه. وهو لا يريد حرباً. وإنما جاء معتمراً وهذا الهدى بين يديه- فاعتذروا لأنهـــم مشـــغولون بأبنائهم وأموالهم. وتهامسوا بين بعضهم وقالوا. أيريد محمد أن يغزو بنا قوماً عندهم استعداداً للحرب- فلديهم السلاح. والأعداد من الشـــجعان والأبطـــال، ومحمد وأصحابه أكلة جذور -يعنى ضعاف جداً- وهذا كناية عن قلة عـــدد المسلمين وقلة سلاحهم. ولذلك قالوا لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا

أبدا فسيقضى عليهم. لأنهم قوم لا سلاح معهم ولا هم عدد"[1] إن الله سبحانه ألقى فى قلوب أهل مكة- ومن حولهم من الأعراب الخوف والفزع- رغم نظرتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن المشركين الذين كانوا بين القبائل يكذبون محمداً ويحشدون الحشود ضده. هم الذين سيطر عليهم الرعب. وصدق الله العظيم الذى بين لنا ذلك فى قوله سبحانه "لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد"[2].

وقوله سبحانه "إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان"[3] إن الإيمان بالله سبيل الأمن والسلام والتوفيق والنجاح.

هدايا تتدفق

مع أن القبائل كانت تتحفز برسول الله صلى الله عليه وسلم. ويريدون أن يلتفوا من حوله. ليحاصروه حتى ينزل على رأى قريش. إلا أنه صلى الله عليه وسلم ما يكاد يقترب من قبيلة إلا ويسيطر عليها الخوف. وتبعث بهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك.

1-فى مكان. الروحاء- لقى طائفة من بنى "نهد" فدعاهم إلى الإسلام- فأبوا- وبعثوا إليه بلبن من نعمهم. فرد ذلك وقال- لا أقبل هدية مشرك. فقام المسلمون بشراء هذا اللبن ودفعوا ثمنه. واشتروا كذلك ثلاثة "أضب". وهو

---

(1) إمتاع الأسماع ج1 بتصرف

(2) سورة آل عمران 196، 197

(3) سورة الأنفال 12

يشبه الأرنب تقريباً. وهو يعيش فى الصحراء. ولا يأكل الهوام – والعــرب يحرصون على صيده وأكله.

2–أهدى إليه "الصَّعْب بن جُثّامة" حماراً وحشياً. فرده إليه. وقال إننـــا نوينا الإحرام بالعمرة. ذلك لأن الحمار الوحشى يصاد فلا يحل للمحـــرم أن يأكل منه لقول الله سبحانه "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم"[(1)]

3–وأهدى له "إيماء بن رَحْضَة الغفارى" مائة شاة. وبعيرين يحملان لبناً وبعث ذلك مع خفاف بن إيماء. ففرق ذلك على كل من معه– وقال: "بـــارك الله فيكم".

4–وُدّان وهوواد متسع– مر عليه النبى صلى الله عليه وسلم فأهدى إليه سكان الوادى "شئ كحمص الشام" الآن يسمى العتر– وضفابيس "وله رائحـــة طيبة جداً– وهو شئ يشبه البطيخ والخيار. فأكل من كل ذلك وأخذ من كـــل شئ لزوجته السيدة أم سلمة رضى الله عنها وكان معها بعض النساء وهن:

1) السيدة أم عمارة، 2) والسيدة أم منيع، 3) أم عـــامر الأشـــهلية، 4) أسماء بنت عمرو بن عدى.. وكان كل شئ يأكل منه النبى صلى الله عليـــه وسلم. يوزعه على كل من معه– الرجل كالمرأة عدالة فى التوزيع ومساواة. حسبما أمر الله سبحانه وتعالى[(2)].

تخفيف من ربكم

رسول صلى الله عليه وسلم وهو بالإبواء التقى بـــ"كعب بـــن عجـــرة" ورأسه ملئ بالقمل وهو محرم. فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم هـــل تؤذيك هذه الهوام. يا كعب؟ قال. نعم يا رسول الله. قال فاحلق رأسك. وبعـــد لحظات نزل قول الله سبحانه "فمن كان منكم مريضاً أو به أذى مـــن رأســـه

ففدية من صيام أو صدقة أو نسك"[1] فكانت من باب التخفيف على المسلمين فى كل زمان وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق.

استنفــــــار

الخوف يسيطر على المشركين- لذلك استنفروا الشباب وجمعوا مــنهم مائتى فارس وأمروا عليهم "عكرمة بن أبى جهل. واستجابت ثقيف. وبعــض الأحابيش. وخرجوا إلى "بلدح" ونصبوا بها الخيام. وضربوا القباب. وأخذوا نساءهم وأطفالهم. وعسكروا هناك. وقد أقسموا على منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخول مكة. إلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بــ "بسْر بن سفيان" قادم من مكة. وقد علم خبر القوم. فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. وهنا استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه. أيمضى إلــى البيت الحرام. ويقاتل من يقف فى طريقه أم يــذهب إلــى الــذين اســتنفروا وخرجوا مع أهاليهم. فيصيبهم. فأشار سيدنا أبو بكــر رضــى الله عنــه أن يمضوا لوجوههم ويقاتلوا من صدوهم. وقال.. "أسيد بن الخضير- يا رسول الله أرى أن نصمد لما خرجنا له. فمن صدنا قاتلناه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنا لم نخرج لقتال أحد- إنما خرجنا عمــارا. ويتضــح مــن رد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يميل إلى السلم. ولا يشرع فى حرب أبدا بدليل. الهدى الذى بين يديه. وقلة الصحابة الذين حوله. والسلاح الذى معــه ومع علم قريــش بكل هــذا إلا أنها تعننت. وجمعت الشــباب والأحــابيش.

---

(1) سورة المائدة 95

(2) إمتاع الأسماع ج1

(3) سورة البقرة 196

ومع ذلك نرى حسن الرد. وضبط النفس. وعدم الانفعال. لأنه لا يريد خلــق أزمة تقوم بسببها الحرب وويلاتها معروفة.

موقف يخرج الإنسان عن طبيعته. ولكن

هناك أزمات تصادف الإنسان. تجعل الحليم حيران. وتخرج الإنسان عن طبيعة الحلم والصبر.. لكن النبى صلى الله عليه وسلم الذى بعثه الله رحمــة للعالمين. كان يتحمل ويصبر. ولا ينفعل ولهذا قال الله سبحانه له "ولقد نعلــم أنك يضيق صدرك بما يقولون"[1] بيان لحالة النبى صلى الله عليه وسلم. وما كان يعانيه من تعنت المشركين. وقد بين الله ذلك فى قوله سبحانه "طــه مــا أنزلنا عليك القرآن لتشقى"[2] ولقد التقى رسول الله صــلى الله عليــه وســلم بـــ"بُدَيْل بن وُرْقاء" من قبيلة خزاعة فى نفر من قبيلته- فقال بديل- يا محمد. لقد اغْتررْت بقتال قومك. حلائب العرب- أى القبائل الكثيرة- والله مــا أرى معك أحداً له وجه "يعنى معروف" وأراكم ولا سلاح معكم. فقال أبــو بكــر رضى الله عنه. عضضت ببظر اللات. فقال- بُديل. أما والله لولا يدلك عندى لأجبتك. ووالله ما أُتّهم أنا ولا قومى ألا أكون أحب أن يظهر محمــد. إنــى رأيت قريشا مقاتلتك عن ذراربها وأموالها وقد خرجوا إلى "بلدح" مكان قريب من مكة فاضطربوا الأبنية معهم العوذ والمطاقيــل "أى الأطفــال والنســاء. وترافدوا على الطعام يطعمون الخنزير من جاءهم يعنى الطعام الجيد الدسم. ليتفوق بذلك على حربك.. فانظر رأيك: إن قريشا جمعت أموالا. وترافــدوا يطعمون من آوى إليهم من الأحابيش. وقد أُعدوا موائد لذلك واحدة. فى دار

(1) سورة الحجر 97

(2) سورة طه 1،2

الندوة- والثانية. فى دار صفوان بن أمية. والثالثة فى دار سهيل بن عمـــرو. والرابعة فى دار عكرمة بن أبى جهل. والخامسة فى دار حويطب بن عبــد العزى"[1] كان خالد بن الوليد قد انضم إلى جيش عكرمة. وله ولـــه كتيبـــة أخذها فصفها من ناحية القبلة. فى مواجهة المسلمين.. فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بـــ "عباد بن بشر"بمجموعة من الجند. فقام قبالة خالد وصـــف كتيبته. وحانت صلاة الظهر. ولابد للمسلمين أن يصـــلوا علـــى أن يأخـــذوا حذرهم. لأن هذا أمر لكل مسلم من الله سبحانه فى قوله "يا أيها الذين آمنـــوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً"[2] وقد أمر رسول الله صـــلى الله عليه وسلم بلالا. أن يؤذن ويقيم الصلاة. وصلى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بالجيش وهم يحملون السلاح لأنهم فى حالة تعبئـــة. العـــدو أمـــامهم. ومستعد. ولكن. طمس الله على قلوبهم وأعمى بصيرتهم فلم يتحركوا. ولذلك قال خالد بن الوليد. لقد كان المسلمون على غرة. فلو حملنا علـــيهم أصـــبنا منهم. ولكن نأتى الساعة صلاة هى أحب إليهم من أنفسهم وأمـــوالهم. فننـــال منهم فنول جبريل بصلاة الخوف. وكان ذلك بين الظهر والعصر. وعلمهـــا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمها رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم لأصحابه وهى الآية رقم 102- من سورة النساء. فصلى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم العصر. على أساس صلاة الخوف. فلما أمسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تيامنوا. فة العَصَل "جبال من الرمال الملتوية" فإن عيون قريش بمر الظهران- أو- بضجنان- فأيكم يعرف تنية ذات الحنظل؟ فقـــال بريدة بن الحُصَيْب. أنا يا رسول الله. فقال. أسلك أمامنا. فأخذ بريدة فى السير بين جبال "سُراوِع، ولما انتهى منها حار. فلم يعرف الطريق. فتقدم "حمزة بن

---

(1) إمتاع الأسماع **(2) سورة النساء 71**

عمرو" فسار بهم قليلاً ثم لم يدر أين يتوجه- فتقدم "عمرو بن عند نهم الأسلمى" فبلغ بهم المكان الذى يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه- ما مثل هذه الليلة. إلا مثل الباب الذى قال لبنى إسرائيل "ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة" ثم قال. لا يجوز هذه الثنية أحد إلا غفر له. فجعل الناس يسرعون.

حيلـــة لطيفـــة

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثنية ذات الحنظل" قال من كان معه "ثُقْل" دقيق- امتثالاً لتوجيه النبى صلى الله عليه وسلم رغم ما يعاونه من الإرهاق الشديد- فليصطنع- يعنى فليصنع لنا طعاماً- فقال "أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه- وأينا معه "ثُقْل" إنما كان عامة زادنا التمر فقالوا يا رسول الله إنا نخاف من قريش أن ترانا. وذلك لما أصابهم من هزال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنهم لن يروكم. إن الله سيغيبكم عنهم ثم أمرهم. أن يوقدوا ناراً فى أماكن متعددة. فأوقدوا النار فى خمسمائة مكان. وهذه حيلة لتعرف قريشا من أعداد هذه النار. أن الأعداد كثيرة. وأنهم يبضجون على النار للطعام وفى الصباح. جاء وفد من اليمن. فقال النبى صلى الله عليه وسلم "أتاكم أهل اليمن- كأنهم قطع السحاب هم خير من على الأرض. وكل الذين رأوا النار بالأمس. رأوا أهل اليمن. فأخبروا قريشاً فزاد خوفها وازداد الرعب عندهم: وصدق الله العظيم "إنا لتنصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"[1] نصر من الله. وفتح مبين لتبليغ الرسالة العالمية الخاتمة لرسالات السماء.

---

(1) سورة غافر 51 / يراجع ابن هشام. وإمتاع الأسماع.

مكابـــرة ومعانـــدة

لما نزل المسلمون الحديبية- اشتكى الناس قلة الماء- فانتزع النبى صلى الله عليه وسلم سهمان من كنانته. وأمر أن يغرز أحدهما فى بئر به قليل من الماء. وما أن وضع السهم إلا وفار الماء. وأخذ المسلمون يأخذون من الماء ما شاءوا. وقد رأى المسلمون ذلك خاصة وأنهم اغترفوا ما شاءوا. كان يقف على البئر- قبل أن يوضع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثـــة مـــن المنافقين. "الجدين قيس- وأوس بن الخولى. ومعهما أبى بن سلول) وولده - عبد الله بن سلول. وهو صادق الإيمان.. فقال "أوس بن الخولى.. ويحك يا أبا الحباب أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه. أبعد هذا شئ؟ فقال "أبو الحبـــاب وهو بن سلول قد رأيت مثل هذا. فقال.. أوس.. قبحك الله. وقـــبح رأيـــك.. فأسرع ابن أبى يريد أن يواجه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن ينقل إليه أحد ما تكلم به.. فعندما رآه قال له. يا أبا الحباب. أين رأيت مثل ما رأيـــت اليوم؟ فقال ابن أبى. ما رأيت مثله قط. قال. فلم قلت ما قلت؟ فقال ابن أبى. استغفر الله العظيم فقال ابنه. استغفر له يا رسول الله. فاستغفر لـــه. إكرامـــاً لولده صادق الأإيمان ولقد نزل مطر شديد فـــى أول ليلـــة للمســـلمين وهـــم بالحديبية. وكثر الماء. ولذلك نودى على المسلمين أن يصلوا فجر اليوم فـــى رحالهم. وقد أشاع ابن سلول. أتهم مطروا بالنوء "يعنى الخريف" وإذا لم يكن الخريف. فقد مطرنا بالشعرى. فلما أصبح الناس وانتشر هذا الكـــلام. أقبـــل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس. وقال لهم "هل تدرون ماذا قـــال ربكم؟قالوا. الله ورسوله أعلم. قال قال الله. أصبح من عبادى مـــؤمن بـــى- كافر بالكواكب- ومؤمن بالكواكب كفر بى. فأما من قال مطرنا بفضـــل الله ورحمته. فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب. وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا

فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب"[(1)] هذا التوجيه النبوى ليعلم الناس أن كل شئ فى هذا الكون إنما يجرى وفقاً لمشيئة الله سبحانه وحسب إرادتــه. وأمــره "فسبحانه الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون"[(2)]

الاستشعار من البعد

ليس من رأينا إنكار الإرهاصات التى لا تقف عند نبى. ولا ولى. ولكنها تكون بين يدى الناس جميعاً فى المنام. أو اليقظة. مثال ذلك. ما جــاء فــى سورة يوسف "وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجــاف. وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤيــاك إن

كنتم للرؤيا تعبرون"[(3)] وكما جاء فى سورة القصص عند الحديث عن أم موسى فيقول الله سبحانه "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليــه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليه وجاعلوه من المرسلين"[(4)] والآيات فى ذلك كثيرة. وهذا ما يسميه البعض الاستشعار من البعد. ولو أن باحثا حاول أن يحصر الإرهاصات المروية عن سيدنا محمد صلى الله عليــه وسلم لوجدها كثيرة فى العدد والنوع والأسلوب. والإرهاصات. حــوادث أو إخبار عن شئ يسميه بعض الناس. بالأعاجيب. أو الحاسة السادسة ويســميه العلماء. إن وقعت من نبى قبل البعثة إرهاصات. وبعــد البعثــة. معجــزة. والمسألة ليست مسألة عقل يحكم. أو منطق نقيس به وإنما يكون ذلــك فــى منطق العقل المنضبط المتوازن. وقضايا العلم الصحيح. وقــوانين المنطــق

---

1) إمتاع الأسماع. والحديث بمسند الأمام أحمد ج4
(2) سورة يس 83
3) سورة يوسف 43
(4) سورة القصص 7
(3) سورة الحجر 77. والحديث رواه الترمذى رقم 3052

السليم الذى يجعل العقل خاضعاً لمشيئة الله الخالق. ثم إن العقــل الإســلامى الذى يلتزم حامله بهدى السماء. وتعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتسم بالذكاء بسبب النور الذى قذفه الله فيه بسبب تقوى الله سبحانه. وحب الخيــر للناس جميعاً. وقراءة القرآن. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صـــلى الله عليه وسلم. والبحث والتنقيب عن العلوم والمعارف والثقافة. والتفكير فى خلق السموات وما فيها والأرض وما عليها. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم فيما يرويه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اتقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ "إن فى ذلــك لآيات للمتوسمين"[(1)] والمتوسمين– أى المتفرسين إن سيدنا محمدا صـــلى الله عليه وسلم تمتع– وبدرجة عالية جداً بالفراسة. وبعد النظر والعقل المتوازن. والنطق السليم. وظهور الإرهاصات بين يديه قبل النبوة خاصة الإرهاصات المروية– عن حمله. وولادته.. ولم تقف هذه الإرهاصات عن حــد معــين. ولكن ثبت أنه كان لها صلة بكل شئ فى الأرض. وفى السماء. فــى البــر والبحر. فى أرض العرب. وفى بلاد العجم. فإيوان كسرى ارتجف. وسقطت بعض شرفاته– وخمدت نار فارس. وهى التى مضى عليها ألــف عــام لــم تخمد. وغاضت بحيرة ساوة. وبشرت به وحوش المشرق– وحوش المغرب– وعندنا حادث الفيل. وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم. إن وقوع مثــل هــذه الحوادث تخفى أسبابها على عقول البشر. خاصة أنه ليس لدى هذه العقــول معرفة بعوامل إنشائها على أن وقوع الإرهاصات التى تسبق مــيلاد النبــى: أمر قامت على جوازه دلائل قطعية فى الكتب السماوية. والنقول التاريخيــة التى تكاد أن تبلغ مبلغ التواتر ويدل على ذلك البراهين العقلية التــى تقــرر إطلاق قدرة الله الخالق من قيود العادات والقوانين المعلومة للبشر على قــدر

---

(1) سورة الحجر 77. والحديث رواه الترمذى رقم 3052

عقولهم. وأنهامهم. ولذلك نلحظ من قرائتنا لكتب المرويات عن سيرة سـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان فى طفولته كأحسن ما يكـون الأطفـال ذكاء. ونشاطاً. وطهارة نفس. وصفاء قريحة. وسرعة بديهـة. وأدب جـم. وحياء وعدم تطلع إلى ما فى يد الغير. ثم كان فى شبابه. رجاحة عقل. وقوة بدنية. ودماثة خلق وفراسة. وقدرة على حل المشاكل. والتآلف. وحب الخير للناس. يحسن إلى من أساء إليه. بعيد عن كل خلق دنى. عالى الهمة. بتحلى بمروءة عالية. يصل رحمة. ويشكر لمن أحسن إليه. ويساعد المحتاج. ويقدم مصلحة الجماعة على مصلحته الشخصية لهذا رأيناه فى كل أيامـه– ينسـى الإساءة ولا يذكرها. ويذكر الإحسان ويشكر فاعله. وقد أهدى له "عمرو بـن سالم، ويسر بن سفيان" الخزا عيان وهو بالحديبية– غنماً وجزوراً– ثـم– إن عمرو، وبسر أهديا كذلك "لسعد بن عبادة. غنما وجزورا" وكان صديقا لهمـا فحاء سعد بالغنم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بـأن عمـروا وبسرا– أهديا إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فى عمـرة وبسر ثم أمر بالجزر فنحلات وقسم اللحم على الجميع. ثم فرق الغنم علـيهم ولم يبق شيئا. ثم دخل على أم سلمة بمثل ما أرسل لكل صحابى. ثـم أمـر بكسوة لمن جاء بالهدية. ولم يؤثر نفسه بشئ. وإنما تعامل نع الصحابة على أنه كواحد منهم وهذا أسمى درجات العدل– والمساواة– والإحسان. ومن هنا كانت الشفافية وعلو الهمة. والصدق فى التعاون– والإيثار. ولهذا نرى.

1) جاء "بُديل بن ورقاء– ومعه ركب من خزاعة– وقد كانوا عيبـة[(1)] نصح لرسول الله منهم المسلم ومنهم الموادع. لا يخفون عليه شئ. فسـلموا. ثم قال "بديل" جئناك من عند قومك "كعب بن لؤى– وعامر بـن لـؤى" قـد

(1) عيبة وعاء من جلد يحفظ فيه المتاع– وهذا تشبيه لقلوبهم وما فيها من المودة والنصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم

استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم. معهم- النساء والأطفال. يقسمــون بالله لا يُخَلّون بينك وبين البيت الحرام حتى تميد خضراؤهم- أى يــتم هلاكهــم. فقال صلى الله عليه وسلم "إنا لم نأت لحرب أحد. وإنما جئنا لنطوف بالبيت. فمن صدنا عنه قاتلناه وقريش قد أضرت بهم الحرب. فإن شاؤا ماددتهم مدة يأمنون فيها. ويخلون فيها بيننا وبين الناس. وهم أكثر منهم فإن ظهر أمرى على الناس. كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس. أو يقاتلوا وقد جَمُّوا- أى استراحوا- والله لأجهدن على أمرى هذا إلى أن تنفرد سالفتى أو يُنفذ الله أمره فعاد بُديَل وركبه إلى قريش الذين تواصوا أن يسألوا بديلاً عما جاء بــه من عند محمد فلما رأى بُديَلا- أنهم لا يسألونه- قالا. إنا جئنــا مــن عنــد محمد- أتحبون أن نخبركم. قال عكرمة بن أبى جهل. والحكــم بــن أبــى العاص. لا- والله ما لنا حاجة بأن تخبرونا عنه. ولكن أخبره عنا. أنــه لــن يدخل علينا عامه هذا أبد حتى ولو أفنتنا الحرب. ولم يبق منا رجل واحــد: أراد أهل مكة بتعنتهم أن يخلقوا أزمة وبلا سبب لكنه التعنت ليس أكثر. وهل يستمرون فى ذلك: نسمع صوت عاقل يقول لهم. هو صــوت "عــروة بــن مسعود ويسمى بـــ "قيس" وقال لأهل مكة أرى أن تسمعوا لبُديل. فإن أعجبكم كلامه فأقيلوه- وإلا فاتركوه- فقال "صفوان بن أمية، والحارث بــن هشــام لبُدَيل. أخبرنا بالذى رأيت. فأخبرهم بما سمع من فم النبى الطاهر صــلى الله عليه وسلم فقال عروة بن مسعود. فإن بُديلا قد جاء بخطة رشد. لا يردهــا أحد إلا وقع فى شر. فاقبلوها منه. وابعثونى حتى آتيكم بالخبر الأكيد اليقين. وأكون لكم عينا- على محمد وصحبه. فبعثوه. فلما جاء إلى ســيدنا محمــد صلى الله عليه وسلم قال- يا محمد لقد تركت قومــك. علــى أعــداد مــاء الحديبية- يقصد آبار الحديبية- وهى كثيرة جداً. قد اســتنفروا لــك. وهــم

يقسمون بالله. لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم. وإنما أنت من قتالهم بين أمرين. إما أن تجتاح قومك. ولم نسمع برجل اجتاح قومه قبلك- أو بين أن يخذلك من معك. فإنى لا أرى معك إلا أوباشا من الناس لا أعرفهم ولم نر وجوههم من قبل:ولم نعرف أنسابهم فغضب سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال- لعروة. امضض بظر اللات. أنحن نخذله فقال- عروة- أما والله لولا يدلك عندى لأجبتك. وكان عروة- وهو يتحدث. يمد يده فيمسك بلحية رسول الله. وهو يكلمه. وهذه عادة سيئة عند العرب. وقد كان يقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم "المغيرة بن شعبة" والمغيرة عمه. فكان المغيرة يضرب يد عمه بقوة ويقول له "أكفف يدك عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك فقال عروة- ما أفظعك وأغلظك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عروة من هذا يا محمد؟ فقال ابن أخيك المغيرة بن شعبة- فقال أى غدر- وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس. فلما فرغ عروة من كلامه ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لبُدَيل بن ورقاء فعاد عروة إلى قريش. فقال. يا قوم قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشى وإنى والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من- محمد فى أصحابه فوالله ما يشددن النظر إليه- يعنى لا يرفعون أعينهم إليه أدباً منهم وحياء. وما يرفعون أصواتهم بين يديه. وما يكفيه إلا أن يشير إلى أحد فيفعل. وما يتوضأ من وضوء إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر من هذا الماء شئ. واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم. وقد رأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم. والله لقد رأيت "نسيآت" يعنى نسوة. إن كن ليسلمنه أبدا وعلى أى حال- قروأ رأيكم؟. لقد عرض الرجل عليكم خطة- فمادّوه- يعنى حددوا مدة معينة بينه وبينكم- يا قوم اقبلوا ما عرض فإنى لكم

ناصح مع إنى أخاف أن لا تنصروا عليه، رجل أتى البيت معظماً له- معه الهدى ينحره- وينصرف. فقالوا لا تكلم أحدا بهذا ياأبا يعفور- فلو أن غيرك تكلم بهذا- لكان لنا معه شأن آخر. ولكن محمداً نرده هذا العام. ويرجع فى العام القادم"(1)

إن قريشاً تحاول أن تضع العراقيل- لكن حلم النبى صلى الله عليه وسلم كان أكبر من تآمرهم وكل أزمة يضعونها- يحلها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بيسر وسهولة وإقناع.

فراسة ونباهة

بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "مكرز بن حفص" وما أن اقترب من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه "إن هذا رجلاً غادر. فاجر لقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل. من حركته. ولفته. وتطلعه. لكنه لم يجد ما يزايد عليه. فسمع ما سمعه ممن سبقه ولذلك رجع إلى قريش. ولم يزد على من سبقوه. وفى أمثال هذا بعض الأشخاص فى المجتمع الإسلامى. وهم يزيدون ويعيدون ليشعلوا نار العداوة. فهل لهم أن يتعلموا من العرب فى جاهليتهم ثم إن قريشاً أرسلت "الحُلّيس بن علقمة" سيد الأحابيش ورئيسهم فما أن بلغ الحليس من مكان النبى صلى الله عليه وسلم إلا وقال لأصحابه "هذا من قوم يعظمون الهدى- ويتألهون – أى هم قوم يعظمون الهدى ويتنسكون ويتعبدون- ناس طيبون ابعثوا الهدى فى وجهه. فلما رأى الهدى يسيل فى

(1) إمتاع الأسماع، الروض الأنف ج4 بتصرف **(2) طبقات ابن سعد ج2**

الوادى- عليه القلائد. قد أكل أوباره من طول الحبس عــن محلــه"[1] وقــد استقبله القوم فى وجهه ملبين. وقد تفلوا وشعثوا يعنى تغيرت رائحتهم مــن شدة الجرارة. وانتتف شعرهم لأنهم لم يدهنوه من زمن طويل. فرجع الرجل لأنه رأى الحقيقة. ناس أحرموا وجاءوا بالهدى فلم يمنعوا ولما وصــل إلــى قريش قال- رأيت ما لا يصد- رأيت الهدى فى قلائده قد أكل أوباره معكوفاً "محبوساً"عن محله، والرجال قد تفلوا وقملوا لأنه لا يجل لهم خلع الإحرام إلا بعد أن يطوفوا بهذا البيت. أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم علــى أن تصدوا عن بيت الله من جاء معظماً لحرمته مؤدياً لحقه. والهدى معكوفــاً أن يبلغ محله. والذى نفسى بيده لتخلّنّ بينه وبين مــا جــاء لــه. أولأنفــرن بالأحابيش نفرة رجل واحد- قالت قريش. كل ما رأيت مكيــدة مــن محمــد وأصحابه- فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما ترضى به. ونعجب مــن أنفسنا إذا أرسلناك إنما أنت أعرابى جلف.. إن التاريخ لا يكذب. فكل شــئ مسجل. ونقول هذا فى حل الأزمات ليعرف الناس إلى حد بلــغ رســول الله صلى الله عليه وسلم الكمال الإنسانى. ومحاولة فك الصراع وحل الأزمــات بيسر وسهولة. وقدرته فى ذلك دروس نتعلمها ونقتبس منهــا. ونحــاول أن نطبقها. حتى يجد المجتمع الإنسانى. راحة البال. وهدوء السر فى جو كلــه أمن وسلام. وتعايش سلمى مع الآخرين: لينعم العالم بالهدوء والاستقرار.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

المفاوضات أسلوب عظيم فى حل الأزمــات الإجتماعيــة. وإذا كــان المشركون قد أرسلوا من قبلهم بعض المفاوضــين. إلا أن قريشــا تعننــت

فالرسول صلى الله عليه وسلم رأى بفراسته أن يبعث من جانبه بشخصـيات لها سمات معينة ليطمئن على أن رسالته وصلت دون تحريف أو تُزَيُّد إلـى قريش. فبعث بـ"خراش بن أمية" لأنه له بمكة أهل يمنعونه من اعتداء قريش عليه. وكلفه النبى صلى الله عليه وسلم أن ينقل رغبـة المسـلمين فـى أداء العمرة وأعطاه جمله المسمى بـ: ثعلب" وما أن وصل مكـة.ودخـل إلـى أشرافها. حتى عقر "عكرمة بن أبى جهل" الجمل. ثعلب ودخل علـى نـادى قريش هائجاً يريد أن يقتل "خراشا" لكن قومه منعوه"[1] فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. عندئذ اختار النبى صلى الله عليه وسلم سيدنا عثمان بن عفان "ذو النورين" وبعث معه عشرة من الصحابة. وقد استأذنوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوروا أقاربهم. وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم عثمان أن يزور المسلمين المستضعفين فى مكة ويبشرهم بقرب الفتح وأن الله مظهر دينه.

وقفـة

أرأيت هذه الثقة. وهذا الأمل. نبى محاصر لا يستطيع أن يدخل مكـة. ومع ذلك يبشر بالفتح- وهذا درس للقادة. عليهم أن يتعلمـوه. ثقـة فـى الله وأمل. ورجاء مع عزة نفس وعلو همة. وكفاءة فى التخطيط. وقـدرة فـى الأداء. إنها العبقرية الفذة وقد تتحلى بها أطهر شخصية..

وصول عثمان

بلغ "إبان بن سعيد الأموى" من قبيلة سيدنا عثمان وقريبه. بأن عثمان فى طريقه إلى مكة. فخرج لاستقباله. وبعد أن رحب به أعلن أن عثمـان فـى

1) الروض الأنف للسهيلى ج4 وإمتاع الأسماع

جواره. وقال له- تحرك كما تشاء ولا تخاف من أحد مهما كان. بنو سعيد أعزة الحرم- سيدنا عثمان يتحرك فى مكة يزور المؤمنين المستضعفين. ويبلغهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويجالس أشراف قريش ويعرض عليهم السبب المباشر لمجئ المسلمين. فقالوا يا عثمان. بلغت رسالة نبيك. فقم وطف بالبيت. فقال. ما كان لمثلى أن يسبق رسول الله. والله لا أطوف حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً. أخذوا يماطلون سيدنا عثمان وهو صابر لكنهم كانوا يدبرون خطة فاشلة كآرائهم[1].

خطتهم

فكر المشركون فى قتل النبى صلى الله عليه وسلم والذين معه. لذلك اختاروا كتيبة قوامها. خمسون جندياً بقيادة "مكرز بن حفص" وذهبوا ليلاً. ورسموا خطتهم على مداهمة المسلمين ليلاً، سيدنا عثمان رضى الله عنه بمكة لم يعلم بهذه المؤامرة. لكنهم يمكرون وعند الله ما مكروا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قبيل المغرب. يختار الحراس الذين يحرسون الموقع "المعسكر" ليلاً. لقد كانت نوبة الحراسة على ثلاثة فقط هذه الليلة- وهم- محمد بن مسلمة.. وعباد بن بشر. وأوس بن خولى. ففى منتصف الليل تقريباً لاحظ الثلاثة من المسلمين أن جنداً يتحسس أى ثغرة فى المعسكر. فأحاط الثلاثة بالخمسين الذين فوجئوا بالمسلمين فرموا أسلحتهم واستسلموا وأسروا. وبلغ خبر أسرهم قريشاً. فبعثوا بجمع يرمون معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل. فتغلب عليهم المسلمون وأسروا منهم إثنى عشر شخصاً على الخمسين فيكون عدد الأسرى حوالى (إثنان وستون) وقد قتل من

1) زاد المعاد بتصرف ج1

المسلمين شخص واحد. ولما وقف الأسرى أمام رسول الله صلى الله عليــه وسلم وأبلغهم ما جاء به وأراهم الهدى. وها هم بملابس الإحرام. وبعــد أن أبلغهم ذلك عفا عنهم. وأطلق سراحهم. وسلمهم أسلحتهم. يا سبحان الله. خلق نبيل. وقيم رفيعة. ومبادئ قيمة. علماً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعفو عنهم بلغة. أن سيدنا عثمان قد قتل. وبعد أن فك أسرى المشــركين قال "لا نبرح حتى نناجزهم الخرب" ثم اتجه رسول الله صلى الله عليه إلــى منازل- بنى مازن بن النجار "وهم أخوال أبيه"- وكانت لهم منازل بالحديبية- فجلس فى رحالهم وأعلن أنه سيحارب المشركين ثم قــال- "إن الله أمرنــى بالبيعة". يعنى بأخذ البيعة على المسلمين فمن شاء الحرب بايع. ومن لم يرد الحرب لا يكره على البيعة..

بيعــة الرضــوان

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الناس أن يبايعوه- على أنهم لن "يفروا حتى الموت. وسميت بيعة الرضوان- وكانت تحــت شــجرة الرضوان فأقبل الناس يبايعون. وقد داسوا على فرشهم من السرعة. لأنهم لم يتمكنوا من لم الفراش. وما بقى أحد من المسلمين إلا وبايع- الجد بن قــيس أخو بنى سلمة. يقول عنه بعض الصحابة. فكنا إذا نظرنا إليه. يلصق إبطه. بناقته. يستتر بها من نظر الناس إليه لأنه كان يريد ألا يبايع- لكن عند البيعة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ووضعها. وقال "هذه عن عثمــان" وفيها نزل قول الله سبحانه "لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونــك تحــت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً. ومغــانم

كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما. وعدكم الله مغانم كثيـــرة تأخـــذونها فعجل لكم هذه. وكف أيدى الناس عنكم. ولتكون آيـــة للمـــؤمنين ويهـــديكم صراطاً مستقيماً. وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها. وكان الله على كل شئ مقتدراً"[1] بهذه البيعة المباركة نهض المسلمون ولبسوا سلاحهم. حتـــى النساء. فأم عمارة بعد البيعة عمدت إلى عمود. ونزعته وأمسكته فـــى يـــدها وشدت سكيناً فى وسطها. ووقف المسلمون على أهبة الاستعداد.

خوف ورعب من الرسول صلى الله عليه وسلم

بلغ المشركون نبأ هذه المبايعة- ومبايعة لسيدنا عثمان رضى الله عنـــه فأصيبوا بهلع وفزع ورعب وخوف وأصبحوا يتخبطون. خاصة وهم يعلمون أن المسلمين فى حالة دفاع- وهم يقبلون على الموت كما يقبل أحدهم علـــى الدنيا. وقد أدركوا أن معونة الله معهم. وقـــد شـــاهدوا فـــى بـــدر. وأُحـــد. والأحزاب. وغير ذلك. ورغم أن معهم الشـــجعان والأبطـــال. والأحـــزاب السلاح وكل ما فيه نفع لهم. ومع ذلك. حاقت بهم الخسائر. ونزلـــت بهـــم الهزائم فهم ينفقون أموالهم ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون. إذا فهناك قـــوة أقوى من أى شئ إذا فما العمل. لذلك سارعوا فأرسلوا بسيدنا عثمـــان إلـــى المسلمين ليروه وليعلموا أنه حى لم يقتل. ويسألوا محمدا حسن صلة الرحم- إن المسلمين استعدوا استعداداً رائعاً وعظيماً وأنهم لم يفروا لأن الله ســـبحانه قال لحبيبه ومصطفاه "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيـــديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجـــراً عظيمـــاً"[2] كان المشركون بمكة يرتجفـــون. ولكنهـــم

---

[1]) سورة الفتح 18- 21

(1) سورة الفتح 10

يفكرون فيمن يذهب إلى محمد يقنعه بأن يرجع هذا العام ويأتى فى العام القادم لأن دخوله عليهم هذا العام فيه إذلال لهم. وضياع هيبتهم. ومحمد بفعله هذا سيحافظ على مكانة قريش. وهم أهله وعشيرته. وقد وقع بصرهم على شخصية لها مكانتها الإجتماعية وأرسلوه إلى سيد الخلق ليوافق على حل الأزمة وفك الصراع. وتهدئة النفوس.

صلح الحديبية

قديماً قال الشاعر:

بلادى وإن جارت على عزيزة

وأهلى وإن ضنّوا على كرام

ورسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أحفظ الناس لكرامة أهله. ولذلك قال "والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة. يعظمون فيها حرمات الله. ويسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. لذلك اختار المشركون "سهل بن عمرو" ليذهب إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مفاوضاً. وطلبوا منه أن يكتب معاهدة صلح مع محمد ومن أمثال العرب "إذا أرسلت فأرسل حكيماً ولا توصه" وسهيل معروف بالحكمة لذلك عندما أرسله المشركون. ودخل إلى معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال- لأصحابه. سُهِّل لكم. فقال. سهيل. يا محمد. إن هذا الذى كان. من حبس أصحابك. وقتال من قاتلك. لم يكن من رأى ذوى رأينا. بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به. وكان من رأى سفهائنا، بينما سهيل يتفاوض- أرسلت قريش إلى عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين. وقالوا له إن أحببت أن تدخل إلى مكة ونطوف بالبيت فافعل. فوافق. فقال له ولده. عبد

الله. يا أبت اذكرك الله أن لا تفضحنا فى كل موطن. تطــوف. ولـــم يطـــف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرد على قريش لا أطـــوف حتـــى يطـــوف رسول الله صلى الله عليه وسلم....

ثم إن سهيلا واصل المفاوضة. واتفقوا على:

1) أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه هذا ويرجع فى العام القادم. ويقيم بمكة– ثلاثة أيام.

2) وضع الحرب بين المسلمين وقريشاً عشر سنوات[1]. يأمن فيها الناس ويكـــف بعضهم عن بعض على أنه لا إسلال ولا إغلال "يعنى لا خيانة. ولا تآمر تخفى عن أعين الناس. ولا تسل السيوف".

3– من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده فعل. ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدها فعل.

4– من أتى من قريش إلى محمد مسلماً بغير إذن وليه– رده محمد إلى قريش. ومن أتى من المسلمين إلى قريش لا يردونه.

5– فى العام القادم لا يحمل المسلمون عند دخولهم مكة أى ســـلاح إلا سلاح المسافر. وتكون السيوف فى القرب.

وقد وافق رسول الله صلى الله عليه ويلم على ذلك قال سهيل نكتب بهذا كتاباً فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجئ بالدواة والقلم ونودى على "أوس بن خولى" ليكتب. قال. سهيل. لا يكتب إلا ابـــن عمـــك علـــى– أو – عثمان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب سيدنا على رضـــى الله عنه.

---

1) جاء فى بعض الروايات أنها اربع سنوات

حلـــم، وتنـــازل

سأل سيدنا على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وســـلم مـــاذا يكتب. فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال- سهيل. لا أعرف الرحمن- أكتب- باسمك اللهم، تأفف المسلمون. وبدا عليهم الضيق من ذلك. وقالوا. والله لا نكتب إلا الرحمن. فقال سهيل إذا لا أقاضيه على شئ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا على كرم الله وجهـــه. أن يمحو ذلك. وأن يكتب ما قال سهيل. ففعل ثم قال النبى صـــلى الله عليـــه وسلم اكتب. هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال سهيل. لو نعلم أنـــك رسول الله ما خالفناك فقال النبى صلى الله عليه وسلم- إمحها يا على واكتب. محمد ابن عبد الله. فرفض سيدنا على كرم الله وجهه فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم الصحيفة. ومحاها. وهكذا بالحلم والســماحة. والتنـــازل. تحـــل الأزمات. والصراعات. ويقضى عليها.. وهذه دروس نتعلمهـــا مـــن نبـــى الرحمة. ورسول السلام. والمؤيد بالوحى. المتوكل على الله. الذى أعـــز الله جنده. وهزم الأحزاب وحده.

موقـــف المسلمين

لقد علت أصوات المسلمين بالاحتجاج. وقال رجال يقولون لا نكتب إلا محمدا رسول الله وأخذ أسيد بن حضير. وسعد بن عبـــادة بيد على كـــرم الله وجهـــه. أمسكاهـــا حتى لا تمحو "محمد رسول الله" فمحاها النبى صـــلى الله عليه وسلم- وقالوا يا رسول الله- السيف بيننا وبينهم. علام نعطى الدنية فى ديننا. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدئ من روعهم ويهون علـــيهم. ويرفع يده لهم ليسكتوا. ولذلك تعجب سهيل ومن معه من المشركين من هذا

الحب والوفاء. والنصيحة من المسلمين. لهذا الرجل من وجهة نظرهم إنهـم مشركون. لا يعرف الواحد منهم طعم الحـب لله. ولرسـوله. ولا يعرفـون الوفاء. ولا قيمته. أحاط المسلمون برسول الله صلى الله عليـه وسـلم وهـم يعرفون أنه تحمل فوق طاقته. وأنه يمد حبل المودة الملئ بالرحمة لهـؤلاء الناس ولكنهم للأسـف. لا يفهمون. ولا يقدرون. إن المسلمين رغم ما بهـم من ضيق لكنهم لا يخرجون أبدا عن طاعتهم وولائهم لله ولرسـوله. وهـم يقرءون قول الله سبحانه "من يطع الرسول فقد أطاع الله"[1] فرغم ما بهم من ضيق إلا أنهم لم يخرجوا عن دائرة الأدب والاحترام لرسول الله صـلى الله عليه وسلم الذى أعلن أنه عبد الله ورسوله. ولن يخالف أمره. لأنه سـبحانه. لن يضيعه أبدا.

صحـوة

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه- وهـو القـوى الـذى يهـرب الشيطان من أى طريق يسلكه عمر. كان فى ذهول لما يجرى أمامه. وفجأة- وقف وتوجه إلى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه. وقال- يا أبا بكـر. ألسـنا بالمسلمين؟ قال. بلى. قال فَلِمَ نعطى الدنية فى ديننا؟ فقال له. سيدنا أبو بكـر رضى الله عنه. إلزم غرزك. يعنى. إلزم حدك واعرف قدرك. أنا أشهد أنـه رسول الله. وأن الحق ما أمر به؟ ولن يخالف أمر الله. ولن يضيعه. فـذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له "ما قاله لسيدنا أبى بكر رضـى الله عنه. وجعل يردد ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول لـه. أنـا رسول الله ولن يضيعنى مراراً. فقال سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضـى الله

---

(1) سورة النساء 80

عنه. يا عمر ألا تسمع ما يقول. تعوذ بالله يا عمر من الشيطان وأتهم رأيك. لكن سيدنا عمر رضى الله عنه كرر مرة ثانية إلى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وقال له. ألم يحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال. بلى. ولكن هل أخبرك أنك نأتيه هذا العام؟ قال سيدنا عمر رضى الله عنه لا. فقال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فإنك آتيه ومطوق به. إن شاء الله.

هل هذا صلح مهين؟

الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه- أنه رأى فى المنام. ورؤيا الأنبياء حق. أنه دخل المسجد الحرام- وطاف بالبيت هو وأصحابه. والرؤيا قصها القرآن بعد تحققها فى قول الله سبحانه "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون. فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً"[1] لكن ما حدث من هذا الصلح الذى قال عنه سيدنا عمر رضى الله- علام نعط الدنية من أنفسنا. لهذا اعتبره البعض أنه صلح مهين. وداخل الصحابة من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا- ويتبين لنا أن الإنسان أفقه ضيق. ومهما كان عقله فلابد أن يمد بعون الله. لأن العقل قاصر. ولا يدرى أين يكمن الخير "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"[2] فليس صلح الحديبية مهينا أبداً. وإنما هو فتح عظيم ونصر مبين. ويتبين ذلك.

---

(1) سورة الفتح 27 (2) سورة البقرة 216

الصلح العظيم، الفتح المبين

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمتع بفراسة. وبعد نظـــر. ويتســـم بالحلم والصبر ولقد كان من هديه. أن من جهل عليه. صبر عليه. ومن أغلظ له القول. ألان هو القول ولهذا نرى أن صلح الحديبية الذى ظنه البعض غبناً. وتحمله المسلمون لقوة إيمانهم بالله. وشدة طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. دلت الأحداث على أنه كان فتحاً مبيناً. ومكسباً عظيمـــاً. وانتصـــاراً رائعاً. فقد كان من مكاسبه:

1) اعتراف قريش بقوة المسلمين. ومكانتهم فى المجتمع. وتأثيرهم فـــى مجريات الأحداث.

2) تسليم المشركين بأن المسلمين أصبحوا ولهم قوة ومكانـــة اجتماعيـــة يحسب حسابها. وكفريق قوى. تبرم معهم المعاهدات. ويتم معهم المفاوضات.

3) من ثمار هذا الصلح- الهدنة- حيث يتمكن المسلمون من الاستراحة. فقد شغلتهم قريش. بالمناوشات- وتحزيب الأحزاب- فيـــأتى هـــذا الصـــلح ليستريح المسلمون من الحروب التى شنت عليهم. واستهلكت قوتهم.

4) بهذا الصلح قدم المشركون أعظم خدمة للإسلام. ففى الهدوء والأمن والسلام خالط المسلمون المشركين. وقد أقر المشركون بمحاسن الإسلام. وما صنع فى نفوس معتنقيه فى تهذيب الأخلاق. وتطهير العقـــول وتحريرهـــا. وتزكية النفوس.

5) عرف المشركون- رغم عنادهم. وجحودهم- أن تعـــاليم الإســـلام. وصحبة النبى صلى الله عليه وسلم هى التى هيأت المسلمين ليكونوا على هذا المستوى من الأمل فى غد مشرق. ونصر مبين. وتحقيق العدل والمســـاواة. وحسن الظن بالناس.

6) عرف المشركون أن الإسلام قدر مكانة المرأة. وأمر بعدم عضـــلها. وأوجب لها الحق فى الميراث. ومشاركتها فى العمل الاجتماعى. وأن لها ما للرجل من حقوق. وعليها ما على الرجل من واجبات.

7) أصبح المسلمون نمطاً من البشر السوى بعد أن كان ينفر الناس منهم واختلط المسلمون بالمشركين. فكان ذلك باعث قوى علـــى تفهـم الإســـلام والإعتراف بتأثيره فى النفوس والنهوض بالبشر- وتآلف الناس علـــى البـــر والخير والإحسان.

8) كان من فوائد صلح الحديبية. وما رآه العرب وسمعوا به من موقف النبى صلى الله عليه وسلم وما ظهر من رغبته فى زهده فى الحرب. والسعى فى الصلح. والرضا رغم غلظة المشركين. وثقتهم فى الشروط. لهذا تغيرت نظرة القبائل إلى الإسلام. ونشأ فى نفوسهم إجلال للإسلام وتقـــدير عظـــيم للداعى إليه.

شهـــــادة

يقول الإمام ابن شهاب الزهرى المتوفى عام "124هـ". ما فـــتح فـــى الإسلام فتح كان أعظم منه. فقد كان القتال حيث يلتقى الناس "فـــى ميـــادين الحرب" فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها. وأمـــن النـــاس. وكلـــم الناس بعضهم والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة. فلم يكلم أحد- أحـــدا فى الإسلام إلا دخل فيه.. لذلك دخل فى الإسلام فى سنتين مثل ما دخل فـــى الإسلام قبل ذلك وأكثر" قال ابن هشام- والدليل علـــى قـــول الزهـــرى- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية فى "ألف وربعمائـــة" فـــى قول جابر بن عبد الله. ثم خرج فى عام فتح مكة بعد سنتين فى "عشرة آلاف

مقاتل" لقد أسلم عدد كثير من بينهم "خالد بن الوليد" وعمـــرو بـــن العـــاص والحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات.

معارضــــــة

سيدنا عمر رضى الله عنه تزعم فريق المعارضة. لهذا الصلح. وهـــى معارضة بناءة لا تخرج على القيادة وإنما تبحث عن الحقيقة. فعمر يقول- ما شككت منذ أسلمت إلا الساعة. والمسلم بطبيعته قد يشك. ثم يفكر. ويسأل أهل الخبرة. ليستوضح الأمور. فيتبين له الحق. فيذهب الشك من نفسه- يقول ابن عباس عن الشك هو شئ لا يسلم منه أحد- ثم ذكر ابن عباس. قول نبـــى الله ابراهيم عليه السلام "ولكن ليطمئن قلبى" فهذا من باب الوسوسة. وورد فـــى الأثر "الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة".[1] فلمـــا أراد الرســـول صلى الله عليه وسلم أن يتحرك ليعود إلى المدينة المنورة- كان لابد أن ينحر هديه- ويحلق شعره- فأمر المسلمين. أن يتحللـــوا مـــن عمـــرتهم. بالـــذبح والحلق. فلم يبادروا بامتثال الأمر. ودخلهم هم عظيم وسيدنا عمر رضى الله عنه يقود مجموعة من الصحابة. وقال يا رسول الله. ألم تكن حـــدثتنا أنـــك ستدخل المسجد الحرام. وتأخذ مفتاح الكعبة. وتُعَرِّف مع المُعَرِّفين "يعنى يقف على عرفات" وها هو هدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن طفنا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لكم فى سفركم هذا؟ قال- عمر- لا- فقال صلى الله عليه وسلم أما إنكم ستدخلونه. وآخذ مفتاح الكعبة. وأحلق رأسى ورؤوســـكم ببطن مكة. ثم أقبل على عمر رضى الله عنه. وقال أنســـيتم يـــوم أحـــد "إذ

[1]) الروض الأنف للسهيلى ج4، سيرة ابن هشام

تصعدون ولا تلوون على أحد. وأنا أدعوكم فـــى إخـــراجكم- أنســـيتم يـــوم الأحزاب. إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغـــت القلوب الحناجر. أنسيتم يوم كذا يوم كذا. والمسلمون يقول- صدق الله وصدق رسوله- يا نبى الله- ما فكرنا فيما فكرت فيه. ولأنت أعلم بالله وبأمره منـــا. فلما أدى رسوله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء. وحلق رأسه قـــال هـــذا الذى قلت لكم. فلما كان يوم الفتح أخذ مفتاح الكعبة- وقال ادعوا إلى عمر بن الخطاب فقال هذا الذى قلت لكم. فلما كان فى حجة الوداع. وقـــف بعرفـــة. وقال- أى عمر. هذا الذى قلت لكم. قال عمر. أى رسول الله- ما كان فـــتح فى الإسلام أعظم من صلح الحديبية- يقول سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه- إن الناس يوم الحديبية قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه. والعبـــاد يعجلون. لقد نظرت إلى "سهيل بن عمرو فى حجة الوداع وهو واقف عنـــد المنحر يقدم البدن لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم دعا بـــالحلاق ليحلـــق لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يلتقط شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعه على عينيه وسهيل هذا يوم الحديبية رفض أن يكتب بســـم الله الرحمن الرحيم. كما رفض أن يكتب محمد رسول الله فصلوات الله على نبى الرحمة الذى أنعم الله به علينا وأنقذنا به من الهلكة.

إن فريق المعارضة بزعامة عمر. وقد قلنا إنها معارضة بنّاءة غايتهـــا معرفة أبعاد الموقف ولَمَ رضينا بهذا. فلما أمر رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم الناس أن يحلقوا فلم يهموا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهـــو فى حالة غضب شديد. فاضطجع- فقالت له أمنا العظيمـــة أم المـــؤمنين- أم سلمة- مالك يا رسول الله؟ مراراً وهو لا يجيبها. ثم قال عجبا يا أم ســـلمة- إننى قلت للناس انحروا- واحلقوا- وتحللوا مراراً. فلم يفعل أحـــد مـــنهم أى

شئ– وهم يسمعون كلامى. وينظرون فى وجهى. فقالت يا رسول الله اخرج. فانحر هديك. وادع حالقك يحلق لك. فإنهم سيقتدون بك ونعم الرأى, مـــن أم عظيمة. لها منزلة التقدير والاحترام. وما أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذبح هديه. رافعاً صوته– بسم الله الله أكبر. فقام المسلمون يـــذبحون هديهم. ثم جاء الحلاق فحلق للنبى صلى الله عليه وسلم فرفع النبى صلى الله عليه وسلم صوته بقوله. رحم الله المحلقين. فقال الصحابة رضى الله عـــنهم. والمقصرين. قالها ثلاثاً وهم يراجعونـــه فقـــال والمقصـــرين. لقـــد ذابـــت المعارضة. لأنها تنشد الحق. وتعمل بالحق لقد حلق الكثير وقصر الـــبعض. وكان الناس يتسابقون إلى شعر النبى صلى الله عليه وسلم حتـــى أخـــذت أم عمارة كمية كبيرة. وقالوا بأن من شكا إليها من أى مرض. فكانت تغسل هذا الشعر وتسقيه للمريض فيشفى بإذن الله. وهذه خصوصية وقتية يومهـــا ولا يقاس عليها ولا يعمل بها. ثم إن الشعر من المسلمين كان كثيراً فأرســـل الله ريحاً فاحتملت هذا الشعر وألقت به فى الحرم. وهذا مـــن فضـــل الله علـــى المسلمين"[1].

المـــــرأة

المرأة نصف المجتمع. وهى شريكة الرجل فى بناء الأسرة. وإحاطتهـــا بالرعاية لأنها هى التى تضخ الدم النقى الدافئ فى شـــرائئن أفـــراد الأســـرة بالدفء العاطفى. والمودة الأبوية. والأخوة الإجتماعية. فهى مربية الأجيال. ومنجبة العباقرة. وأم الأبطال. والحاضنة. والمرضعة. لذلك اهتم بها القرآن

1) إمتاع الأسماع، الروض الأنف ج4، زاد المعاد ج1، وسيرة ابن هشام

ومبلغة حتى جعل لها باباً فى مسجده. وحدد لها أوقاتاً يعلمها أمــور دينهــا. ولقد شاركت فى الهجرة. كما شاركت فى الجهاد. والدفاع عن الوطن. ولهــا أثر اجتماعى فعال. يعترف به المنصفون من عقلاء الإنسانية.

ولما كانت معركة الحديبية فيها أزمات متعددة. يمكن لموقف واحــد أن يؤجج نار الخرب. والتى قد تمتد مئات السنين. إلا أنه بفضل القيادة العظيمة التى ضربت مثلاً فى الحلم. والصبر. والمفاوضات. وضبط النفس لولا ذلك ما كنا ندرى. أى مصير للإنسانية يومها تسير إليه.

ولقد كان من بنود المعاهدة التى تم التوقيع عليها من رسول الله صــلى الله عليه وسلم. وسهيل بن عمرو– وشهد على هذه الاتفاقية– من المسلمين.

1)سيدنا أبو بكر رضى الله عنه.

2)سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه زعيم المعارضة. ولذلك على من يريد أن يقول أنا ومعارض نقول له– إقرأ سيرة سيدنا عمر بن الخطاب. لتعرف– أدب المعارضة وكيف تكون المعارضة– لأن الذين لا يفهمون أدب المعارضة– يفسدون العلاقات الإجتماعية– ويؤسسون للفوضى التى تضــر ولا تنفع– لأن العمل بالسياسة له علم. وفن. وثقافة. وحصافة. وأدب. وذوق.

3)من الشهود كذلك سيدنا عبد الرحمن بن عوف. وسعد بن أبى وقاص. وعثمان ابن عفان. وأبو عبيدة بن الجراح. ومحمد بن مسلمة. وحويطب بن عبد العزى. ومكرز بن حفص– وسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهــه كتب نسختين. واحدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية أخذها سهيل بن عمرة. وبينما الجمع حول النبى صلى الله عليه وسلم والمشركون جلوس. إذا بالسيدة/ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط. أبوها من الشخصيات الشهيرة فى التطاول على رسول الله. والاستهزاء به. وتعذيب المسلمين هذه المــرأة–

هى- فتاة- شابة- تحت رعاية والدها- لم تتزوج- أسلمت وحسن إسلامها وقويت عقيدتها. خرجت من مكة مهاجرة إلى المدينة. فتصلها. والحبر على الورق لم يجف والجميع جلوس. سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه. وقالت جئت مسلمة مؤمنة موحدة. شاهدة لك بالرسالة. فنظر المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينظرون فى الصحيفة فى أيديهم. وتحجرت أعينهم عند البند الرابع. فى نفس الوقت جاء أخواها. عمارة- والوليد- يطلبان ردها. قال المشركون- نعم ترد. إعمالاً للبند الرابع "من أتى من قريش إلى محمد مسلماً دون إذن وليه يرد ‘لى المشركين) لكن هذه فتاة- بلغت رشدها. وربما يسئ أهلها إليها. ويساندهم المجتمع لذلك. تمهلوا قليلاً. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترد لماذا والعهد مكتوب. ومن أوفى ذمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم- فكان الجواب إن هذا الحكم يسرى على الرجال. وليس على النساء. لأن نصه- لا يأتيه مسلم إلا رده. لكن قال بعض العلماء الأحسن أن يقال فى مثل هذا تخصيص عموم. لكن ورد فيه تخصيص ونسخ لحكم النساء. لأنه فى رد الرجال. كثرة الطائفين بالبيت. وزيادة خير لعمارة المسجد الحرام. وهذا من تعظيم شعائر الله. فراسة وبعد نظر. واستشعار من البعد للصالح العام. وقد نزل قول الله سبحانه "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن. الله أعلم بإيمانهن. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار. لا هن حل لهم. ولا هم يحلون لهن. وأتوهم ما أنفقوا. ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن. ولا تمسكوا بعصم الكوافر. واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلك حكم الله يحكم بينكم. والله عليم حكيم"[(1)] ويتبين من هذا أن المرأة إذا هاجرت لا ترد لأن الله سبحانه. نسخ السنة بالقرآن. بشروط:

[1)] سورة الممتحنة 10

1- أن تمتحن المرأة. والامتحان أن يستحلف المرأة المهـــاجرة أنها ما خرجت ناشزا ولا هاجرت إلا لله ولرسوله. وليس لها غـــرض مـــن الهجرة غير ذلك.

2- فإذا حلفت إن كانت متزوجة يرد صداقها- أى مهرها- إلى بعلها- إذا كانت من أهل المعاهدة. والمعاملة بالمثل. فالمســـلم الـــذى تـــرك زوجته لكفرها يرد إليه ما دفعه من صداق لها.

3- وإن كانت من غير أهل المعاهدة لـــم تســـتحلف. ولا يـــرد صداقها، علم المشركون بمضمون الآية. وأن بنود المعاهدة لا تسرى علـــى النساء"[1]

موقف محرج للمفاوضمن المشركين

إن حل الأزمات فن- وقدرة- وبعد نظر بحكمة وكفاءة. وكل ذلك تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لـــذلك. ســـهيل بـــن عمـــرو- المشـــرك المفاوض- المتعنت- والذى جلس مع رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم مفاوضاً وعرف قدرته فى الحوار. وحديثه مقنع. وما يشير به حـــق- لكنـــه جاء وقد حشوا ذهنه بأفكار لابد أن يؤصلها- سهيل هذا. وهم يكتب المعاهدة فوجئ سهيل. بولده- أبو جندل سهيل بن عمرو- جاء متوشحاً ســـيفه وفـــى رجليه قيد من حديد. وكان أبوه قد حبسه. وقيده قبل أن يذهب إلـــى ســـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مفاوضاً عن قريش. ففوجئ بولده يرسف فى قيده. جاء متحملاً المشاق الصعاب فقام سهيل- إلى ولده فضربه على وجهه بغصن شجرة به شوك. ثم أمسك بتلابيبه. فتألم- أبو جندل- وقال- يا مسلمون أأرد

---

(2) الروض الأنف ج4، ابن هشام، وصحيح البخارى باختلاف بسيط كتاب المغازى

إلى المشركين يفتنونى. فى دينى فتأثر المسلمون. وجعلوا يبكـــون. فقـــال- بعض المشركين- ممن مع سهيل فى وفد المفاوضات ما رأينا قوماً قط أشـــد حباً لمن دخل معهم فى دينهم. لا نأخذ من محمد نَصَفاً أبدا بعد هذا اليوم. قال سهيل- بغضب. يا محمد هذا أول مَن قاضيتك عليه- رده- فقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم إننا لم نوقع الكتاب بعد. فقال ســـهيل- والله لا أكاتبـــك على شئ حتى ترده. فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم- ثم كلم سهيلا أن يتركه. فرفض. وقام يضرب ولده. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. هبه لى- قال سهيل لا. قال- خفف عنه ولا تضربه. فأنا أجيره. قال ســـهيل. لا أفعل. قال بعض ممن مع سهيل. يا محمد. نحن نجيره لك فأجاراه. فكف عنه أبوه. ثم رفع رسول الله صوته. وقال. يا أبا جندل. إصبر واحتسب فـــإن الله جاعل لك ولمن معه مخرجاً وفرجاً. وإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صـــلحاً. وأعطينا هم على ذلك عهدا. وإنا. لا نغدر. ولا تخون"[1]

الفتـــح المبيـــن

الأعمال بخواتيمها. والنتائج الناجحة تدل على الكفاءة. والقدرة والعمـــل والإنتاج وحسن التعامل مع الآخرين وهذا ما ظهر بعد جهد شـــاق لعشـــرين يوماً قضاها النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديبية فلما انصرف بعد أن تـــم الحل على ما يرضى الأطراف. وتم القضاء على الأزمـــات التـــى أوجـــدها المشركون. وفوت عليهم فرصة الحرب وافتعال الأزمـــات. وقـــد عرفـــت الإنسانية أن محمدا لا يريد الحرب. ولا يرغب فيها ولا يخطـــط لهـــا. ثـــم

---

[1]) إمتاع الأسماع

انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية. متوجهاً إلى المدينــة. ثــم نزل فى "عسفان" ليستريح المسلمون. فشكى المسلمون لرسول الله صـــلى الله عليه وسلم أنهم أصيبوا بالإعياء لقلة الطعام ونفاذه. لذلك استأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يذبحوا إبلهم. فأذن لهم. فقال عمر بن الخطاب. لا يا رسول الله. فإن يك فى الناس بقية ظهر يكن أفضل. ولكن مرهم أن يأتوا بما عندهم من طعام. ثم ادع الله لهم فأمر صلى الله عليه وسلم "بالفرش" ثم نادى مناديه. من كان عنده بقية من زاد. فلينثره على هذا الفرش. فمنهم من أتى بتمــرة. وأحدهم جاء بكف من دقيق. والبعض أتى بقطع صغيرة من الخبز الناشــف. ومنهم من جاء بلا شئ. ثم مد النبى صلى الله عليه وسلم يده إلــى الطعــام ودعى بالبركة. ثم قال. قربوا أوعيتكم وخذوا. فكان كل واحد يأخذ ما يشاء. ثم نزل مطر عند غروب الشمس وهم صائمون. فشربوا من مــاء الســماء. وهو طهور مبارك. وقام النبى صلى الله عليه وسلم فخطبهم وجاء ثلاثة نفر. فجلس إثنان– وذهب الثالث. فقال صلى الله عليه وســلم "ألا أخبــركم خبــر الثلاثة. قالوا بلى يا رسول الله – قال – أما الأول فاستحيا فاستحيا الله منــه. وأما الثانى– فتاب فتاب الله عليه. وأما الآخر. فأعرض. فأعرض الله عنــه. ثم تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. فتقدم سيدنا عمر رضى الله عنه– إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسأله فلم يجبه. ثم سأله. فلم يجبه. ثم سأله فلم يجبه. فتقدم أحد الصحابة وقال. ثكلتك أمك يا عمر. بدرت رسول الله ثلاثاً وهو لا يجيبك. فحرك عمر بعيره وتقدم وخشى أن يكون قد نزل فيه قرآن. وبينما هو فى هواجسه سمع من ينادى – يا عمر رســول الله يطلبك. فأسرع إليه. فسلم فرد– وهو مسرور. ثم قال يا عمر نزلت على الآن سورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ أول سورة الفتح "إنا فتحنا

لك فتحاً مبينا" فركض الناس من كل ناحية. حتى تجمعوا علـــى رســـول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسمعونه يقرأ السورة. فلما فرغ قال. إن جبريـــل. بعد أن تلقيت الوحى. قال نهنئك يا رسول الله فلما هنأه. هنأه المسلمون وهذا هو الفتح المبين. وصدق الله. وصدق رسوله. شئ عظـــيم جـــداً. وتـــاريخ مشرق. وزعامة عالمية. تتمتع بقدرات هى من مدد الله الـــذى يعلـــم خائنـــة الأعين. وما تخفيه الصدور. وهذه دروس للمسلمين ليتعلموا من مـــنهج الله. وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم الذى قال الله له:وأنزل الله عليك الكتـــاب والحكمة وعلمك ما لم تعلم"[1]

مكاسب المسلمين

إنه صلح الحديبية. كله مكاسب فقد أخبرنا ربنا العظيم جل جلاله. أنـــه نصر مبين. وفتح عظيم. وأن ما بذله رسول الله صلى الله عليه وســـلم مـــن جهد هؤلاء لا يضيع أبدا. فالحكيم العليم. أعلم بكل شئ. فلن يقع فى ملكه إلا ما يريد فهو سبحانه العليم القدير. وهو القائل سبحانه "ما أصاب من مصـــيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علـــى الله يسير"[2] إن الله كف المسلمين عن الحرب وأنزل علـــيهم الســـكينة. وكـــف المشركين كذلك وأدخل عليهم الرعب. لأن فى مكة فئة من الناس. أســـلموا. ولضعفهم وخوفهم أخفوا إسلامهم لا يعلمهم المســـلمون. وربمـــا يقتلـــونهم. فيصيبهم بذلك سُبه ومعرة. وهوان. ويتحدث الناس عنهم بأنهم قتلوا إخوانهم فى العقيدة. وإلى هذا أشار الحق سبحانه فى قوله سبحانه "وهو الـــذى كـــف

---

(1) سورة النساء 113 **(2) سورة الحديد 22**

(3) سورة الفتح 24،25

أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم. وكان الله بما تعلمون بصيرا. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام. والهدى معكوفا أن يبلغ محله. ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم. فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء. لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما"[1]. لو تزيلول – لو تميزوا. وتجمعوا فى مكان حتى تعرفوهم. لكنهم لم يقدروا وهم يختلطون بالكفار. لذلك منعت الحرب حفاظاً على المسلمين الضعفاء. رحمة عامة وشاملة من رب رحيم يعلم كل ما فى الكون. ولا يقع فى ملكه إلا ما يشاء..

عندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ذى الحجة. جاء أبو بصير ابن أسيد– حليف بنى زهرة– جاء أبو بصير مسلماً. وسار من مكة إلى المدينة. ووصل إليها متورم الأقدام لأنه سار فى طرق غير مألوفة. وبعد ثلاثة أيام. بعث المشركون برسالة مع خنيس بن جابر عن بنى عامر ومعه آخرون ودفع المشركون له بكر بن لبون. وحملوه على بعير. وخلاصة الرسالة التى قرأها أبى بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. و"قد عرفت ما شارطناك عليه. وأشهدنا بيننا وبينك– مِنْ رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث إلينا بصاحبنا: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بصير أن يرجع معهما. فقال يا رسول الله أتردنى على المشركين ليفتنونى فى دينى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت. ولا يصلح فى ديننا الغدر. وأن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا. ومخرجا. فقال أبو بصير. أتردنى يا رسول الله إلى

المشركين. قال. انطلق يا أبو بصير. فإن الله سيجعل لك مخرجاً. وسلمه إلى خنيس ومن معه.

فأسر المسلمون فى أذن أبا بصير- بأن الله جاعل لك مخرجاً. والرجل يكون خيراً من ألف رجل وسار أبو بصير مع خنيس ومن معه حتى وصل إلى مسجد ذى الحليفة. فاستأذنهما فى صلاة الظهر- صلاة المسافر. ثم أخرج من ملابسه تمراً. ودعاهما إلى الغداء. وقدم لهم كسر خبز وبدءوا كان خنيس قد علق سيفه على الجدار. فقال أبو بصير. يا أخا بنى عامر، ما إسمك؟ قال خنيس- قال- ابن مَنْ؟ قال ابن جابر- قال أبو بصير. أصارم سيفك هذا؟ قال نعم. قاتل. قال أبو بصير ناولنيه أنظر إليه إن شئت. فناوله. فأخذ أبو بصير بقائم السيف والعامرى. ممسك بالجَفْن- فعلاه به- ولم يتركه إلا وهو جثة هامدة. وفر الباقى هارباً متجهاً إلى المدينة. وأبو بصير فى أثره.. استطاع المشرك أن يسبق أبا بصير. ووقف على باب مسجد النبى صلى الله عليه وسلم. وهو زائغ البصر يضطرب من الخوف. وكان رسول الله يجلس مع أصحابه بعد صلاة العصر. فقال هذا رجل رأى ذعرا. فدخل. وقال يا رسول الله فقال له. مالك. ويحك. قال- قتل صاحبكم- صاحبى. وهربت أنا منه فأقبل أبو بصير. ودخل المسجد. وهو متوشحاً سيفه. وقد أناخ أبو بصير ناقته خارج المسجد. ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له- وفت ذمتك يا رسول الله وأدى الله عنك. وقد أسلمتنى بيدك للعدو. وقد امتنعت بدينى من أن أفتن. ويعبث بى. أو أكذب بالحق. فقال عليه الصلاة والسلام "ويل أمة محسن[1] حرب. لو كان معه رجال" والمحسن هو

[1]) محرك للحرب. موقد لنارها

الذى يوقد النار وينفخ فيها. والنار هى الحرب- والعرب يتلمسون أى طريق للحرب رغم خسارتهم وقتل رجالهم لكنهم لا يفهمون. رغم أنهم أذكياء.

أمانـــة وقـــوة

أبو بصير- شخص غير مستقر، المسلمون يردونه إلى المشركين. وفاء بالإتفاقية وهو لا يرغب فى الذهاب إلى المشركين. ومع ذلك. قـــدم. ســـلب الرجل الذى قتله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسه. فقال – لا أخمسه لأننى لو فعلت ذلك لم أكن قد وفيت بالذى عاهدتهم عليه. ولكن شأنك بسلبك. هذه أمانة. ثم قال صلى الله عليه وسلم للمشرك. خذ أبا بصير واذهب به إلى أصحابك. فقال – يا محمد- مالى به قوة. ولا أقوى عليه. فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بصير. اذهب حيث شئت. فخرج أبو بصير فتوجه إلـــى مكان يسمى "العيص" على ساحل البحر. ونزل بمكان على طريق يمر عليـــه تجارة مكة. واتخذ لنفسه مكاناً وأنشأ مسجداً يصلى فيه. وعرف سيدنا عمـــر بن الخطاب رضى الله عنه بخبر أبا بصير. وحدد للمسلمين مكانه على ساحل البحر. فى العيص. ونقل إليهم كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم "ويل أمة محسن حرب. لو كان معه رجال" ففر إليه ما يقرب من سبعين[1] رجلا ممن كانوا بمكة. وفر إليه أبو جندل. الذى قدمه أبو بصير ليصلى بالناس. لأنـــه يحفظ الكثير من القرآن ولأنه قرشى. وبلغ العدد حوالى ثلاثمائة[2]. وبـــدءوا يقطعون على قريش طريقهم بل ويستولون على البعير بمـــا تحمـــل. وهنـــا فزعت قريش. وأرسلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم يرجونـــه أن يـــؤوى

---

(1) إمتاع الأسماع ج1 ص105

(2) الروض الأنف ج4 ص38

هؤلاء إليه. ويعطونه الحق فى إمساك من جاء مسلماً. ويستغيثون بـــه فـــى إبطال هذا الشرط. ونظراً لأن أبا بصير فى أول الأمر كان يصلى بالمسلمين ويعلمهم أخلاق الإسلام. فكان له الأمر والنهى. يجمع من معـــه ويقـــرءون القرآن فلما جاء أبو جندل وقدمه للصلاة وقراءة القرآن. صار هو صـــاحب الرأى فأصيبت قريش بالهم والغم وكتبت إلى رسول الله مرة أخرى يســـألون بحق الرحم إلا أدخل أبا بصير ومن معه إليه. وأنهم لا حاجة لهم بهم فكتـــب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بصير أن يقدم مع أصـــحابه- إلـــى المدينة فوصل خطاب لرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بصير فـــى حالـــة الاحتضار. فجعل يقرؤ الخطاب ويضعه على رأسه وصدره. ومات- بعد أن أوصى أصحابه أن يتوجهوا إلى المدينة. ويبلغوا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم. تحياته وحبه وتقديره له. وفاضت روحه والخطاب بين يديـــه وعلـــى صدره ووضعوه معه فى القبر. ورجع المسلمون إلى المدينة. ومن بيـــنهم- الوليد بن الوليد بن المغيرة. ومات عقب دخوله المدينة فحزنت عليه ســـيدتنا العظيمة "أم سلمة" زوج النبى صلى الله عليه وسلم لأنها خالته- وهو شـــقيق خالد بن الوليد- الفارس المغوار. وقد يتساءل البعض هل هذا قطع طريـــق؟ وهؤلاء قطاع طرق؟ نرجع إلى العرف والتقاليد ونظم العالم. فسوف نقـــول. لا. لأن قريشاً ظالمة- أساءت العلاقة الاجتماعية مع من أسلم وضيقت عليهم واستولت على أموالهم وديارهم بلا رحمة. وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة والتعامل بالمثل فالمسلمون لا يعتدون ولا يحبون أن يعتـــدوا. ولا يظلمـــون أحدا...

التفاعـــل مع الأزمـــة

عند اشتداد الأزمة. على القيادة أن تتعامل مع الجمهور بضبط الـــنفس ومحاولة استجماع القوى. والتفكير فى كيفية الرد الصحيح. والمنطق الســـليم وهذا أساس قوى لإضفاء ثقتها من الثبات على النفس. وهذا ما رأينـــاه فـــى خضم معترك الأزمة. وظلت القيادة بالدور المطلـــوب فـــى إدارة الأزمـــات المتلاحقة ومن فضل الله أنه مع توسيع الأزمة وتتابع المواقف. إلا أن هـــوة الخلاف بين صفوف المجتمع لم تتسع. وإن حاول المنافقون. والمشـــركون. وغيرهم من إشعال الفتنة وظهور انقسامات. إلا أن ذلـــك لـــم يحـــدث. لأن الإيمان له دور كبير فى تسكين النفس. وهدوء الأعصاب. وراحـــة البـــال. فالقلوب المؤمنة لا تتأثر بتلبد السماء بالغيوم. فالثبات. والقدرة على التعامـــل مع الأزمة من طبيعة المؤمن الذى يوقن بأنه من الصعب منع الأزمات مـــن الوقوع- أو تحديد وقتها- لأن طبيعتها أنها تتسم بالمفاجأة. لهـــذا لا يجـــوز رمى الغير بأخطاء لها أثر فى خلق الأزمة وتواجدها. بل يجـــب التثبـــت.. والتعامل مع الأزمة. ومواجهتها ويراعى الآتى:

1) أن لا يتم التصريح بأى شئ عن الأزمة لمن لا يعرف الحقيقة.. لأن إعطاء معلومة خطأ منه تشوش الأفكار. ومن الصعب تصحيح ما قيل.

2) تحديد الدروس المستفادة من الأزمة. وحصار دورها. وتقليل شـــأنها ويسر معالجها.

3) إن عقل المسلم بما منحه الله من فيض يستطيع أن يحل الأزمات تحت ما يشاء من عناوين

أ- إدارة الأزمات. هى القدرة على تدبير الأحوال للتعامل مع الصراعات التى تنشأ وقوع الأزمة. علما بأن الحل الصحيح للمشكلة حسن الإقتداء بهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى يجب على كل مسلم أن يقرأ سيرته بفهم ووعى خاصة القيادات.

ب-

النيل من القيادات

كل مجتمع به قيادات- هى التى تخطط له- وتشرف على التنفيذ لنهوض المجتمع ورقيه- والقيادات عندما تتفاعل مع القاعدة الشعبية مع العمل والإنتاج. والابتكار. فسوف يكتب لهذا المجتمع التقدم والازدهار لهذا ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل سأله. وقال يا نبى الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم. ويمنعونا حقهم فما تأمرنا. فأعرض عنه.. ثم سأله- مرة ثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرر السؤال إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم"[1] ويقول عليه الصلاة والسلام "لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكل أحد صلاح"[2]- يقول الألوسى. جاء فى بعض الكتب السابقة يقول الله سبحانه "أنا الله ملك الملوك. قلوب الملوك ونواصيها بيدى فإن العباد أطاعونى جعلتهم لهم رحمة. وإن هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة. فلا تشتغلوا بسب الملوك. ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم"[3] ويقول عليه الصلاة والسلام "من ولى من أمور المسلمين شيئا فحسنت سريرته رزق الهيبة من قلوبهم. ومن بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم. وإذا وفر عليهم أموالهم وفر الله عليه ماله.

---

(1) رواه الترمذى **(2) رواه الطبرانى**
(3) غالية المواعظ للألوسى ج1 **(4) رواه الترمذى- كنز العمال ج6**

وإذا أنصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه. وإذا عدل مُد فى عمره"[1]

لهذا علينا أن نحب قياداتنا فى أى مجال- قيادة الأسرة- قيادة الدولة- قيادة العمل. رئيسك فى العمل هو قائدك. فعلينا أن نتعاون جميعاً بروح الحب والعلاقات الطيبة. وأداء العمل وعدم التهرب منه- وعلينا أن نؤمن بأن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية – وهناك فئة من الناس علينا أن نحترم مكانتهم- ونجل قدرتهم لأن فى الإساءة إليهم إضعاف الثقة فيهم. وإثارة البلبلة فى المجتمع لأن الإنسان فى حالة الأزمة- مثل- الفقر- البطالة- المرض- الكسل يتولد فى نفسه حالة عدم الثقة فى القيادات- فيقوم بإلقاء التهم بصدق- أو كذب- بعلم- أو بغير علم- ويكون هذا الصراع سبباً فى تزايد الفرقة بين أفراد المجتمع- وتكون الطامة الكبرى لو كانت هذه القيادات تعمل فى مجال العمل العام الإسلامى فيتسبب ذلك فى أمور تسئ إلى العمل الإسلامى. وتبعد الناس عن الدين ويكون مَن أسئ إليهم فى أعينهم نماذج سيئة- وعناصر فاسدة. وقد يكون أسئ إليهم. وهم أبرياء- إلا أنهم كقيادات فى العمل الدعوى فتكون الإساءة إليهم سبباً فى تنفير الناس من الدين. ولذلك ينشط أعداء الإسلام فى ترويج الإشاعات على قيادات العمل الدينى بغرض تنفير الناس من الدين- أى دين سماوى- وقد يكون هؤلاء الدعاة هم السبب المباشر فى ما ينسب إليهم. لسعيهم على المناصب. وترك عملهم. والانتماء إلى حزب معين. فيسيئونا إلى الدين لأن الداعى إلى الله- حزبه. وهو حزب الله. يدعو إلى الوسطية والإعتدال ويستقبل الناس جميعاً ويسمعهم دعوة الحق ويؤدى واجبه بهمة ونشاط, يرجو رحمة ربه وعطاء الله له خير لأن شخصية الداعى إذا اهتزت. وفقد ثقة الناس فيه. فقد خسر خسراناً عظيماً. ويكون

أعداء الإسلام قد نجحوا فى مخططهم. ونحن هنا نقول "نحن لا نلـــوم أهــل الباطل على تحركهم. لكننا نلوم أهل الحق على تخاذلهم" إنه بـــرغم النجـــاح العظيم الذى حققه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء المجتمع. والـــدفاع عنه. ورد كيد المعتدين إلى نحورهم. وما حققه من إنجازات وانتصارات. إلا أن ظهور المنافقين. وتحرك غيرهم. وبحثهم من ثغـــرات يـــدخلون منهـــا ليوجدوا خلخلة فى الصف الإســـلامى. وقد كان يقضى عليها إلا أنه نشـــط هـــذا الفكر بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيـــق الأعلـــى وحدثت الردة– وقابلهـــا الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا أبو بكر رضى الله– بكل حزم وصمود وتحد. وثقة فى الله. والاستعانة بأهل الكفاءة والقدرة والعمل الحربى والسياسى. فقضى على هذه الردة. بل وفـــتح مدائن كسرى. وحطم عنجهية فارس. وجاء من بعده الخليفة الثانى سيدنا عمر فأمّن العباد. ونشر العدل. ودون الدواوين ووضع قواعد الدولة ونظم ديـــوان الجند. ورتب الأعطيات. ووضع الضوابط النظامية وكانت المـــؤامرة عليـــه محكمة. فتم اغتياله فى محراب المسجد. قتله مجوسى ثم كان سيدنا عثمان– وقتل شهيداً. وسيدنا على وقتل شهيداً ومرت الحياة إلى يومنا هذا. فأصبحت الفضائيات والتقدم التكنولوجى وتعددت الأحزاب. وتنوعت الهيئات. وتعددت مدارس الإستشراق وكلها تكيد للإسلام والدعاة إلى الله. وأصبح الأمر يتطلب من المسلمين مراجعة خطة عملهم. وإغلاق باب الفتن أمام أعـــداء الإســـلام الذين نشطوا فى وسائلهم التى ينتجونها. لهدم الإسلام والحط مـــن رمـــوزه. والكيد لهم ووقف مسيرة الإسلام والنيل منه. والمسلمون مشغولون بقضاياهم يثورون. ثم يخمدون. ويبوحون بكلمات هى فى حقهم خطأ. ونحن أصـــحاب عقل منظم. وفكر مرتب. ولكن نسيناه فى غمرة انشغالنا بمشاكلنا الجانبيـــة.

وها نحن اليوم ندرس تاريخ نبى الإنسانية – وكيف استطاع أن يتغلب على أزمات أصعب مما نواجهه. والمسلمون مطالبون أن يتخذوه قدوة لهم. فهل لنا أن نعيد دراسة تاريخ هذا النبى العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من يوم مولده– إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى– وندرس تاريخ الخلفاء الراشدين– ثم ندرس تاريخ قيام الدول– أسبابها ثم ندرس أسباب انهيار الدول ونتعرف على المصلحين. وقادة الفكر. ودعاة الإصلاح. والعلماء الذين هيأهم الله لهذه الأمة التى من رحمة الله بها أنه يقيض لها كل فترة من يجدد لها أمر دينها. ويعيدها إلى رشدها.

إننا نتجه إلى شبابنا. ونقول لهم تعالوا إلى كلمة سواء. نتحاور ونناقش قضايانا بروح التسامح والوصول إلى الحق. وادرسوا تاريخ الشباب من حولكم وستجدون أنكم أغلى ثروة علمية. وأعظم قيادة من نتاج الأمة العربية التى أعلى الإسلام منزلتها. إن الدين يوفر للناس قسطاً من الطمأنينة النفسية والروحية– وعباداته تخفف عن الناس آلامهم وتكبح غرائزهم الشهوانية. ولهذا قال الله سبحانه "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم لهم الأمن وهم مهتدون"[1]

الإنهيار الذى أصاب المسلمين

عندما غفل بعض المسلمين عن دينهم. ومعالمه. ونسوا كيف استطاع نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحل مشاكل العالم. ويتصدى للأزمات بكل أبعادها. ولو وجد الآن لحل مشاكل المجتمع بكل طوائفه. لأنه صلى الله عليه وسلم. مؤيد من السماء. يلهمه الله الرشد. وفصل الخطاب إننا نعيش فى

---

[1]) سورة الأنعام 82

عصر فاق كل العصور. فى رقيه المادى. واكتشافاته العلمية. ومع كل ذلك- وقف العلماء حيارى. حيث ازداد عدد المصابين بالأمراض النفسية والعصبية ازدياداً مقلقاً. ومع ذلك فقد خيم على المجتمعات جو من القلــق. والخــوف والاضطراب ولهذا فقدت المجتمعات المتقدمة المنتجة. المتحضرة. لــذة مــا وصلت إليه من تيسير للرفاهية. وعيشة الترف، بســبب نســبة الأمــراض. نفسية. وجسدية ترتفع نسبة هذه الأمراض فى هذه البلاد بنسبة عالية جــداً، ويقدم البعض على الانتحار فى مناطق تُعد من أرقى البلاد تقدماً فى المستوى المعيشى: السبب فى ذلك- غياب الدين- والبعد عن الأخلاق النبيلة. وعــدم التخلق بالفضيلة. وغياب الرحمة والعدالة. والحب والإيثار. والتعاون وسبب غياب هذه القيم أقلام مسمومة. تصور الرذيلة على أنها فضــيلة. والمجــون والاستهتار. على أن ذلك عفة وطهارة. والظلم على أنه تحضر ومدنية. إلى غير ذلك حيث قلبوا الحقائق. وغيروا مفهوم الدين والأخلاق. إن هذه الأقلام المسمومة أفقدت الإنسان- الاستقرار النفسى. ومحت الشحنة الإيمانيــة مــن قلب الإنسان. وظهر مع ذلك الشيوعية. فأفقدت الإنسان عقيدة الإيمان بــالله واليوم الآخر وأبعدت بينه وبين القيم الأخلاقية التى رافقت الإنسان منذ مهده على الأرض. وهكذا أفقدت الحضــارة الغربيــة. والشــيوعية. ومــدارس المستشرقين. والأقلام المسمومة أمن الإنسان واستقراره. ونحن نريد أن نحل هذه الأزمة. كيف؟ إننا الأمة الإسلامية التى تستطيع أن تحمل لواء الأمــن. وتبنى حضارة. وتؤسس أمة ليس على منهج.

الإصلاح الدينى

لأننا أمة نؤمن بأن الدين الصحيح هو من عند الله وبلغه إلينا نبينا العظيم بأمانة وصدق وفطانة وحمله رسول عظيم ما كان يوماً ليفسد حتى يحتاج إلى

مصلح أو إصلاح. لأن مظاهر الإصلاح فى عرفهم هو إضعاف الوازع الدينى. عند المسلمين. لأن أعداءنا صدروا إلينا مفاهيم تخالف تعاليم ديننا. مثل:

1) شخص مات. فيسأل عنه صديقه لأنه لم يعلم بموته فيكون الرد- ربنا افتكره- فينسبون إلى الله النسيان- وحاشاه "وما كان ربك نسياً"[1] والعالم بكل ما فيه- أحصاه الله عددا حيث خلقهم ويرزقهم قال الله تعالى "لقد أحصاهم وعددهم عداً"[2] – إلى غير ذلك.

2) يعطى الحلق- للى بلا ودان، ويعطى الملبن للى ملوش أسنان. تشكيك فى عدالة الله- وحاشاه- وتنزه عن ذلك- فهو القائل "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون"[3].

3) شخص يسأل عن شخص فيرد آخر ويقول "ده طور الله فى برسيمه" يا سبحان الله. هل يليق أن نقول هذا فى حق الله العادل لكنها نماذج وعينات مما تصدره إلينا الأقلام المسموعة.

4) قول القائل "قدر أحمق الخطى، هل هذا يليق.

وكذلك- إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

أنحن البشر نوجب على الله- من نحن- وكيف نقدر وبأى أسلوب- لكنها جهالة القرن العشرين. فى غيبة الوعى الدينى- وانتشار الأمية الدينية.

---

(1) سورة مريم 64 **(2) سورة مريم 94**

(3) سورة النحل 90

5) ثم صدروا إلينا الدين يحتاج إلى إصلاح- يا سبحان الله. نفوس البشر هى التى تحتاج إلى إصلاح

6) صدروا إلينا شباشب لنستعملها فى دورات المياه. وأطلقوا عليها أسماء فى الحقيقة- نجوم فى سماء الدعوة الإسلامية. ولكن من باب التحقير والازدراء أطلقوا عليها أسماء تخيروها بدقة. إمعاناً منهم فى إلحاق الأذى الأدبى بالمسلمين وانخدع فى ذلك المسلمون ورددوها- مثل- خدوجة- يعنى- خديجة- عيوشة- يعنى عائشة- فطومة- يعنى فاطمة- زنوبة يعنى زينب وهذه الأسماء الطاهرة. والتى لها مكانة الإحترام والتقدير- وصلت بهم الخسة لأنهم مصابون بالمرض النفسى. وانفصام الشخصية والحقد يملأ قلوبهم أن يفعلوا ذلك.

وفى غيبة الوعى الدينى- والرشد الاجتماعى والانشغال بالدنيا نشط هؤلاء. فوضعوا الكتب المليئة بحقدهم وصوروا الأفلام السينمائية الهابطة- التى تسئ إلى الدين والداعى إليه. وتصور الشذوذ الجنسى وترغب فيه. وتنتهك الحرمات باسم الفن- والفن برئ. لأنه قيم وأخلاق. وعلاقات اجتماعية نبيلة تتسم بالأدب والذوق والجمال والاحترام. والمسلمون يهبون بصيحة مزعجة ثم يهدءون. ولا تسمع لهم بعد ذلك همساً. لذلك. نحن فى حاجة إلى صحوة مرشدة لأننا نحن المؤهلين لحمل راية الأمن والسلام. وعودة الصحة النفسية والنشاط الاجتماعى إلى المجتمعات الإنسانية للأسباب الآتية:

1) لأننا أمة تدعو إلى أمن الناس. ونشر السلام. ولن نتخذ من الوصول إلى الفضاء إنكار الله. ولن نتخذ من الصواريخ عابرة القارات ذريعة لتدمير البلاد على العباد. ولن نرمى عليهم بالقنابل لنهلك الشعوب. ونحطم الناس.

لنذلهم ونجعلهم تحت دائرة نفوذنا لأن ديننا ينهانا عن ذلك. فهو دين يدعو إلى التعايش السلمى مع الناس أجمعين.

2) إننا أمة تدعو إلى طلب العلم. ونشر الثقافة. ولن نتخذ من وسائل الإعلام وسيلة لنشر الكذب. والإفتراء على الآخرين. وتضليل الرأى العام. ولن نتخذ من التليفزيون والسينما وكل أدوات التكنولوجيا. والمسرح وسيلة للإغراء الجنسى وتحريك الغرائز. والتشجيع على ترك قيم الدين وأخلاق وعرف المجتمع وتقاليده.

3) إن الدين الذى نؤمن به دين قيم. وآداب. وأخلاق. وحب للآخر. وتعاون معه. وألفة ومودة ينهى عن الخصومة. ولا يقر العنف ولا يرضى بالإرهاب أسلوباً للتفاهم أبدا. إن الإنسان بغير دين قلق. متبرم. مضطرب. والمجتمع بغير دين غابة بالحياة فيها للأقوى الذى يتحرش بالضعفاء. ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[(1)] ويقول ابن القيم "الدين هو الخلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الدين" ويقول الزعيم الهندى "غاندى" إن الدين ومكارم الأخلاق هما شئ واحد لا يقبلان الإنفصال. وإن الدين كالروح للأخلاق. وإن الدين يغذى الأخلاق وينميها وينعشها".

4) إن الإسلام دين يأمرنا أن نحترم المرأة. لأنها نصف المجتمع. وهى الأم. والأخت والعمة والخالة. والزوجة والإبنة. إن أى امرأة أنظر إليها بعفة وطهارة. لأنها كما قلت وقد أمرنى الله أن أغض بصرى. وأن أكون أميناً. لأن ما انظر به إلى المرأة سينظر به من الرجال إلى أمى. وأختى. وأقاربى. حتى زوجتى. وإبنتى. فما أرضاه لأقاربى وأهلى أرضاه للناس وللنساء

---

1) رواه البخارى

(2) رواه البيهقى فى السنة الكبرى

بالذات. ولذلك ورد أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال يا رسول الله – ائذن فى الزنا؟ فهم من كان قرب النبى صلى الله عليه وسلم أن يتناوله "يعنى يضربوه" فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعوه– ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم أتحب أن يفعل هذا بأختك؟ قال– لا– قال. فبإبنتك؟ قال– لا. فلم يزل– يقول له. فبكذا. فبكذا. كل ذلك يقول– لا. فقال النبى صلى الله عليه وسلم "فأكره ما كره الله. وأحب لأخيك ما تحب لنفسك"[(1)] لقد كان نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رعاية أمر النساء. وتحريرهن من ظلمات الجاهلية. والأخذ بيدها لتمارس الحياة بفاعلية. أمر معلوم للعامة والخاصة وحل مشاكلها. ودورها عظيم فهى تؤدى دور المواطنة فى الأمة لتشكل مع الرجل دعامة أساسية لبناء الأمة والنهوض بالمجتمع– وكانت المرأة يومها فى المجتمع تشكل أزمة لا تحل– إلا بالقضاء عليها ولذلك فإن ما حظيت به المرأة من حقوق فى ظل الشريعة الإسلامية. وعلى يد محررها العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم تنله المرأة فى أى مكان على الأرض. قبل الإسلام. ولم تنله فى ظل الحضارة الغربية إن أعداء الإسلام الذين يتهموننا أننا نزدرى المرأة. أو نتحرش بها لإشباع رغبتنا– نقول لهم– لا– لأن من يفعل ذلك. ساقط الهمة. عديم المروة ليس من الإسلام فى شئ, وعلينا أن نحكم بالإسلام عن الناس. ولا نحكم بالناس على الإسلام. فدستورنا يقول "فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض"[(2)].

5) إننا أمة لنا حضارة. حفظ التاريخ معالمها. وأنها قامت على العدل. والمساواة ولعلنا نذكر أنه كان قريب جداً. البلاد التى تنادى بالحرية. وتتباكى

على أن المرأة فى الشرق مظلومة. وأن أسلحتها هى التـــى تـــدمر الـــبلاد. وتحرق العباد. ثم تتباكى على الحرية. كانت تقر التفرقة العنصـــرية علـــى أرضها. وبين شعبها. فما يتمتع به الأبيض, لا يحل للأسود.. وكانت أكـــلات الكلاب والقطط تباع فى أرقى المحلات ويحرم منهـــا الملـــون. والســـيارات الفارهة لفسحة القطط والكلاب ويحرم الملون منها وهكذا. وكانـــت المـــرأة عندهم إذا افتقر زوجها يبيعها بثمن بخس لكن- صوتهم عالى علينا بغير علم. نحن هنا نتعايش بأدب. نعفو عمن ظلمنا ونعطى من حرمنا. لأن لنـــا دينـــا. علمنا الأدب. ولن يتركنا رب الدين إذا رجعنا إلى الدين وآدابه لأنه ســـبحانه "لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(1).

إننا نؤمن بأن رسولنا العظيم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لو كـــان حياً لتمكن من حل مشاكل المجتمع والقضاء على هذه الأزمات. لأنه استطاع فى مدة- 23- ثلاث وعشرين سنة أن ينشر السلام فى الجزيرة العربية وما حولها. وأن يكاتب الملوك والقياصرة والأكاسرة. وأن يبشر العالم أجمع بهذا الدين. وأن يحول رعاة الغنم إلى قادة أمم. ولقد سار خلفاؤه من بعـــده علـــى نهجه. فنشروا السلام عن طريق التجارة. وحسن تعاملهم فى الـــبلاد التـــى وصلوا إليها, ليس عن طريق السيف أبدا كما يردد. أعداء الإسلام. لأن نبيهم صلى الله عليه وسلم لم يرفع السيف إلا دفاعاً عن عقيدته. ووطنه. وكان يرد الظالمين البغاة ولم يتتبعهم أبدا. لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحترم الإنسان لأن الله كرمه وشرفه- والإنسان صنعة الله ملعون من هدم صنعته.. وكـــان يحترم الإنسان كإنسان- أما العقيدة- فحساب الناس عليها أمام رب عظيم لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

---

(1) سورة آل عمران 195   **2) سورة الرعد 11**

إن الحضارة التى نحمل لواءها. ونعمل لها ستكون أكثر مــن حضـــارة الغرب عدالة فى الحكم. ومساواة بين الناس جميعاً. والتسامح وســمو فـــى الخلق. ورحمة بالناس. ونشر التكافل الاجتمــاعى عــن طريــق الزكـــاة. والصدقات. والكفارات والأوقاف. إن المسلم يتسم بالرحمة لأنه يعلــم بــأن الراحمين يرحمهم الرحمن.

المنـــح الأساسيـــة

لقد منح الله البشرية كلها منحاً عظيمة جداً عن طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يستطيع بها اتباعه أن يحلوا الأزمات التى تصادفهم وأزمـــات أى مجتمع وأن يقضوا على الصراعات التى تعترض مسيرتهم فى الحيـــاة- ويستطيعوا أن يبنوا بها حضارة, وأن العالم يعترف لهم بالقيادة والريادة- لأنه سبحانه مع الذين اتقوا "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيـــث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره"[(1)] ولكى نكون على هذا المستوى. وتحمل علم تحرير الإنسانية من سيطرة الأنانية.والتكالب على المادة فلابد أن نوحد صفنا وأن يكون المسلمون كالجسد الواحد. ويومها نسود العالم على أسس أهمها:

1) العقيدة التى نحملها. وأكد عليها نبينا سيدنا محمد صـــلى الله عليـــه وسلم. وهى من العقائد التى تسهم فى حل الصراعات. وتســـهم فـــى بنـــاء الحضارات. فهى عقيدة تقوم على توحيد الخالق. عقيدة تحترم العقل. وتهدف إلى تشريع يتسم باليسر وتوخى مصلحة الفرد ورعايـــة مصـــلحة الجماعـــة

---

(1) سورة الطلاق 2،3 **(2) سورة الأعراف 96**

ومصلحة الإنسانية كلها من غير محو لحضارة الشعوب. وعدم القضاء على كرامة أى إنسان، عقيدة صافية نقية. حافزة للهمم. مشرقة بالأمـل. باعثـة للحياة فيحول صاحبها الأحجار الصماء إلى أزهار يانعة. ويفجر الأنهار من بطون الجبال لخدمة البشر والحيوان. لا يخاف إلا الله. لعلمه بأنـه سـبحان المعطى الوهاب. ولأن الإنسان خليفة الله على الأرض وأصبح بهذا سـيدها. إن الإنسان لو أخلص فى عقيدته. وعمل لأسباب تنميتها بداخله. وكان صادقاً فى ذلك لتحقق له قول الله سبحانه "ولو أن أهل القرى ءَمنوا واتقـوا لفتحنـا عليهم بركات من السماء والأرض"[(1)].

2) الأخوة الإنسانية- عاش الإنسان قبل البعثة المحمدية. وهو موزع بين قوميات ضيقة الفكر. وقبائل لا عمل لها إلا الإغارة على قبيلة أخرى فبعـث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأعلن على الدنيا كلها " أيها النـاس إن ربكم واحد. كلكم لآدم. وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم الإنسان أخ الإنسان لا يظلمه ولا يخذله. والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه" وهذا الإعلان أسس لدعامتين هما:

(أ) وحدة الربوبية. وأساسها العقيدة.

(ب) وحدة الجنس البشرى. فالإنسان أخو الإنسان. فربهما واحد. والأب واحد- وإلى هذا أشار الحق سبحانه "يا أيها الناس اتقوا ربكـم الـذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"[(2)] ويقول سبحانه "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عنـد الله أتقاكم"[(3)].

---

(1) سورة النساء 1 **(2) سورة الحجرات 13**

(3) سورة الأنبياء 105

3) إننا بعقيدتنا وأخوتنا نمتلك أعظم رصيد مـــن الروحانيـــة البنـــاءة. روحانية تلازم العامل فى مصنعه. والزارع فى مزرعتـــه. والتـــاجر فـــى متجره. والجندى فى ميدان الحرب. والشرطى فى حراســـته للأمـــن العـــام. والمدرس فى مدرج العلم. والفيلسوف فى فكره. وربة المنـــزل فـــى دارهـــا والقاضى فى محكمته. والموظف على مكتبه والرئيس فى رئاسته. فكل واحد يشعر أنه أينما يتجه فثم وجه الله. الذى هو معنا يعلم السر والنجوى. وينطلق الإنسان. وهو يحب للناس ما يحب لنفسه يكرم ضيفه. ويقـــدم الخيـــر لمـــن يعرف ومن لا يعرف. لا يغتاب. ولا يذم. ولا ينم يقـــدم النصـــيحة- يـــأمر بالمعروف- وينهى عن المنكر. ويسلم على من عرف ومن لم يعرف.

4) إننا أمة مؤهلة لقيادة العالم. وحل الأزمات التـــى تعتـــرض مســـيرة السلام. ذلك لأن الله سبحانه هو القائل "ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون"[1]. والصالح. هو من يســـتطيع أن يعمـــر الأرض حسب منهج الله وهدى نبيه بالعلم- والأدب. بالعمل الجاد المـــتقن- الذى يعبد ربهه. وفق منهجه. وهدى نبيه لا يتكاسل. ولا يتراضـــى. وإنمـــا بهمة ونشاط حتى ولو قامت على الإنسان لحظات قيام القيامـــة. فالرســـول صلى الله عليه وسلم يقول "إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها. فليغرسها"[2] ولماذا يغرسها؟ والساعة قائمة. إن ذلـــك تكريم للعمل. لذات العمل. ولهذا يتخذ المؤمن- الـــدنيا. مزرعـــة للآخـــرة والمزرعة تحتاج إلى عمل جاد. ورعاية المزروع وإبعاد الأشياء الضارة عنه فإن نجح فى دنياه – وكان على صلة طيبة بربه نجح فى آخرته وإلى هـــذا أرشدنا ربنا بقوله "قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبـــاده الطيبـــات مـــن الرزق. قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصـــل

الآيات لقوم يعلمون"[1] إن المؤمن يعمر أرض الله بالعمل الجاد المتقن. والإنتاج الجيد. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"[2] إن المؤمن يتقن عمله لإيمانه القوى بأن الله معه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فالمؤمن أمين على صنعته يخلص جهده فيها ويراقب ربه. لهذا نجح المسلمون الأول فى بناء حضارتهم.

أمر سهل

إذا عرفنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل أزمات عصره وكانت كثيرة جداً لا نستطيع أن نقوم بإحصائها. وكان أعم مشكلة تغلب عليها النبى صلى الله عليه وسلم "مشكلة الأخلاق- مشكلة السلام النفسى- ولم تكن المشكلة مشكلة مال- أو طعام- لذلك فإن الإنسانية فى حاجة إلى سلام حقيقى. لأن هذا ما تنشده الإنسانية. سلام العمل والإنتاج. سلام العدل والأخوة والمحبة. سلام التعارف والتعاون. والبر والصدق والأمانة. السلام الذى ينبع من ضمير الفرد- من معرفته لنفسه. فى مظهره فى سلوكه. وتعففه عما فى أيدى الناس. السلام الذى يقيم فى نفس الإنسان رقابة صادقة من وحى الإسلام. لأن السلام ينبع من ضمير الفرد إذا حاولنا ذلك سهل علينا كل أمر. لأن الإنسان هو حلال المشاكل والأمين على الكيان الاجتماعى.

الحضارة

هل أوفت الحضارة الحديثة بمهمتها فى راحة الإنسان. "لا" فقد فأصبحت المشكلة هى "فقدان الإنسان لنفسه" لأنه فقد قيمته يوم أن تخلى عن الإيمان. الإنسان الذى فقد صلته بالله. ثم بالكون. ولم يعرف غايته بمعانيها الإنسانية.

---

(1) رواه البخارى **(2) سورة الأعراف 32**

(3) رواه البيهقى

لذلك عليك أن تنظر إلى علاقة الإنسان بأسرته. أصبح لا يعرف قـدر أبيـه الذى رباه ورعاه. وأحياناً يتبرأ منه. لأنه أمى. أو فقير. كذلك الأخ لا يعرف حق أخيه. وانتشرت الأثرة والأنانية. وحب النفس.

تأمل الفرد- ولا تسل عن الخوف الذى يسيطر عليـه. والقلـق الـذى يعانيه. ومع ذلك فهو متكالب على المادة. ولا تسل عن الإنحـراف الخلقـى والهاوية التى انحدر إليها ولك أن تتأمل مجال العلاقة بين الفرد. والجماعـة. أو الجماعة بالأمة. وهى الأمة التى ستواجه العالم. فهل يليق بها فى ظل هذه العلاقات التى انعدمت فيها الثقة. لقد أصبحت العلاقة قائمة علـى الخـداع. والمنفعة المادية بمعناها المتسع. لقد انعدمت الصداقة القائمـة علـى الحـب الصادق بين الناس رغم أن المسافات بين الناس طويت. واقترب الناس فـى مجال التخاطب والانتقال حتى أصبحوا وكأنهم فى بيت واحد. لكنها ابتعـدت فى مجال الأخوة والمحبة. رغم أن المجتمع الإنسانى فى الحضارة الماديـة. لكنه ينخفض فى العلاقات الإنسانية القائمة على الحب. والإيثار. قـد يتقـدم العلماء فى مجال الطبيعة والرياضة. لكنهم يتأخرون فـى التمسـك بـالقيم ووهنت روابط الإخاء والمودة بينهم وأصبح الأخ يكيد لأخيـه. والأم تـذبح أبناءها بيدها لماذا؟ لأن الإيمان ضاع من القلوب.

افتـــراءات

بسبب ما أصاب المسلمون من تخلف. قال- "اللـورد كرومـر" وهـو مستعمر إنجليزى "أن المسلمون متأخرون. متخلفون. لأن دينهم. دين يـدعو إلى الفقر- والجهل- والمرض- فهو دين تخلف" وهذا الشخص المتعصب لم يقرأ ما قاله- الفيلسوف المعاصر "برتراند راسل" فقد قال أن الإنسـان فـى صراعه مع الطبيعة قد انتصر بواسطة العلم- أما فى صراعه مع نفسه فلـم

يحرز انتصاراً ولم يجده سلاح العلم. ويعترف بأن الدين هو صـــاحب هـــذا الميدان".

إن الحق الذى نقرره ونعتقده. أن المسلمين تأخروا لأنهم تركوا مـــنهج ربهم وهدى ربهم. فيوم أن تمسكوا بقيم دينهم كانوا سادة العالم. وأساتذته كما كانوا قادة فى العلوم- والآداب- والفنون- لقد وصـــلوا إلـــى ذروة المجـــد. والحضارة. والمدنية. والرقى والتقدم يوم أن تمسكوا بدينهم. وعرفوا ربهـــم. وقاموا بالتمسك بالأخلاق. والآداب. والمثل النبيلة. تقـــدموا فـــى الصـــناعة والزراعة وضرب الله لهم نماذج من الرسل نبغوا فى صناعة الحديد والتجارة وبناء السدود. والسفن والغواصات وصناعة الأدوية والبراعة فى الطب وغير ذلك إن الإستعمار أبعدنا عن روح الإسلام. وأضعف قوتنا. ونشر المخدرات والدخان فسلب أموالنا وأضر بصحتنا حتى تأخرنا ورغم أن الاستعمار رحل من بلادنا إلا أنه أسس مدارس. ترك فيها قيادات. يدينون بمنهجه وينشـــرون أفكاره والتى آخرها:

1)سورة الفيل ورقمها فى عدد السور "105" والتى جاء فيها بـــأن الله أرسل على جيش أبرهة- طيرا أبابيل- فقالوا لم تكن طيرا. وإنما هو مرض الجدرى تفسير من أهوائهم وتضليل للعقول.

2)تفسير النبوة. وإيمان الصحابة. وزعموا بأنها ليست نبوة وإنما محمد رجل ثورة فجرها وقام بها وجمع حوله الفقراء ليكونوا ضد الأغنياء وقد أجج نار الثورة لقلب أوضاع اجتماعية. ونوازع اقتصادية. طلباً للـــرزق وســـعياً وراء شهرة.

3)الإسراء والمعراج. سياحة روحية ورؤا منامية وقد يتم نسج خيوطها محمد وألف أحداثها وصدقه أتباعه.

4) الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين فى غزوة بدر - دعم معنوى. فقط لأنه فى عرفهم لا ملائكة ولا شياطين لأن هذه المدرسة يفتحون أعينهم ويغمضوها على نهضة أوروبا المادية والتى لا تؤمن إلا بالمحسوس وهم فى دراستهم محاولة خلق أزمات قوية ووضعها فى طريق المسلمين. لكن غاب عن أعين هؤلاء أن ثورتهم الإصلاحية كشفنا أبعادها. وأن أعوانهم منا والتى غشيت أبصارهم أنوار حضارة تعب فى ظلها الجميع. وتصدع العالم ومزقت الجماعات. ودب الصراع هناك وهما. وحكم المنصفون على هذه الحضارة بالفشل والخسران. لأنها بعيدة عن الدين. وعن الصلة بخالق الكون. وأنها أرهقت المجتمعات لأنها حضارة. هدم لخصائص الإنسان. وإهدار قيمه. ثم إن أسلحتهم ما هى إلا هدم للأحياء, وتدمير لما بناه الإنسان إن مشكلة العالم اليوم تتلخص فى- التنكر لله الخالق- وعدم الإيمان بالرسالة المحمدية الخالدة وفى البعد عن موازين الأخلاق- إن الإنسانية اليوم لن تجد غير الإسلام يعصمها من التفرق. والتعالى وعدم الانصياع إلى الحق. ولن تجد الإنسانية من أن ينظم علاقاتها مع اختلاف أجناسها وعقائدها إلا الدين فالناس فى ظل الدين أخوة. بينهم محبة. وتعاون. وأن الإنسانية- إن هى أرادت لنفسها نجاة- وحلا لأزماتها. عليها أن تعرض نفسها. وأزماتها على هدى نبيها. ولن تجد من يحميها من نفسها. ومن غيرها- إلا الإسلام الذى حمله إلينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وأن أساس الأعمال. والأخلاق. هو الإخلاص لله والهدف الذى ينشده المرء هو قبول عمله- الذى يعتمد على النية- وهى الإخلاص لله رب العالمين- ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات. وإنما لكل امرئ ما نوى"[1].

---

(1) رواه البخارى

إن من يطلع على ما كتبه المتعصبون والمستشرقون. والمستغربون يجد أن هؤلاء يغذيهم أقلام مسمومة. ويرعى أفكارهم ويروجها. مدارس فكرية معينة لها منهج محدد- تدس السم فى العسل. وتفضل المهرج والراقص على شخصيات عظيمة لها قدرها ووزنها فى العمل الفكرى. والإقتصادى والإجتماعى والدينى. والسبب فى ذلك أن المدارس التى أنشأها المستعمر بهر روادها النهضة الأوروبية المادية. وراجت لديهم الأفكار. ووقعوا تحت هذا التأثير المادى. لذلك. فهم لا يعرفون الإرهاصات. ولا يصدقون بالمعجزات. ولا يقرون بقدرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم على حل الأزمات. والقضاء على الصراعات. وينكرون الوحى. لأن النبى صلى الله عليه وسلم فى عرفهم لم يوح إليه بشئ. وإنما القرآن تعلمه من شخص أعجمى. وقد تعلم السحر. فسحر أعين الناس وأسماعهم إلى غير ذلك مما افتراه رواد هذه المدارس. وقد غزتهم أقلام مسمومة. وشخصيات لا وزن لها. ولا عقل لديها. وإنما الحقد الأعمى. وعدم قراءة التاريخ. والجهل بحقائق الأمور أوصلهم إلى الله.

عــلاج ذلك

أمر ميسور. وسهل جداً لا يحتاج إلى فلسفة. ولا ندور فى شئ لا يوصل للحقيقة. ونحن نخاطب الذين يبحثون عن الحق لذاته. وعن المعرفة للمعرفة نفسها. ونراعى الدقة فى العرض. والتمحيص- والأمانة فى الحكم النهائى. لأن المستشرقين. تعصبوا جهلا. واعتمدوا على ما دسه أعداء الإسلام من أحاديث مكذوبة. وقصص ملفقة غير صحيحة. وكان التعصب واضحاً فى كتاباتهم. متأثرون بما درسوه فى صباهم. مع ميولهم الطائفية. ونقول لهم أن سيرة سيدنا محمد لى الله عليه وسلم. وتاريخ حياته معروف

أكثر من أى شخصية عالمية. لماذا؟ لأن أخباره من لحظة مولده. وقبل ذلك. تعرضت للفحص. والتمحيص. والتوثيق وحتى بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى. حللوا كل لحظة من حياته. من هم أصحابه. كيف كانت طفولته. رعيه للغنم. وهو يمارس التجارة. مدخله. مخرجه. أى الأماكن كان يجلس. علاقته بالناس كيف تزوج- أولاده. مشاركته فى العمل التطوعى "حلف الفضول" حكمه بين الناس. وكيف رضى بحكمه زعماء قريش والعرب. ونسمع لرجل حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لحظة نزول القرآن عليه إلى فتح مكة "يعنى أكثر من عشرين سنة. وهو من العتقاء- أبو سفيان بن حرب- يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد حاربتك فنعم المحارب كنت. ثم سالمتك فنعم المسالم أنت"[1] إن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقاً. وأحسنهم أدباً. وألطفهم عشرة. ولقد مدحه خالقه. فقال له "وإنك لعلى خلق عظيم"[2] ولك أن تقرأ القصة التالية. لتتعرف على إنسانيته الكاملة وصدق تعامله- وحبه حتى لأعدائه. وفيها تتجلى رحمته بالناس الضعفاء. وقع بعض الأسرى من البحرين فى يد أصحابه. وجاءوا بهم إلى المدينة. فنزل إليهم يتفقدهم. فإذا بامرأة تبكى- فقال ما يبكيك؟ فقالت. بيع ولدى فى بنى عبس.. فكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ثابت الأنصارى- وكنيته- أبو أسيد- أن يذهب إلى بنى عبس. ويسترد ولدها وقال له "لتركبن فتأت به على وجه السرعة فركب أبو أسيد فجاء به"[3] إمرأة أسيرة لا كيان لها. ولا يؤبه بمثلها. لكن العظيم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم يتعامل بكل حب وعطف وتقدير لمشاعر الإنسانية. مع رقة فى أدب.

---

(1) صلاح الدين خليل. طبع المعهد الألمانى 1997 **(2) سورة ن 4**

(3) رواه الحاكم **(4) رواه أبو داود**

وحنان- على من؟ على امرأة أسيرة. فيرسل أحد جنوده ليأتى لهـــا بولـــدها ليهدأ بالها. وتجف دموعها. موقف إنسانى رائع وكانت الرحمة والتسامح فى طبعه. حتى فى حروبه. فلقد كان النبى صلى الله عليه وسلم رحيماً بالطفـــل الصغير. والشيخ الكبير.. وبالنساء. والمرضى. وكان صلى الله عليه وســـلم يوصى أصحابه. وقادة الجند. بتقوى الله. ومراقبته. وأن يتمسك كـــل مـــنهم بالرحمة واحترام الآخر كما إنه فى حربه وسلمه كان رحيما بكل المخلوفات. حتى فى غياب الرقابة البشرية. ولقد كان النبى صلى الله عليه وســـلم فـــى غزوة فرأى الناس مجتمعين. فبعث برجل وقال له "أنظر علام اجتمع هؤلاء؟ فذهب وجاء فقال. امرأة مقتولة. فقال. ما كانت هذه لتقاتل- وكان على مقدمة الجيش خالد بن الوليد. فبعث إليه رجلاً قال له "قل لخالد "لا يقتلن امـــرأة ولا عسيفاً"[(1)] العسيف هو الخادم. وكان وفياً للبشرية كلها إلى أبعد مدى. ومـــع قسوة المعاناة التى كان يلقاها من المشركين وحلفائهم نجده يعـــاملهم بلطـــف وعفو وحب ولم يحاول مرة واحدة أن يرد على إساءتهم؟ لأنه صلى الله عليه وسلم يحب أن يتعايش مع الناس حتى المخالفين له فى العقيدة ويتم ذلك فـــى أدب ومحبة وسلام. وكان دائماً يوصى أصحابه بقوله "أغزو باسم الله- قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا. ولا تقتلـــوا وليـــداً. أو امرأة. ولا كبيرا فانياً. ولا منعزلاً بصومعته"[(2)].

ورؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم للحرب وأغراضها وأهدافها. لأن الحرب فى شرعه دفاعية. لم ينشئ النبى صلى الله عليه وسلم أبدا معركة إلا وهدفها "الرد العدوانى" ولا يستطيع أحد أن ينكر أو يعتـــرض. لأن التـــاريخ

---

(1) رواه مسلم **(2) رواه البخارى**

(3) سورة البقرة 285 **(4) رواه البخارى**

أكبر مشاهد. والدوافع هى- الدفاع عن النفس وحماية الدين. والوطن. وتأمين الأهل. وحماية المسلمين. ثم إن أهداف القتال فى الإسلام معروفة- مدونة فى الكتب. فليرجع إليها من شاء. ثم كان النبى صلى الله عليه ويلم ينهى عن الغدر والخيانة ويردد على سمع الزمن "من أمّن رجلا على دمه فقتله. فأنا برئ من القاتل ولو كان المقتول كافرا"[(1)] وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- يحترم الأنبياء السابقين عليه. ويوقر منزلتهم. ويذكرهم بالخير. ونبه أتباعه أن يؤمنوا بهم. وأنهم بلغوا الرسالة إلى أقوامهم ويكفينا هنا ما قاله ربنا "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. لا نفرق بين أحد من رسله"[(2)].

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مع سمو مكانته كان يدعو إلى التوسط والاعتدال. وعدم الغلو فى الدين، لأنه يدعو إلى حل الأزمات باعتدال. ورحمة. ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم "إن الدين يسر. ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه. فسددوا وقاربوا وأبشروا. واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة"[(3)].

ويضرب المثل العملى على حل الأزمة بهدوء. وعدم انفعال من ذلك. أن زيد بن سُعْنَة وهو رجل يهودى كان له دين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاء يطلبه- وفجأة وقف زيد. وأخذ بمجامع قميص النبى صلى الله عليه وسلم ونظر زيد بوجه غليظ. وقال- يا محمد ألا تقضينى حقى.. فوالله. إنكم يا بنى عبد المطلب. قوم مطل (يعنى مماطلون فى الحق) كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينظر وقد أصابه هلع من هذا المنظر فنظر إلى زيد- وهو رجل يهودى. وقال سيدنا عمر ما هذا أيها اليهودى. ماذا

أرى؟ وماذا تقول؟ فارتعد زيد- وخاف. وارتعد- وهو يرى فى يده السيف. فاحتمى زيد بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم. ما هذا يا عمر؟ أنا وهو كنا أحق بغير هذا منك يا عمر "تأمرنى بحسن الأداء. وتأمره بحسن الطلب" اذهب يا عمر فاقضه حقه. وزده عشرين صاعاً من تمر بسبب ما روعته"[1] وكان اليهود يدخلون عليه. فيقولون له "السام عليكم" والسام يعنى الموت فيرد عليهم "وعليكم" فسمعتهم مرة سيدتنا عائشة رضى الله عنها. فقالت. وعليكم السام واللعنة- فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم "مهلاً عائشة. إن الله يحب الرفق فى الأمر كله" وفى رواية "إياك والعنف والفحش- تقول- فقلت يا رسول الله. أو ما سمعت ما قالوا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قد قلت وعليكم"[2] هذا هو الهدى النبوى فى حل الأزمات وعدم قيام الصراعات- التعامل برفق- وحلم. وعدم مقابلة السيئة بالسيئة. فمن عفى وأصلح فأجره على الله.

نظرة النبى صلى الله عليه وسلم للأزمة

كان النبى صلى الله عليه وسلم ينظر إلى الأزمة بواقعها الإجتماعى. والمجتمع الذى يعيش فيه الإنسان. وهناك شئ يتحلى به الإنسان- مجموعة من القيم- أهمها:

1) قوة الاحتمال. وضبط النفس- والصبر.

2) إشاعة روح المساواة والرفق بين الناس جميعاً. ولهذا أسمع الدنيا كلها قوله "إن الله رفيق يحب الرفق. ويعطى على الرفق ما لا يعطى على

---

(1) رواه ابن حبان الحاكم **(2) رواه البخارى**
(3) رواه مسلم

العنف. وما لا يعطى على ما سواه"[1] ولقد رأيناه صلى الله عليه وسلم طبق ذلك عملياً ففى حله للمشاكل الإجتماعية خوفاً من التصــادم بــين القبائــل والعائلة. وكل فريق يلوذ بعشيرته. ويستنهض أقاربه. وتقوم أهليته بنصــرته ظالماً أو مظلوماً. وصراعات أخوية. يتعصــب الجــار للجــار والصــديق للصديق. وتكون فتنة لا يعلم إلا الله متى يتوقف نزيف الدم– ولهــذا كانــت الرحمة مع الرفق. مع الحلم سبباً فى حل الأزمات ولذا نشأ المجتمع فى ظلها فى أمن وسلام. وحب وإخاء. ولننظر لى رسول الله صلى الله عليــه وســلم لندرك عظمته فى حل الأزمات. فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحوله أصحابه– إذ جاء إعرابى. فقام يبول فى المسجد وقال لــه الصحابة. مه – مه– وهى كلمة للزجر والتعنيف. فقال رسول الله صــلى الله عليه وسلم لا تزرموه– دعوه– أى اتركوه ولا تقطعوا عليه بولته. فتركــوه– حتى بال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه– وبكل لطف. وابتسامة. وحب. قال له. إن هذه المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول. ولا القذر. إنما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن– ثم أمر رجلاً من القوم فجاء يدلو من ماء– فصبه عليه"[2]– أى أزال أثر البول بصب الماء عليه. فهو صــلى الله عليه وسلم حل هذا الموقف وهو أزمة لما كان سيترتب عليه. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم علم الرجل وعلم غيره درســاً هادفــاً دون تعنيــف أو تخويف.

ومع كل ما قدمناه فهناك قيمة. المسالمة بين أبناء المجتمع جميعــاً لأن الإنسان صنعة الله. كرمه– وفضله على كثير من خلقه. وأمــرهم أن تســود حياتهم حب. وأمن. فلا يليق بإنسان أن يعيب على أخيه أى شئ. ولكن يقدم

الإنسان النصيحة. والتوجيه. لأنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أى المسلمين أفضل؟ قال" من سلم المسلمون من لسانه ويده"[(1)]. لأنه بهذا المسلك القيمى يشيع فى المجتمع روح المودة. والحب. والرحمة والتعاطف. ولذلك حرم الله قتل الإنسان- أى إنسان. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو أن أهل أهل السموات وأهل الأرض اشتركوا فى دم امرئ لأكبهم الله فى النار"[(2)]. وترويع الآمنين يحرمه الله لأنه يفتح منافذ الشر فى وجه الآخرين ويكون سبباً فى فتح أبواب الفوضى ويقضى على الأمن والاستقرار تحت ذريعة يتخذها البعض.- إحنا بنهزر. بنلعب كل ذلك إذا تسبب فى تخويف الإنسان أو ترويعه- حرام- حتى ولو كان من باب الفكاهة- ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه. حتى يمتنع وإن كان أخاه لأبيه وأمه"[(3)] وكان جمع من الصحابة يسيرون مع النبى صلى الله عليه وسلم. فنام رجل منهم. فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه. ففزع الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً"[(4)] أدب فى التعامل لدوام الحب بين الناس فى المجتمع وحتى يتم القضاء على الإنحرافات الخلقية والتحرش بالآخرين. وهذه مدرسة النبوة تحارب كل شئ يكون سبباً فى إشاعة الفوضى وخلق الأزمات ويروع الآمنين إن كل عمل يقوض الأمن. ويزعزع السلام- وينشر الخوف والهلع فى المجتمع. ويرهب الآمنين ويحول بينهم وبين الحياة الهادئة المطمئنة يجرمه الإسلام ويحرمه.

---

(1) رواه البخارى
(2) رواه مسلم
(3) رواه الترمذى وصححه الألبانى
(4) رواه مسلم
(1) رواه أبو داود
(2) سورة النساء 135
(3) رواه الطبرانى

الإسلام السياسى

فى زحمة تصدير المفاهيم المغلوطة إلى مجتمع المسلمين "الإصلاح الدينى" صدروا كلمة "الإسلام السياسى" وهى كلمة حق يراد بها باطل. لأن الإسلام جاء ليحكم الدنيا بالعدل. والمساواة. والإسلام. لا يتجزأ. فالإسلام يأمر أتباعه والمعتنقين لمبادئه أن يتسموا بالصدق– مع الصديق – والعدو مع القريب والبعيد. لا مجاملة؟ لأحد. ويتم ذلك إمتثالاً لقول الله "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله. ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما. فلا تتبعوا الهوى أو تعدلوا"[1] والمسلمون آمنوا بما نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يجزؤن الإسلام. لأننا إذا اعترفنا بذلك. فيكون هناك "الإسلام الإقتصادى":الإسلام التجارى" وهكذا يتم التلاعب بكلمة الإسلام. وتخلق الأزمات. وتتعدد مناحيها. ويتلاعب بنا أكثر مما نحن عليه اليوم.

إن السياسة علم. قائم على أصول منهجية. ومواد دراسية. لكننا نحن المسلمين نعرف السياسة بأنها "السعى فى مصالح الناس تطوعياً بلا أجر. ابتغاء مرضاة الله" لأن الإنسان قد يكون عضواً فى مجلس نيابى. يتقاضى أجره وانتقالاته من الدولة. وقد يكون موظفاً فله راتبه. وصاحب الحاجة فقير محتاج. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله"[2] ويقول أيضاً

---

(1) سورة النساء 135

(1)، (2) رواه الطبرانى

(1) رواه الطبرانى

(3) رواه الطبرانى

(5) سورة البقرة 177

(2)، (3) رواه الطبرانى

(3) رواه مسلم

(2) رواه مسلم

(4) روى هذه الزيادة الحاكم وقال صحيح الإسناد

(6) سورة الحج 77

"إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كنوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم. فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم"[1] ويقول أيضاً "من نفس عن مسلم كربـــة مـــن كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معســـر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر على مسلم فى الدنيا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة. والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه"[2] ويقول عليه الصلاة والسلام "من مشى فى حاجة أخيه كان خيـــراً لـــه مـــن اعتكاف عشر سنين. ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبـــين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين[3] – وقال الحـــاكم- لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته. وأشار بإصـــبعه- أفضـــل مـــن ان يعتكف فى مسجدى هذا شهرين"[4] إن السياسة فى عرف المسلم هـــى مـــن أعمال الخير التى كلفه الله بها يؤديها ابتغاء رضوان الله: يقول الله ســـبحانه "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربـــى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتـــى الزكاة. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا. والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون"[5] ويقول سبحانه "ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون"[6] – هـــذا هو التوجيه للعمل السياسى للشخص المسلم- وإذا لم يكن له أى دخل ليرتفع بمستواه يحدد له راتب مثل نظرائه من زكاة المسلمين- تحت بند والعـــاملين عليها- ما دام فى قدرته تأدية خدمات للمسلمين تحت بند- العمل السياســـى. ليكون الهدف من ذلك- خدمة الدولة.. وتأمين الجبهة الداخليـــة. ومســـاعدة

الذين ليس قدرة على الحركة. والذهاب إلى دواوين الحكومة- لكـن نقـول الإسلام السياسى- لأكل أموال الناس بالباطل. فتعم النقمة. ويكثـر الحقـد. ويزداد الخلاف. وينتشر البغى باسم الإسلام الذى أمرنا- بالحب. والإحسان- والتعاون.. إن الإسلام حرم أكل أموال الناس بالباطل واسـتغلال حـاجتهم لبعض الخدمات فيكون ما نهى الله عنه من أكل أموال الناس بالباطل. وقـد حذرنا ربنا من ذلك فى قوله سبحانه "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون"[1] إن الرجل السياسى الذى ليس عنده دين ولا خلق- دائماً يخلق الأزمات. ويثير المعارك. ويقوى الخصومات. لذلك سُئل أبو جهل من ابن أخته- المُسَوّر بن محزمة.. قال لأبى جهل- يا خالى "هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقـول مـا قال؟ قال أبو جعل- يا ابن أختى- والله لقد كان محمداً فينا وهـو شـاب- يدعى الأمين فما جربنا عليه كذباً قـط- قال- يا خـال- فمـا بـالكم لا تتبعونه؟ قال يا ابن أختى، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف- أطعموا فأطعمنا وسقوا وسقينا. وأجاروا وأجرنا- حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفـرس رهان. قالوا منا نبى. فمتى ندرك مثل هذا؟.

والتقى الأخنس بن شُرَيْق- بأبى جهل. فقال الأخنس- يا أبا جهل لـيس معنا أحد يسمع كلامنا- أصدقنى. أمحمد صادق. أما كاذب. فقال أبو جعـل ويحك. والله إن محمداً لصادق. وما كذب محمد قط. ولكن إذا ذهبـت بنـو قصى باللواء. والحجابة- والسقاية. والنبوة فماذا يكون لسائر قريش"[2] هـذا اعتراف- من أبى جهل- وهو العدو الأول لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

1) سورة البقرة 188

(2) ابن القيم- هداية الحيارى ص50

3) مسند الإمام أحمد

إن أبا جهل يعادى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عصـــبية بغيضـــة. لأن سيدنا محمدا صلى الله الله عليه وسلم سيكون ناجحاً ويحكـــم العـــالم بالعـــدل والمساواة. وهو سياسى من الطراز الفريد الذى كاتب الملوك وأرسل السفراء ليلتقوا بالناس.. ولقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يكون على درجة عالية من العمل السياسى الحكم بالعدل. والمساواة بين الناس. والنصح لهم. وفعل الخير. الذى ينهض بالمجتمع ويؤلف قلوب أعداء الدين إلى أحباب مخلصين.

ويؤكد لنا عمله الدبلوماسى. أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبـــل هـــدايا الملوك والرؤساء. وكان يكرم رسلهم. كما أكرم رسول كسرى وكل الوفـــود التى تأتى إلى المدينة. فكان يبدى بهم اهتماماً خاصاً- اســـتقبالاً. وضـــيافة. وهدايا ولعل أبلغ موقف ما فعله مع النجاشى ملك الحبشة. فقد مدحه. وأثنـــى عليه وقال لأصحابه إن أرض الحبشة بها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد"[1] ثم وكـــل النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى. ليكون عنه وكيلاً فى تزويجه من السيدة أم حبيبة. والتى تنصر زوجها فى الحبشة. وقام النجاشـــى بجهازهـــا ودفـــع الصداق لها"[2].

ود متبادل- واحترام للرأى- وتبادل للمنافع. وتأمين من يرجى تأمينـــه ولا يدخل فى نظم الدولة الأخرى ولا يتآمر عليها يتم ذلك فى جو من الحب. والإخاء. ولقد أحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا التعامل ليشـــهد العالم أجمع على مدى ما يتمتع به الإسلام ونبيه من ذوق فى التعامـــل ومـــد جسور المودة والتآلف مع الجميع ونستدل على ذلـــك بشـــهادة المستشـــرق

---

(2) دكتور/ فاروق حمادة- العلاقات الإسلامية النصرانية ص69 بتصرف

(1) دكتور/ فاروق حمادة- العلاقات الإسلامية النصرانية ص69 بتصرف

الأمريكى "واسنجتون إرفنج" فى كتابه "حياة محمد" ص72 كتب فقال "كانـــت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبى مرسل. لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح فى مركز قوى. ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالعفو" وهذا أعلى قـــوة فى العمل الدبلوماسى. وشهادة التاريخ أكبر شاهد- قديماً وحديثاً. وشـــهادته بأن الدين الإسلامى هو المؤثر فى مشاعر الناس وأحاسيسهم. لهذا فهو أسرع الديانات انتشاراً. ونمواً فى العالم منذ أن بشر به النبى صلى الله عليه وســـلم إلى يومنا هذا. وشهادة التاريخ شهادة صدق على إيمان الشعوب بـــه ســـواء كانت منتصرة- أو- مهزومة ولعلنا نقف أمام حدث حير العلماء والمفكرين- وهو- إسلام التتار- هذا الشعب الذى دخل بلاد المسلمين- أبادوا المســـلمين بلا رحمة. ودمروا المنشآت بلا هوادة. وأحرقوا المكتبات. ورموا بالكتب فى البحار وحرقوا المصاحف. ودخلوا المساجد وحلولها إلـــى أمـــاكن للســـهر والخمور. والرقص والغناء بعد هذه العربدة- وهذا التسلط. وملايين القتلـــى من المسلمين- هزموا فى معركة عين جـــالوت عـــام 658هـــــ الموافـــق 1260م- وكانت هزيمة منكرة لهم وهزموا على يد مسلمين- بدءوا يفكرون فى هذا الدين. وعرفوا قوته- وقدرته- وسماحته- وعفوه- فآمنوا. وأسلموا. وتحولوا إلى مدافعين عن الإسلام. مدافعين عن المسلمين يحمون حدود الدول الإسلامية. ما هذا؟ إنه سر الإيمان إذا دخل إلى القلب بصـــدق ويقـــين. إن الداعى إلى الإسلام- وحل الأزمات نابع من الإسلام نفســه الـــذى اعتنقـــه بصدق- وإخلاص. يكتسب الصلة المباشرة بالله الواحد- الخـــالق الـــرزاق- الذى رفع السماء بغير عمد. وسخر الشمس والقمر. كل يجرى لأجل مسمى وهذا الإله العظيم- حرر الإنسان من ذل العبودية لغيره. لأنه يكتسب الأمـــل

فى حياة أسعد. ومستقبل أرغد. وسعادة نفسية. لأن الإنسان يقف بين يدى خالقه خمس مرات فى اليوم والليلة. مع الوعد من الله الذى هو أصدق قيلا- بحياة الخلود فى دار الخلود. وسعادة الدنيا. والفلاح والنجاح فى الحياة الأولى. إذا صدقت النية. وخلص العمل لله.

مواقف خالدة

علينا أن نتذكر هذه القصة الخالدة. والمسجلة بأحرف من نور بين صفحات التاريخ إنه موقف نادر جداً- ففى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع- ثمامة بن أثال- وهو زعيم كبير فى قومه- بنو حنيفة- وكان تاجرا كبيراً مشهوراً. وقد قرر أن يقتل النبى صلى الله عليه وسلم فذهب إلى المدينة المنورة ليقتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل المدينة أسرع إليه الصحابة وجاءوا به إلى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم – فعرفه النبى صلى الله عليه وسلم وقال لأصحابه- أحسنوا إساره[1] – ثم قال لأصحابه أيضاً- إجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه"[2] لقد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل معاملة كريمة تنم عن احترام الرجل بما له من مكانة بين قومه- فى اليوم سأله النبى صلى الله عليه وسلم "ماذا عندك يا ثمامة؟ قال- عندى يا محمد خيرا إن تقتل تقتل ذا دم. وإن تنعم تنعم على شاكر. وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما تشاء- كان الصحابة يقدمون إليه أطيب طعام مع لبن لقحة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3]

---

(1) ابن هشام (2) فتح البارى لابن حجر
(3) اللقحة- الناقة الحلوب- لسان العرب مادة لقح

فى اليوم التالى مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله- مـاذا عندك يا ثمامة؟ فقال- إن تنعم تنعم على شاكر. وإن تقتل تقتـل ذا دم. وإن كنت تريد مالاً فسل تعط منه ما شئت- فى اليوم التالى سأله أيضاً فكان نفس الرد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه "أطلقوا ثمامة- فى هـذه الأيام الأربعة عاين ثمامة النبى صلى الله عليه وسلم. ورأى معاملته- وعاين الصحابة ورأى حبهم للنبى صلى الله عليه وسلم وتنفيذ تعليماتـه. ثـم رأى وشاهد- وعاين ما عليه الصحابة- من كرم وحسن معاملته وأدب وأخلاق- فأطلقوا سراحه. بدون مقابل- أو محاسبته على جرأته ومجيئه إلى المدينـة لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمداً على ذكائه- ومكانته بين قومـه. وثروته وماله من تجارة مع قريش. وظن ثمامة أنها مناورة. فخـرج مـن المسجد. ثم خرج من حدود المدينة. وتلفت فلم يجد من يتتبعه- ليعـد عليـه أنفاسه. ثم سار إلى أن وصل إلى بئر فاغتسل ثم رجع إلى المدينـة ودخـل المسجد ووقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقال أشهد أن لا إله إلا الله- وأشهد أنك يا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله ورسـوله- والله- يا محمد- ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك. واليـوم- أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى- والله- يا محمد. ما كان من دين أبغض إلى من دينك واليوم. أصبح دينك أحب الدين كله إلى. والله يا محمد- ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك واليوم- أصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى- وأنـا أريد العمرة- فما ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأمـره أن يعتمر- فلما قدم مكة. قال له أحد رجال قريش- أصبوت؟ فقال لا. ولكننـى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما ضيقوا عليه. قال لهم- والله

لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] فانظر- رعاك الله إلى قوة الإيمان- ثمامة- رجل تاجر- يبيع للمشركين. وقد أسلم. فأقسم أنه لن يصل إلى المشركين حبة حنطة- إذا تم ذلك. مات المشركون من الجوع لأنه من اليمامة يأتيهم القمح والمتحكم فيه ثمامة. وقومه لن يخالفوا أمره. لهذا فزع المشركون فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل الرجل بما يستحق لقسى قلبه وأظلم ولكن حل الأزمات فن- وكياسة- ولباقة- وهذا يجذب قلب العدو قبل الصديق فهذه المعاملة الكريمة تركت أثراً طيباً فى نفس ثمامة- وبدون ضغط أو إكراه ولما رأى أن قريشاً تصر على عنادها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يبيع لهم ولا يشترى منهم- وسوف يترتب على ذلك تضحيته بثروة هائلة كانت تأتيه من تجارته مع قريش- علاوة على أنه سيضحى بعلاقات اجتماعية مع أشراف قريش.

شبهات مرفوضة

أزمات أراد المستشرقون. وأعداء الإسلام أن يضعوها- أمام المد الإسلامى. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من زوجاته. وهذا دليل بأنه رجل شهوانى يسعى لقضاء شهوته. وتحقيق رغباته منهن. وأنه تزوج من سيدتنا عائشة رضى الله عنها وهى فى الحادية عشرة- أو التاسعة على بعض الأقاويل- والحقيقة التى يجب أن نعيها أن سيدتنا عائشة- كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدى وفسخت الخطبة لأن والدة الخاطب خافت على ولدها من تأثير هذا الزواج فيسلم وفسخت الخطبة- وتقدم أشرف

(1) **حديث متفق عليه**

الخلق فخطبها تدعيماً لصداقة أبيها. وإدخال السرور عليه بهذا الزواج ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم فى أيام فراغه. وشبابه. وقبل أن يؤسس الدولة اكتفى بسيدتنا العظيمة "خديجة" لم يعدد. فلما نزلت عليه الرسالة. وأصبحت وظيفته الأولى هى "دعوة الناس إلى الإسلام. والوقت محدود. وبناء الدولة. ووضع الأسس الاجتماعية. والاقتصادية- والتنظيمية. والسياسية- أعداد الجيوش- مخاطبة ومكاتبة الملوك- قيادة الدولة. قيادة الجيوش. إلى غير ذلك- أفبعد هذه الأعمال. يكون هناك تفكير فى قضاء شهوة كما يقول أعداء الحق- لكن الحقيقة أنه عدد من زوجاته. فكيف.

أولاً: الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من السيدة الكريمة المهذبة الفاضلة- الماهرة سيدتنا خديجة وسنه 25 خمس وعشرون سنة- واستمر معها فى عيشة طيبة ومحبة صادقة- ووفاء نادر وانتقلت إلى ربها وسنه 52 إثنين وخمسين سنة. لقد مضى عهد النوم- وعهد الشباب- وعهد الفراغ- أفبعد هذا يفكر فى الزواج؟ ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم- مثلاً أعلى للفتوة الإنسانية- يمتلئ صحة ونشاطاً وكان له منها نصيب كبير- لنشأته فى البادية. ولم يعش حياة المدنية. وما فيها من سهر وغير ذلك. كما كان يتحلى بصفات الفروسية. والرجولة الكاملة. ومع ذلك لم يأخذ عليه أعداؤه أى مغمز فى هذه الفترة الحاسمة من حياته قبل النبوة- وبعدها لأن حياته كانت مثالاً للطهر والنزاهة والعفاف. والرسول عليه الصلاة والسلام لم يتزوج إلا سيدتنا عائشة بكرا- وما تزوج من زوجة إلا لمصلحة راجحة من مصالح الدعوة- أو كان الزواج- لرعاية أيتام لصحابى توفى- أو لمروءة ومكارم الأخلاق كما تزوج من سيدتنا سودة بنت زمعة- أو- من أم حبيبة- أو لجلب منفعة عامة كزواجه من صفية بنت جيى- زعيم اليهود. وجويرة بنت الحارث سيد

بنى المصطلق وكان يتزوج بشخصيات تدعيماً للدولة الناشئة لأن هذا الزواج سيضيف بعداً جديداً لتوثيق العلاقة بينه وبين الأسر والقبائل. لأنه كان يعلم بالوحى أن هؤلاء سيخلفونه فى حكمه للمسلمين ونشر رسالته فى الآفاق.

وكان فى تعدد أمهات المؤمنين زوجات النبى صلى الله عليه وسلم دور كبير فى نقل السنة فى كل صغيرة ودقيقة من حياته الأسرية لأنه القدوة للمسلمين- لأن السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع. ولهذا كان لأمهات المؤمنين نقلة لكل قول أو فعل سمعته أو رأته من رسول الله صلى الله علبيه وسلم. ثم إن الله أباح له أن يعدد من زوجاته لحكم دينية واجتماعية قد نعلم منها شيئاً أو لا نعلم. ولقد كانت عيشته صلى الله عليه وسلم مع نسائه تتسم بالبساطة. ولم يشغله عددهن عن رعايته الكاملة لأمور الدولة- داخلياً وخارجياً.

وعلينا أن نعلم أن قريشاً لم تتحدث عن زواج النبى صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة رضى الله عنها لأنها كانت ناضجة. ومخطوبة لشخص من قبله هو جبير بن عدى. ثم إن علينا أن نراعى فروق العصر. والظروف الإقليمية. وكيف أن نضوج الفتاة فى المناطق الحارة يكون مبكراً. والمشركون الذين تربصوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. وألبو عليه الناس وهى لم تترك مجالاً للطعن فيه إلا وسلكته. ولو كان زوراً أو بهتاناً وافتراء لم تتكلم فى شئ من أمور زواجه. وأنه عدد زوجاته ذلك لأن العرب كانوا يعددون. واليهود فى المدينة لم يتعرضوا للحديث عن تعدد نسائه لأن الأنبياء من قبله عددوا. فهو ليس بدعاً من الرسل. ولقد جاء فى التوراة- أن نبى الله سليمان عليه السلام تزوج المئات من النساء. فهل المستشرقون فى هذه الأيام أعلم- أم الذين عاصروه صلى الله عليه وسلم لكنها مشاكل وعقبات وأزمات

يحبون أن يضعوها فى طريق المسلمين. يشككون فى نبى عظيم. ورسول كريم مدحه ربه بأنه على خلق عظيم.. وأن الله أدبه فأحسن أدبه. فعلى المسلمين أن يقرءوا تاريخ نبيهم العظيم ويدرسوا سيرته الطاهرة. ويتعرفوا على مكارم أخلاقه وأن يعلموا أولادهم حب الله العلى القدير. وحب نبيهم العظيم وحب آل بيته الكرام ولقد قال الله سبحانه لحبيبه ومصطفاه "ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية. وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب"[1].

العنف الدينى

مزاعم روج لها أعداء الإسلام– ونقل عنهم وروجوا لهذه الفكرة الخاطئة الذين لم يقرءوا ولم يسمعوا. ونقول لهم– إذا كنتم جهلة فلا تتكلموا بهذا– لماذا؟ لأن أى دين سماوى– لا يعرف العنف ولا يقره. ولا يرضى أى نبى لأحد من أتباعه مهما كان أن يتسلم بالعنف– ذلك لأن هدى السماء إلى سكان الأرض "وقولوا للناس حسناً"[2] ويقول سبحانه "ولا تستوى الحسنة ولا السيئة– إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم"[3] ويقول سبحانه "وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين"[4] ويقول سبحانه "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا"[5] ومن توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم قوله "من كظم غيظا.

---

(1) سورة الرعد 38

(1) سورة البقرة 83

(2) سورة فصلت 34

(3) سورة الشورى 40

(4) سورة المزمل 10

(5) رواه أبو داود

(6) متفق عليه

(7) رواه الترمذى

(8) رواه مالك والبخارى

وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء"[1] ويقول عليــه الصــلاة الســلام "لــيس الشــديد بالصُرَعة- إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب"[2] وقوله عليه الصــلاة والسلام "ليس منا من لم يرحم صغيرنا. ويعرف شرف كبيرنا"[3] إن الأنبياء من أحرص الناس على وحدة الصف- واتحاد أتباعهم- وتآلفهم- وتعاونهم- ونبه الأنبياء أتباعهم على أن يحب كل منهم الآخر. وأن يتعلموا لغة التسامح والدعوة إلى السلام الاجتماعى- والأمن الأسرى. وأن الواحد إذا غضب من أخيه فإن غضبه لا يجعله يهدر الحب الذى بينهما. ولا يعيب أحدهما علــى الآخر ولا يتخاصمان ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وســلم "لا يحــل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال- يلتقيان فيعرض هذا. ويعرض هــذا. وخيرهما الذى يبدأ بالسلام"[4] إن الدين حرم العنف لأنه يؤدى إلى الغضب. وضيق الصدر- والخصام- والتقاطع والتناحر وهذه أزمات خطيرة تؤدى إلى تفسخ المجتمع وضعفه. لقد أذاع المستشرقون كذبا- أن سيدنا- محمدا صلى الله عليه وسلم- كان رجلاً عنيفاً- يحب إراقة الدماء- ولذلك دخل الناس فى الإسلام خوفاً- ورعباً- ومن قال ذلك دل على غبائه وجهله لأنه لم يقــرأ فى منهــج المسلمين "القــرآن الكريم" لا إكراه فى الدين" ثم إن هــؤلاء الــذين افتروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الفرية- لم يعرفوا أن إسلام المكره لا قيمة له فى أحكام الآخرة- إن الإسلام فى قلب الإنسان أو عدمــه مرتبط بمشيئة الإنسان- وحريته- يقول الله سبحانه "فمن شاء فليؤمن ومــن شاء فليكفر"[5] إن دستور المسلمين يرفض رفضاً تاماً إكراه أحد على اعتناق الإسلام- حتى ولو كان ولد الإنسان. ولقد كان أحد الصحابة- من بنى ســالم

بن عوف له ولدان تنصرا فى الجاهلية– وبعد نزول الوحى. وإسلام الرجل– جاء ولداه بتجارة ومعهما نفر من المسيحيين. يبيعون مـــا معهـــم فلزمهمـــا أبوهما– وقال لهما– لا أترككما حتى تسلما – فأبيا– فاختصموا إلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم. وقال سالم– يا رسول الله– أيدخل بعضى الجنـــة– وبعضى النار؟ فنزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا إكـــراه فى الدين"[1] إن من أكره أى شئ على شئ. لا يلبث أن يتحلل منـــه عنـــدما تحين له فرصة– ويصبح بعد ذلك حرباً على من أكرهه على اعتناقه.

إن من يقلب صفحات التاريخ لا يجد من دوَّن أن المسلمين أكرهـــوا أى شخص للدخول فى دينهم. بل أى شخص يدخل فى الإســـلام ويـــذوق طعـــم الإيمان تجده داعياً إليه بأخلاقه العالية– بأدبه– بعلمه ومن قال بأن الإســـلام انتشر بالسيف والإرهاب فسألهم– أين السيف فـــى دنيـــا المســـلمين؟ إن الله يأمرهم بعدم الاعتداء على أى شخص– لأنه كما يقول ربنا سبحانه "أنه مـــن قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"[2] وقد أمرنا الله أن نضفى الأمـــن والســـلام علـــى المجتمع الإنسانى كله. ولا نؤذى أحد ولا نتعامل بالعنف أبدا حتى مـــع مـــن يخالفنا فى العقيدة. يقول الله سبحانه "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه"[3] إن ثوابت الدين– هى على مر السنين– ثوابت لا تقبل التغيير ولا التبديل. لكن المشككين يجهلون ما يكتبون. لأنهم لا يعرفون من الدين إلا إسمه. ويحاولون خلق أزمات بين المســـلمين– عنـــدما يختلقون هجمة شرسة على التراث الإسلامى ووســـيلتهم لخلـــق الأزمـــات

---

(1) سورة الكهف 29 **(2) يراجع – لباب النزول للسيوطى ص36**

(3) سورة المائدة **(4) سورة التوبة 6**

ادعاؤهم أنهم يدعون إلى التمسك بالقرآن لذلك فهم يشككون فى السنة النبوية. ويختلقون صوراً ومواقف ليس لها أصل فى التاريخ حول السيرة النبوية. ويأتون بنص مكتوب فى كتاب إسلامى ويطرحون على فئة- تحمل أعلى الشهادات. لكن عندهم أمية دينية. ومع عدم صحة هذا النص. فهو يخالف صريح آية من القرآن. وهنا تجد- أن كلام المستشرقين يتفق تماماً مع أعداء الدين من الغربيين- أو الشرقيين. وهم يحاولون أن ينقضوا عرى الدين- ويعلنون أنهم مشفقون علينا.. ولكى نرد عليهم ببساطة- ودون انفعال. ولا عصبية نقول- نحن لا نلوم أهل الباطل على تحركهم- لكننا نلوم أهل الحق على تخاذلهم- فالعيب فينا نحن المسلمين- لماذا؟ لأن نبينا صلى الله عليه وسلم نبهنا أن نتعلم العلم- وأن يكون هناك تخصص. فى كل جزئية من ثوابت الدين. وأن نخصص فئة من كل التخصصات تتابع ما يجرى على الساحة الإجتماعية. وهذه الفئة تقرأ وبدقة وأمانة- وكل شخص يكتب فى تخصصه. ثم يصدر كتاباً فيه الرد- بالأدلة العقلية. مع مراعاة عرف البلاد- وتقاليدهم. وهذا الكتاب يصدر بعدة لغت فى وقت واحد. ويتم توزيعه من خلال سفارات العالم الإسلامى. ومكاتب الإعلام- وأحياناً نقدم فيلماً سينمائياً أو سهرة تليفزيونية- أو مسرحية- وتكتب المادة وبدقة وتراعى من جميع التخصصات. وتطرح فى الأسواق- ويتم الاتصال بالأقليات الإسلامية ويتم الإهداء إلى التليفزيونات الأجنبية. وهكذا علينا أن نبادر لأن علينا أن نخاطب العالم بالأسلوب الذى يفهمه. واللغة التى يفهمها. فما أرسل من رسول إلا بلغة قومه- حتى معجزته- من جنس مات نبغ فيه القوم. لتكون الحجة قوية. وأبلغ فى الأدلة. لأننا ننظر إلى الهجمة الشرسة على الإسلام ونبيه والمسلمون لاهون- ومشغولون بالأزمات المتلاحقة- هنا وهناك. ويزداد

هجوم الأعداء علينا. والبعض يقول "متى نصر الله؟" إن نصــر الله يتوقــف على "إن تنصروا الله ينصركم؟. ومع ذلك- فإن الله سبحانه. لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" إذا فلابد أن نخطو الخطوة الأولى على طريق- فك الأزمات. أن نرشد سلوكنا ونتمم مصالحة بين الله وبين أنفسنا. بالعمل لصالح دينه. وللمسلمين. والمجتمع الإنسانى.

إن موقف بعض المسلمين- واضح- وهم خير من موقف أعداء الإسلام منا- لأن موقفهم غامض. وسلوكهم ملتو. فهم يبنون المساجد لكنها مســاجد الضرار- فهم ينشرون الأفكار الهدامة. ويختلقون الأزمات ويفرقــون بــين مصادر الدين الثوابت ليوهموا العامة- ونقصد بهم الذين لم يقــرءوا كتــب الإسلام الصحيحة المعتمدة لرجال- أو نساء. لهم مكانتهم لكن أعــداءنا مــن الداخل- يشككون فى سلوكهم. ويشيعون حولهم. حكايات مكذوبة. وقصصــاً ملفقة- للحط من شأنهم- والكيد لهم- لينصرف الناس عــنهم- ويزرعــون الشك والريبة فى قلوب العامة. لذلك. فهم أشد خبثاً- ونفاقاً مــن أســاتذتهم. لأنهم يتدثرون بلباس المؤمنين ليهدموا الإسلام. وليضلوا أتبــاع الــدين- إن الذين يشككون فى ثوابت الدين. ويشككون العامة ليكونوا معهم فى الضلال. أخبرنا ربنا سبحانه أنه يوم القيامة عندما يدخلون النار يتلاومون. وكل واحد يلقى بالتهمة على غيره. حول هذا يقول الله سبحانه "وقال الذين استضــعفوا اللذين استكبر وابل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعــل لــه أنداداً. وأسروا الندامة لما رأوا العذاب. وجعلنا الأغلال فــى أعنــاق الــذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون"[1] إن الإسلام بنى ثوابته على أوامــر الله سبحانه. وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم. وجعل لعقل الإنســان العاقــل

---

(1) سورة سبأ 33 واقرأ الآيات من 31

اعتباراً عظيماً. لأن الدين يدعو إلى التفكير- والتفكير وظية العقل. والتفكير السليم المؤسس على المنطق السليم. والنتائج السليمة. لكن هناك من يفكر فى تدمير نفسه- ينتحر- يهرب من المسئولية- إنسان لا يسمع لصوت العقل. ولا يستشير غيره. ويتمرد على رسالات السماء. ويعاند الرسل. وأمامنا نموذج. إنه فرعون.

لقد كان عنده عقل- وقاده غروره- وحبه للزعامة. وأعجبه تصفيق الناس له. وتزينت له الدنيا. فأله نفسه. وبدأت الأزمات تظهر فى حياته. وفيه عقل- لكنه فكر به فى الشر- واستعباد الآخرين لذلك زعم أنه خير من موسى.. ثم زين له عقله الغبى- أن ينادى على وزيره ويأمره أن يبنى له صرحاً ليطلع إلى السماء. ليلتقى برب موسى. ليثبت للناس صحة زعمه- ثم إن المشركين الذين عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى- كان فيهم العقل. فما المطلوب إذا؟ لابد للعقل من بصيرة ليرتفع به فوق مستوى المدركات الحسية. حتى يصل إلى الحقيقة. والبصيرة منبعها- وغذاؤها من القلب الذى هو مستقر الإيمان لأنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل. إن الإنسان إذا لم يميز بين الخير والشر- ويعرف بعقله- ويفهم بقلبه- الحق من الباطل. أصبح فى دنيا الناس- كالحيوانات- بل هى أضل. يقول الله سبحانه "ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها. ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها. أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون"[1] إن الأسلحة الفتاكة المدمرة للإنسانية: هذه الأسلحة التى تفتك بالبشرية. هى نتاج العقل- وهل العاقل يقبل هذا؟ وهل هو راض عن المصانع الكيميائية التى دمرت البيئة الطبيعية. وقتلت الأسماك البحرية.

(2[) سورة الأعراف 179

وأتلفت أشجار النبات وأفسدت الجو ولوثت الهواء. كل هذا هو نتاج عقــول. لكنها فقدت الإيمان- كفرعون- تماماً- فالإيمان هــو صــمام الأمــن. وإذا تصرف الإنسان فى حياته على ضوء القرآن- وهدى سيدنا محمد صــلى الله عليه وسلم وعلى ثوابت الدين. عندئذ تسعد الدنيا بأســرها. لكــن الشــيطان موجود- وله مدارس وأتباع وأساتذة وطلاب- فإذا كانوا فى غيبــة رجــال الحق والإيمان أضلوا من ختم الله على سمعه. وجعل على بصيرة غشاوة فإن علينا أن نتحرك وننهض لأداء الرسالة- والقضاء علــى الأزمــات وحــل الصراعات- والدخول مع بعضنا فى حوار بناء هــادف. وأن نعمــل بدقــة وأمانة.

نعم- والإنفاق

إن ما قدمناه لحتاج إلى مال لننفق منه على الوسائل التى قدمناها، وحتى يكون الإنفاق على ما قلناه شافيا وكافيا- وحتى لا نخلق أزمة نتبع الآتى:

1) يتم تحصيل مبالغ من ريع الأوقاف. لأن هناك أوقافاً لنشــر الــدعوة الإسلامية. وتبليغها إلى الناس فى كافة الأرض بلغاتهم.

2) جزء من حصيلة زكاة المسلمين بما يعادل 10% مــن كــل فطــر إسلامى.

3) تبرعات أهل الخير.

4) حصيلة بيع المنتجات مــن المصــنفات المنتجــة- وعائــد الكتــب والمجلات.

إن الإسلام هو سر سعادة البشرية لكنها غافلة عنه. والمسئولية علينا فإذا كنا نبين كيف واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأزمات وحلها بأسلوب

يتسم بالهدوء وراحة البال. لنا أن نعود وبقوة إلى ديننا الذى يدعو إلى الأمن والسلام والعدالة الاجتماعية والمساواة.

الفـــــن

الدين لا يحارب الفن– لأنه وسيلة للنهوض بالمجتمع وخلــق مجتمــع متحضر يتسم بالمصداقية– ونحن نتكلم عن الفن الراقى المهذب الذى ينشــر الفضيلة ويسهم فى الرقى ويعالج المشاكل. وأن نبتعد عن الفن الهابط الــذى يعتمد على تحريك الغرائز– و إثارة الشهوات– لهذا نحن ندعوا إلى:

1) أن يتدين الفنان. وأن يتمسك بآداب دينه– وأخلاق مجتمعه..

2) أن يتفنن علماء المسلمين– وأن يســتخرجوا مــن كتــبهم وذخــائر المكتبات القصص الدينى– الاجتماعى– وأن يقدموا علمــاء المســلمين فــى أسلــوب قصصى رائع يقــدم– فى فيلــم– أو تمثيلية– أو سهرة تليفزيونية.

3) مخططون للبرامج كفاءات عالية.

4) كتاب سيناريو على أعلى مستوى.

إن نشر الإسلام يتطلب منا– أن نقدمه للعالم بالأسلوب الذى يجــذبهم– وبالطريقة المحببة إلى نفوسهم. ونحن لا نحنى رؤوسنا لأحــد ولا نحجــب الحقيقة. فتمثيلية واحدة– تنسف مئات المحاضرات وتمحو من ذاكرة الناس ما استمعوا إليه.

ما أشبه الليلة بالبارحة

لقد مَنّ الله على الإنسانية. إذ بعث على حين فترة من الرســل ســيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتماً لجميع الرسل والأنبياء. فلا نبى بعــده ولا

رسول. وختم بقرآنه وحى السماء. فليس هناك كتاب ينزل من السماء بعد القرآن. ولقد بعث الله رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كلها. وإلى العرب- قومه أولاً وكان العرب يومها. قبائل متفرقة. كل قبيلة تفكر في نفسها. وتشن الغارة على جيرانها. وأحوالهم المعيشية مضطربة. لذلك كانوا يقومون بالغارات على القوافل. لا يعرفون شيئاً عن الحياة الاجتماعية. والمبادئ السياسية. والعلاقات الدولية. يقطعون الأرحام- يشربون الخمر. يلعبون الميسر. يترددون على صاحبات الرايات. يئدون البنات. ومع ذلك كانوا يحترمون رأيها. وكان الرجل العربى يغار على زوجته. ويحافظ على شرفه. ويفخر بأمه. كانوا أصحاب غنم وإبل وتجارة. والعربى كريم بفطرته. جواد بطبعه. وفىّ لقبيلته. بار بأهله. والعربى يحب المال ويستثمر أمواله فى التجارة والربا. ولذلك قالوا كما قال القرآن عنهم "إنما البيع مثل الربا"[1] فرد الله عليهم بقوله "وأحل الله البيع وحرم الربا"[2] وقد بلغ من قسوتهم أن المرابى يأخذ زوجة المديون أو ابنته. ويجبرها على البغاء. لإيفاء ما على الأب أو الزوج من الدين. وما يضاف إليه من فوائد الربا الفاحش. هذه بعض المظاهر الاجتماعية. لذلك قلت الخيرات وظلم الفقراء. وكثر قطاع الطرق. وفى كل لحظة تحدث أزمة. ولذلك لما نزلت رسالة السماء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجاء الإسلام بنظام اجتماعى إنسانى كله رحمة حيث جعل القرض الحسن بلا فائدة- والزكاة والصدقة والإحسان. إلى غير ذلك من تغيير ما كان إلى ما هو أحسن. إن المجتمع الإنسانى كان على حافة هاوية. لأن كل شئ فى غير محله فالإنسان فقد كرامته فسجد احجر أو حيوان- أو شجر والإنسان انتكس حيث فسد

---

1)، (2) سورة البقرة 175

ذوقه. واضطرب عقله. لقد أصبح الذئب راعياً للإبل. والخصم الظالم قاضياً فجاء برسالة الإسلام سيدنا محمد صـــلى الله عليـــه وســـلم. فنشـــر الأمـــن الاجتماعى. وحقق السلام الدولى. وعاش الناس فى ظله إخـــوة متحـــابين- كيف؟

فى مجال التطبيق العملى

يتوقف حل الأزمات الإنسانية الإجتماعية- واختفاؤها- والقضاء عليهـــا على تحقيق العدل بين الناس جميعاً. ذلك لأن الدين أرسل الله به رسله لتحقيق الغاية منه. طهر المجتمع واهتم بنظافة الإنسان روحاً وجســـداً. والإرتقـــاء بمستواه العلمى والأدبى. وتمكينه من مكان الســـيادة علـــى الكـــون. بـــالعلم والثقافة. والعمل الجيد. والإبتكار فى الإنتاج. ويتوج كـــل ذلـــك. بالتعـــاون والتآلف وتبادل المنافع. وحب الخير للغير. والمساواة. والعـــدل. والرحمـــة والتسامح إن التاريخ أكبر شاهد. على أن مجتمع المسلمين الأول ساد فيه ذلك وأكثر لأن كل إنسان يسعد فى المجتمع الإنسانى يشعر بقيمته الذاتية عنـــدما تظهر على حقيقتها فى تجمع الجنس البشرى على اختلاف أجناسه. وعقائده. ففى خضم هذا المجتمع الزاخر بالملايين من البشر. وتشابك المصـــالح. لـــم يتخذ من اختلاف اللون أو اللغة. أو العقيدة. وسيلة للتنـــافر أو التنـــاكر. لأن الناس إخوة- فالخالق واحد. ونحن عبيده. والأب آدم. والأم حواء. والمرجع إلى الله فى النهاية.

إن كل إنسان عليه أن يأخذ العبرة من الكون الذى يعيش فيه. فالإنســـان يرى الكون فى دقة صنعته- وإحكام تدبيره. هذا الكون يحتوى على شـــمس. وقمر. ليل ونهار. كواكب وأجرام. الكل يعمل متعاوناً متسقاً مع الآخر. فـــى

تناغم وود لا يعتدى هذا على ذاك. كما نرى العمال يتعاونون مــع بعضــهم على بناء منزل وتشييده. هذا فى البناء. هذا فى المحارة. هذا فى الكهربــاء. هذا فى أعمال المياه. كل له عمل. الكل يتعاون على التشييد ليظهر العمل فى صورة رائعة. وقد لفت القرآن نظرنا إلى ذلك فى قول الله سبحانه "لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر. ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون"[1] إن الإسلام لا يتخذ من اختلاف أجناس الناس سبيلا للتنافر. وإنما يتخذ منه سبيلاً للتعاون. والتعارف. ويجعل الناس جميعاً وحدة عامة تظللها. حرية الفكــر. وامن النفس. وعدالة التوزيع. وأمانة التعامل. والوفاء بالحق. وصدق الأداء. والحب والتعامل مع الرحمة. حتى مع الحيوان. والجماد.

وبهذه المبادئ العظيمة استطاع الإسلام- على يد نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذى نزل عليه الوحى فى مكة المكرمة- استطاع أن يجمــع أتباعه من شتات أمه- فرقها قبله- الظلم الاجتماعى الذى قاد القبائــل إلــى أودية سحيقة من المنازعات والمشاحنات- دستورها- أنصر أخاك ظالمــاً أو مظلوماً- وهو التعصب للقريب أو ابن القبيلة ولو كان ظالما. وشعارهم:

بغات ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطيما تخر له الجبابر ساجدينا

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

لقد استطاع بنى الإسلام أن يحول النفوس من نزعة قبليــة- تعصــب شديد- إلى تسامح- ولين- وأن تعود النفوس إلى فطرتها الإنسانية فتحولــت من فرقة جاهلية- إلى وحدة إسلامية- من سفك للدماء- إلى تحــريم القتــل والنفور من بشاعته. ومن تفاخر بالآباء- إلى تفــاخر بالأعمــال وتفاضــل.

---

1) سورة يس 40

وأصبح الشعار- أنصر أخاك ظالما- أو مظلوماً - فالظالم امنعه عن ظلمه- واجعله يكف يده عن الظلم حتى ولو كان أباك- أو أخاك- أو صديقك. لقد انطلق المد الإسلامى نقياً طهوراً- وأشرقت الأرض بنور ربها- وأمن الناس. وأنسوا بالحياة وتسمع الناس فى كل أنحاء العالم إلى صوت الدعوة ينساب فى ود وسماحة ينادى "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله- فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"[1] نأمل هذا المد الطبيعى الذى جعل من معجزات الإسلام. أن تخضع الفرس أمام صولة العرب وهم يحملون أمانة السماء- وأن تدين الروم لهم- إن العرب غرسوا فى حقل الإنسانية معانى المودة- والرحمة - والحب- والوفاء- واحترام الإنسان لشخصه. ثم إن العرب طهروا تربة البشرية. من الظلم. والمحسوبية. والرشوة. والفساد.

ولذلك وصل صوت الداعى مسالماً- هادياً- يدعو باسم الله. إلى كلمة الحب. والتسامح. فماذا كانت النتيجة؟- مقابل أعداء الإسلام هذه السماحة واليد الطاهرة الممتدة بالخير للجميع بتعكير الصفو. وتشويه الحقيقة. حتى إن كسرى أمر عامله على اليمن- وهو "بازان" أن يرسل ببعض الشخصيات لتعمل على تصفية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جسدياً. وحمل رأسه إليه- فاختار "بازان" شخصيات لها كيانها الإجرامى وحيلها- ولها من قوة جسدها ما يؤهلها لهذه المهمة: وذهب هؤلاء إلى المدينة وبدءوا يرصدون حركات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويتعرفون على مداخله. ومخارجه. ويتعرفون على أماكن نومه. فرأوا عجبا. أخلاق عالية. مروءة.

---

1) سورة آل عمران 64

سماحة. حب. لا يفرق بين أحد فى المعاملة فانبهروا- فأسلموا. وبدل أن يرجعوا برأس سيد الخلق. رجعوا مسلمين يحملون قبساً من نور. أضاء. لـ "بازان" طريق الحق. فأسلم وتحول من عامل لكسرى يحرضه على سفك الدماء. ويسخره لخدمة الباطل. فأصبح جندياً فى كتيبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أمره. بالحفاظ على الأرواح- وعدم سفك الدماء. وصيانة الحق. وخدمة الضعفاء. فعلى من يزعم أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم استعمل السيف. والإرهاب. والعنف لإجبار الناس على الدخول فى الإسلام نقول لهم أى سيف هذا الذى نشر الإسلام وحقق العدل. ورفع منارة الحق. إننا فى زمن- عجزت فيه القنابل الذرية عن إخضاع اليابان. وعجزت الأساطيل والبوارج. والطيران. والمدافع. والألغام عن استجابة الناس لمطالب الإرهابيين.. على المتحدث عن لغة السيف أن ينظر إلى. أندونيسيا. والهند. والصين وسواحل القارة الأفريقية. وما يليها من الصحراء الواسعة. فإن عدد المسلمين بها كثير جداً أكثر من خمسمائة مليون مسلم. كيف دخل الإسلام هذه البلاد؟ لقد دخلها عن طريق التجار. وما تحلوا به التجار من خلق. وأمانة. واحترام للجميع. ولقد رأى أهل هذه البلاد هؤلاء التجار وأخلاقهم. لم يروا مثل ذلك من قبل فدخلوا الإسلام. واحترموا هذه المبادئ خاصة أنه ألف بينهم وجمعهم على كلمة الحب والمساواة.

إن الحقيقة التى سجلها التاريخ. ووعاها الزمن- إن الأزمات اختفت من دنيا المسلمين- السبب- أن الإسلام مد ظلاله على كثير من الأوطان المتنافرة فوحد صفها- وأمن خائفها. واندمج المسلمون مع أهل هذه البلاد. فى مودة. وتسامح ومروءة. وتعاون- بلا حدود- وعاش الناس فى البلاد المفتوحة. وهم آمنون على أموالهم. ومساكنهم. ودور عبادتهم. بل وعملوا فى الدولة

الإسلامية وتولوا مناصب وزارية- وكان بعضهم أميناً على خاتم الدولة. إن الإسلام قد طبق فى عصور مختلفة. والذين حملوه بلغ من سماحتهم وتقديرهم لحرية الآخرين. أن تزوج المسلم من المسيحية- أو اليهودية- وهذه الزوجة وهى فى كنف المسلم تؤدى شعائر دينها بحرية. وتذهب إلـــى الكنيســـة- أو المعبد اليهودى- المسلم "حماته" مسيحية أو يهودية- خال أولاده- كذلك. فهل هناك سماحة أجسن من هذا يقول "غويته" " لقد ثبت أن الفاتحين من العـــرب كانوا على غاية من فضيلة المسامحة لم تكن تتوقع من أناس يحملـــون دينـــاً جديداً. وما فكر العربى قط فى أشد أدوار تحمسه لدينـــه الجديـــد أن يطفـــئ بالدماء ديناً منافساً"[1]. إن السلام الاجتماعى ينبع من ضمير الإنسان ويتأتى هذا من معرفته "لدينه" ويكون ذلك من معرفته لنفسه وطهر قلبه. واعتداله فى سلوكه العام. وتعففه عما فى أيدى الناس. إن الإسلام يقيم فى نفس المـــؤمن رقابة – منه- عليه. رقابة صادقة. إن الإسلام يتمسك به المؤمن ويلتزم عن قناعة وصدق ويقين- إن تربية الإنسان منذ طفولته المبكرة هـــى الضـــمان القوى لانتصار الفضائل والقيم الأخلاقية النبيلة. ومنهج هذه التربية- القرآن الكريم- والسنة النبوية المطهرة ومناهج أهل العلم- والفقه- والعلماء المشهود لهم بالصلاح.

إن المناهج البشرية عجزت عن تحقيق كرامة الإنسان- والنهوض به- وتحقيق إنسانيته إننا لو رجعنا إلى أصول ديننا ومنهاج ربنا. وهـــدى نبينـــا لسعدت البشرية كلها في ظل منهج سعدت به البشرية كلها ويسعدها اليوم إذا هى استمعت إليه بإنصات لأن شعاره حى على الصلاة. حى علـــى الفـــلاح. تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.

---

[1]) الإسلام والحضارة العربية- محمد كرد على

وجدير بالذكر أن نستمع لصوت عاقل- منهم- وهو "بشود الراهـب" إذ يقول "إن القرآن الذى أمر بالجهاد متسامح جداً نحو أتباع الأديان الأخرى وقد أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب. وحرم محمد قتل الرهبـان لعكوفهم على العبادة. ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فـتح القدس بينما ذبح الصليبيون المسلمين. عندما فتحوا بلاد المسلمين. وحرقـوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها"[1].. وقال أيضاً "ومن المؤسف أن لا تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين- التسامح الذى هو آية الإحسان بين الأمـم لاحترام عقائد الآخرين- وعدم فرض أى معتقد عليهم بالقوة"[2].

وتقول- مستشرقة ألمانية- عاشت النصرانية فى ظل الحكم الإسـلامى سنين طويلة- فى الأندلس. وصقلية- والبلقان فى أمن وسـلام ورأت كيـف يعيش غير المسلمين وهم يمارسون أعمالهم ولهم حقـوقهم مـن الكرامـة. والحرية- ويوم أن انتصرت النصرانية على الإسـلام فـى الأنـدلس سـنة 1492م- لم يعن ذلك سوى طرد المسلمين. واليهود واضطهاد هم وإكراههم على التنصر. واستئناف نشاط محاكم التفتيش التى قتمت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية ديناً- والحرق العلنى فى احتفالات رسمية تحفها الطقـوس والشعائر الكنسية- لكل من اعتنق الإسلام أو اليهودية"[3] ونورد هما شهادة- لها أهميتها- إنها شهادة "توماس أرنولد" فقد قال فى كتابه "الدعوة إلى الإسلام ص98. فقد قال "لم نسمع عن آية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غيـر المسلمين على قبول الإسلام- أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحى- ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلـك

1)، (2) جوستاف لوبون- كتابه- حضارة العرب هامش واحد ص128
(3) زيجريد هونكة. كتابه "الله ليس كذلك" ص45

السهولة التى أقصى بها "فرديناند- وإيزابلا" دين الإسلام من أسبانيا. أو التى جعل بها "لويس الرابع عشر أن المذهب البروتستانتى مذهباً يعاقب عليه متبعوه فى فرنسا. وبتلك السهولة التى ظل بها اليهود مبعدين عن انجلترا مدة "ثلاثمائة وخمسون عاماً، وأما بقاء الكنائس- فى بلاد المسلمين- إلى الآن- فهذا أمر يحمل فى طياته الدليل القوى على ما أقدمت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح وتعايش المسلمين برفق وحب مع الآخرين. هذه حقائق لا ينكرها عاقل. وهذه شهادات من غير المسلمين لكنهم أنصفوا الحقيقة- واحترموا أنفسهم. واحترموا عقلية البشر يقول "جوستاف لوبون" لقد رأينا من آي القرآن- أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية- وأنه لم يقل بمثلها مؤسسوا الأديان التى ظهرت قبله- كاليهودية- والنصرانية على الخصوص- ولقد سار خلفاؤه على سنته... ويقول "روبرتسون" فى كتابه "تاريخ شار لكن" إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم- وروح التسامح نحو أتباع الأنبياء. وإنهم مع امتشاقهم الحاسم نشراً لدينهم- تركوا من لم يرغب فيه أحرارا فى التمسك بتعاليم دينهم" ويقول بطريرك القدس "تيود ومسيوس" فى أوائل القرآن الحادى عشر. فى خطاب له- إلى الأسقف "أجناتيوس" في بيزطة- يقول فيه- إن العرب هنا هم رؤساؤنا والحكام علينا- وهم لا يحاربون النصرانية- بل على العكس من ذلك يحمونها ويذودون عنها ويوقرون قساوستنا ورُهباننا ويجلون قدسينا"[1] إن التاريخ يشهد بما اتسم به الدين الإسلامى من سماحة. وبما أضفى على غير من هم على غير دينهم حرية تامة فى ممارسة شعائرهم

---

[1]) زيجريدهوتكة- فى كتابها- الله ليس كذلك ص20

[2]) الحضارة العربية/ محمد كرد على

الدينية وعلاقاتهم الاجتماعية ولذلك يقول الأستاذ محمد كرد على "كان فـــى القدس لما استرجعها صلاح الدين سنة "583هــ" من الصليبيين مائـــة ألـــف صليبى منهم ستون ألف فارس. وراجل. علاوة على النساء والأطفال فـــأبقى صلاح الدين عليهم. وعاملهم برقة وعطف. ولقد غضب مـــن ذلـــك بعـــض الشخصيات التى لها مكانة فى الدولة لأن رأيهم أن يعاملوهم كما فعل آباؤهم مع المسلمين يوم أن دخلوا القدس. فرفض صلاح الدين. وقال لا نأخذ الولـــد بذنب أهله. ولا الحيوان بذنب صاحبه بل إن صلاح الـــدين- عامـــل نســـاء الإفرنج بلطف واحترام ليذهب الخوف عنهن- وأجاز لملكتين عظيمتـــين أن يخرجا بما معها من حلى وجواهر وأموال. وسمح لبطريرك كبير أن يخرج بأموال عظيمة وذخائر- كان الصليبيون أخذوها من المسلمين. وقال رجـــال الدولة لصلاح الدين إن هذا البطريرك ســـيتقوا بهـــذا المـــال علـــى حـــرب المسلمين. فقال ولو. لا أغدر به"(1).

إن الإنسانية اليوم إذا أرادت حل مشاكلها والقضـــاء علـــى أزماتهـــا- فنجاتها في الإسلام الذى حمله إلينا سيدنا محمد صـــلى الله عليـــه وســـلم إن الإنسانية لن تجد إلا الإسلام. حيث يجمعها في صعيد واحد على رحابة الود- وصدق الحديث. والأمانة فى التعامل. وكرم الوفـــاء. إن الإســـلام يعصـــم الإنسانية من فرقة قاتلة. ومن سفاهة العمل. والتنابز والبغضاء لقـــد حـــاول كثير من أعداء الإسلام بذل المال الكثير لإغراء بعض المســـلمين وشـــراء ذممهم. مستغلين حاجتهم. وما يعانونه من فاقة وشظف العيش لكنهم فشلوا- نعم قد يجندون لحسابهم. 1% أو ضعف ذلك لكنك تسأل كم أنفق على هؤلاء؟ لا شك أنهم أنفقوا الملايين وجندوا من رجال العلم وبعثوا بهم هنا وهناك ومع

أنهم كانوا يحملون قارورة لدواء تحت أعلام التبشير. ومعهم وسائل الإغراء وما حالفهم النجاح- والعكس رأينا الإسلام يحمله رجل وديع مسالم. فتكـــون أخلاقه وتعامله بأدب مع الغير واحترام الإنسان فيكون ذلك سبباً فى اعتنـــاق الآلاف للإسلام وتستجيب له النفوس مع حرارة وصدق. وقد يحملـــه تـــاجر أمين. أو سائح فيتكلم فيسأله الناس عن دينه فيعرض عليهم الإسلام. فيؤمنون ويحفظون بعض آى القرآن ويتلونه فى صلاة خاشعة. وإذا بهم بعد ذلك دعاة إلى الله بحب.

يقول- "سيرتوماس أرنولد" لقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشـــرقية أول الأمر. بفضل ما قام به فقيه مسلم- سيق أسيرا. وكان ذلك فى مستهل القرن الحادى عشر. وقد أسرته الدولة البيزنطية. وكان كل من رآه يصلى يحدثـــه عن الدين فاعتنق الإسلام المئات منهم وأصبحوا دعاة للإسلام. ثـــم يقـــول. قضت الحكومة البريطانية بنفى أحد مسلمى الهنود إلى جزائر "أندمان" نفيـــاً مؤبدا عام 1864م وهناك أسلم على يديه كثير

من المحكوم عليهم"[1]. ويتحدث "سعيد بن الحسن" وقد كان يهوديا يقـــيم فى الإسكندرية. وأسلم عام 1238هـــ. وسبب إسلامه. أنه كان مريضاً فرأى فى المنام من يأمره بدخول المسجد. وصادف أن كان يوم جمعة فانبهر بمـــا رأى وأعجب بما سمع من خطبة الجمعة وأسلم. وأصبح داعياً إلى الإسلام.

وسرقوا ذاكرة الأمة

أعداء الأإسلام لم يتوقفوا عند حد معين. من التشنيع علـــى الإســـلام وإلصاق التهم به. والافتراء على أتباعه والكذب بأسمهم. وهكذا وإنما خططوا

---

(1) الدعوة الإسلامية للسير توماس ترجمة الدكتور حسن ابراهيم. وعبد المجيد عامر

وبدقة. لسرقة "ذاكرة الأمة الإسلامية" والشواهد كثيرة. إننا نؤمن بأن سـلام الإنسانية. فى إسلامها.ونقول هذا وبصدق. ولسنا متحيزين نؤثر فئة على فئة لنجعل من المسلمين سادة الخلق. بغير حق. ولكننا نكرم الإنسانية كلها بالحق الذى ارتضاه الله- متمنين أن تتآخى الإنسانية على رعاية الحـق. وإحقـاق العدل ونشر المساواة ذاكرين قول الله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى. ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"[(1)] إننا نأمل أن يرتفع غشاء التعصب الأعمى من على عيون الناس جميعاً هذا الغشاء الذى يحـول دون المعرفـة الواعيـة. والسلوك الراشد. والعلاقة الإجتماعية المهذبة التى تسود دنيا الناس. حتى لا نرا أحد الناس يعمل على لنشر الفوضى بين البشرية لكى تعيش على منطق المادة البليدة. ويتفرج هذا الشخص على مصير الإنسانية عند حلول الكوارث عليها وانهيارها إلى أتعس مصير...

إننا لا نقف عند ليل الإنسانية. ومصيرها الراهن. ووضـعها الحـالى. وهى تعانى أشد المعاناة. من تمزق وحـدتها. وطمـس هويتهـا. وإهـدار حضارتها. وهدم مبانيها. وإصابة شبابها بعاهات. وتشـريد الملايـين مـن الأطفال. وترميل الملايين من النساء. وتشرد الملايين فى الصـحراء. بـلا مأوى ولا غذاء- ولا خيام. ولا مقر يأويهم إننا لن نذهب إلـى واد سـحيق. انحدر إليه الإنسان. وهو فيه أحط قدرا من الأنعام"إلا من رحم ربك" ويتساءل أصحاب العقول- أهذا هو الإنسان خليفة الله على الأرض؟ ينام على قصـف المدافع للمنازل فوق رأسه- ويستيقظ على أزيز الطـائرات وهـى ترمـى بالقنابل العنقودية. فتدمر الشباب- والأطفال. والشيوخ والنساء- لمـاذا؟ أى

---

(2) سورة المائدة 2

ذنب جنينا؟ وأى عمل أتينا به؟ وأى جرم ارتكبنا- ولا يسمع من يسأل إلا صدى صوته.

إن قضية الإنسان أوسع مدى- وأبعد أثرا من أن نتصور ما يحيط بالإنسان فبالأمس- فقد المسلمون- بلاد أسبانيا- الفردوس المفقود- وبعدها "كشمير" حتى قال القائل فيها:

يا يوم كشمير تحية مسلم مطلولة عبرى ترقرق بالدم

يا أخت أندلس وتراب مراكش لا يسلم الإسلام حتى تسلم

ثم فلسطين. وكفاها الله شر أصدقائها- أما أعداؤها فمعروفون. ثم العراق ثم السودان. ثم سوريا. ثم اليمن- ثم- ثم- ثم. السبب وراء ذلك حقد دفين- وعداء قديم- وشعور بالنقص- والعجب أن اليد الملوثة بالدماء. تحاول مسخ إنسان الشرق. لماذا؟ لأنه مؤمن برسالة الحق- مؤمن بإله واحد. ومؤمن بأن السلام معناه عدم الحرب. ومع ذلك- فإن معناه- قيام الحق- ونشر العدل. وتدعيم روابط الأخوة الإنسانية- وليس من العدل – التفرقة بين جنس وجنس. أولون ولون ليس من العدل أبداً أن تسرق جهود أمة. ويستولى على كل ما لديها- ويبتلع القوى الضعيف. وتصادر حريته. إن الإنسانية مكلومة تعانى من الخوف والفزع ما ينغص عليها معيشتها. ثم يزعم هؤلاء- الذين لوثوا أيديهم بدماء البشرية- إنهم يعيشون فى حضارة- أى حضارة- إن الحضارة التى لا تعتنى بالقيم الإخلاقية العالية ولا تقيم للعدل ميزاناً. ولا تزن بالقسطاس المستقيم. فهى تستخف بالإنسانية حتى من يعاونونها إن البعض يتساءل- أليس هذا التقدم فى الصناعات. والتكنولوجيا هى من أجل

الإنسان؟ نعم إذا كانت له. وليست لتدميره. نعم- هى له- إذا حكمتها أخلاق نبيلة وأحاطت بها القيم وسُخِّرت لصالح الإنسان. ولم يُسخِّر الإنسان لها.

ولا لوم - على الحضارة- ولا على المدنية- ولا على التقدم- فى حد ذاتها- ولا من حيث هى. وإنما اللوم- على الإنسان الذى حول نعم الله إلى نقم- وانقلب فى محراب الكون- الذى يوحى بالفضيلة والأدب مع الناس. وحب الخير لهم- وطهارة اليد عن سفك الدماء انقلب هذا الكائن إلى شيطان متمرد على كل الأعراف البيئية- والتقاليد الاجتماعية يتلذذ بألم الناس. ويتلهى بأوجاعهم. أهذه حضارة؟ إننا نحافظ على الحضارة المادية ونطلب صيانتها ونأمل أن تتمدد فى الكون كله بشرط. أن تكون فى خدمة الإنسان. إننا نرحب بها وندعو لها. ونكرم رجالاتها بقدر ما يبذلون فى خدمة الإنسانية. وراحة البشرية- وهدوء الحال- والإنصراف إلى العلم ومدرجاته- ونكفكف دموع الأمهات ونرفق بالضعفاء. ونمسح على يد كل مريض بحب وحنان: إن الأمن ما ضاع إلا يوم أن ذهبت أسبابه. من تعارف الإنسانية وتقاربها. ولكن للأسف اختفت الرحمة. وضاعت معالمها. وما فقد السلام إلا يوم أن تحطمت دعائمه من العدل والحق والإيثار وغاب الحب من بين الناس. وفى خضم ذلك سرقوا ذاكرة الأمة التى حطموها مع ما- حطموا من حضارتنا. ونحن حافظنا على حضارتهم- لأننا نؤمن- أن العلم هو ميراث الإنسانية. وأن الوعى الإنسانى- والتاريخ يجب أن يعلمه الجميع بلا تكلف- لقد حرقوا المجتمع العلمى. ورموا بالمكتبات فى الطرقات والشوارع. وذهب تعب الملايين من البشر الذين دونوا وسجلوا وكتبوا وشرحوا لقد حرقوا ومزقوا وبعثروا جهد السابقين حتى ذهب جهد العلماء وتعبهم أدراج الرياح فى لحظات بنار أتت على الأخضر واليابس ورمى ببعضها فى البحار

والأنهار لقد حاول أعداء الإسلام- أن يخلقوا أزمات. ويضعوها في طريــق المسلمين. لكن المسلمين. يحكم تعاليم دينهم. وهدى نبيهم فوتوا عليهم الفرصة لأن المسلمين يتعايشون مع الغير بحب ومحبة. وتسامح. ونذكر هنا أنه مــن الأسباب التى جعلت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا. ويتحول كثيــر مــن أصحاب الديانات إلى الإسلام ويحسنون استقباله. ما عرفوه مــن الممارســة الميدانية. والعلاقات الاجتماعية- من حلم وصبر وتسامح. والظن الحســن. والتآلف- إلى آخر القيم النبيلة. لذلك عند فتح بلاد الشام كتب الأهــالى مــن المسيحيين إلى المسلمين. يقولون..

يا معشر المسلمين أنت أحب إلينا من الروم. وإن كانوا على ديننا أنــتم أوفى لنا وأرحم بنا. فأنتم لا تظلمون. وأنتم أحسن ولاية علينا. ولكنهم غلبونا على أمرنا. واستولوا على منازلنا وأهل حمص الذين أغلقوا أبواب مــدينتهم دون جيش هرقل. وكتبوا إلى المسلمين. إن ولايتكم وعدلكم أحب إلينا مــن ظلم الإغريق لنا وتعنتهم وتعسفهم معنا- ونقرأ لابن حزم- وهو عالم مشهود له بالكفاءة العلمية. وقد اعترفت المجامع الفقهية بآرائه ويقول ابن حزم – كما جاء فى كتابه المحلى- فى باب الجهاد " إن حماية أهل الذمة – مــن غيــر المسلمين- إذا تعرضوا لحرب. وقصدهم الأعداء. فعلينا أن نموت فى الدفاع عنهم. وأى تفريط فى ذلك يكون إهمالا لحقوق أهل الذمة، وأعجب من ذلــك أن التتار هزموا المسلمين. وأسروا من أهل الذمة مع المسلمين كثيراً. ووافق التتار أن يسلموا أسرى المسلمين إلى العالم الفقيه ابن تيمية. فلما ذهب ابــن تيمية. وقد ردوا مكانته. فكوا أسرى المسلمين. فرفض ابن تيمية أن يتســلم أسرى المسلمين. ولما سألوه لماذا؟ قال لابد أن يكون أسرى غير المســلمين من أهل الذمة. مع المسلمين. وقال لقائد التتار. لابد من افتكاك جميع الأسرى

من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا. ولا نترك أسيراً لا من أهل الملـــة ولا من أهل الذمة، لقد كان الغرض تمزيق صف الأمة وشق وحدتها. ولكن. بالعلم والفقه. واللباقة يتم القضاء على الأزمات. وإغلاق الأبواب فى وجه من يحاول طرح الأزمة على ظهر الأرض لتعوق مسيرة السلام ثم نشر الأمـــن والأمان. ولكن خاب ظنهم لأن المؤمن المسلم "يحب للناس جميعاً ما يحـــب لنفسه.. لأنه ينظر بنور الله..

الإعلام ودوره فى حل الأزمات
فى السُنّة النبوية الشريفة

يقوم الإعلام بدور هام جداً فى تحويل إتجاهات الرأى العام والتأثير على الأشخاص وتفكيرهم، بل وفى استطاعته أن يلعب بأحاسيس الجماهير ويحرك مشاعرهم..

لهذا كان دور الإعلام عظيماً على مدار التاريخ فى الماضى والحاضر ولعلنا نذكر أن أول من اتصفوا بالإعلام أنبياء الله ورسله، لأنه قاموا بإبلاغ الناس عن ربهم بما يجب على الإنسان نحو خالقه وما علاقة المخلوق بخالقه، والذى يقرأ القرآن الكريم يجد أن الحق تبارك وتعالى بيّن فيه أن هذا القرآن أُنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ليقوم بإبلاغه إلى الناس وأن القرآن عندما نزل من علياء السماء نزل لمهمة خطيرة هى "لتنذر قوماً ما أُنذر آبائهم" وقوله سبحانه لسان رسوله العظيم "وأوحى إلىَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ" وقوله سبحانه "لتنذر أم القرى ومن حولها".

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن ربه وليس من حقه أن يفرض سلطانه على من يدعوهم، لأن الدعوة تقوم على: الرفق واللين- والحكمة- والموعظة الحسنة- عدم العنف مع المدعو.. ولهذا قال الله لحبيبه ومصطفاه: "وقل الحق من ربكم فمن ساء فليؤمن ومن شاء فليكفر" وقوله سبحانه "إن عليك إلا البلاغ " وقوله سبحانه "لست عليهم بمصيطر"لكل هذه الأدلة وغيرها كثير جداً، يتبين لنا أن الدعاة إلى الله رجال إعلام من الطراز

الفريد النبيل الذين يتسمون بالصدق، وعدم التهويل، وعدم التهوين، والفطانة، واللباقة، وهكذا..

فأى رجل إعلامى يحترم مهنته ويحترم عقلية القــارئ أو الســامع أو المشاهد ويحترم نفسه، لابد أن يكون صادقاً فى نقل الخبر، وأن يكون أميناً فى معلوماته، ويحاول دائماً ألا ينشر العيب، ولا الإساءة، وإنما يبــذل كــل جهده لعرض المشكلة بدقة وفطانة.. وأسلوب حل هذه المشكلة..

فلو أخذنا مثلاً: رجلٌ نزل قرية، فاستطعم أهلها.. فــأبوا أن يطعمــوه، فسرق منهم أى شئ ثمين، هنا يأتى دور رجل الإعلام، ويقدم لهذه القصــة.. بأن التكافل الأجنبى هو الوجه الحسن فى المجتمع الإسلامى وهو الذى يمنع المشاكل ويقضى على العداوات ويكون سببا فى تدعيم الأمن الاجتماعى، لأنه من المعلوم أن الفقر ما ذهب إلا بلد إلا وقال الكفر خذنى معك.. والبطــون الجائعة لا تعرف إلا لغة الخبز...

لذلك يُقدم رجل الإعلام تنبيهات هامة إلى الناس، منها أن نشر التكافــل الإجتماعى فى المجتمع يؤدى إلى أمن المجتمع واستقراره..

إذن، إن الإعلام فى صورته الحقيقية ما هو إلا تنوير للعقول وتثقيــف للأفكار وتنمية للقوة العقلية عند أى إنسان بشرط أن يكون الإعلام هادفاً إلى توضيح الرؤية فى المشكلة- أو- الجريمة- أو- القصة وكيف نعالج ذلــك. ويراعى الدقة- والحالة النفسية. وكيف تكون الوقاية من مثل هذه المشــكلة. ونثقف العقول ليكون النهوض بالبيئة..

إن نظرة واحدة إلى المجتمع الإسلامى، يرى مئات الآلاف من الجرائــد والمجلات ووسائل الإعلام المقــروءة والمحطــات التليفزيونيــة والإذاعــة المسموعة والمرئية، وكلهم يتكلمون مع بعضهم، بينما أعداؤهم يتهجمون على

الدين الإسلامى ويشوهون حقائقه ويسيئون إلى نبيه فكان المفروض تحت ظل رابطة العالم الإسلامى ومنظمة المؤتمر الإسلامى (الجامعة العربية أن يكون هناك تخطيط جيد، لتقسيم هذه الجرائد والمجــلات والإذاعــات والمحطــات التليفزيونية المسموعة والمرئية، إلى عدد يخاطب العالم الأوروبى، وكــذلك أعداد لمخاطبة أمريكا الشمالية والجنوبية، وأعداد تخاطب الأفارقة، وأن يكون هناك شرح لمبادئ الإسلام وتعريف العالم كله بالنبى صلى الله عليه وســلم، وكيف استطاع بما أوتى من حكمة أن يحول الأميين إلى عبــاقرة يقــودون المجتمعات بالحكمة المبتكرة.

إننا إذا نظرنا إلى أرض الواقع اليوم، نرى أن العقول المهــاجرة مــن المنطقة العربية هى التى بنت هذه الدول وأسهمت فى تقدمها، ووضعت لبنات الفكر المنظم فى هذه المناطق، وعندما يعودون إلى بلادهم لا ينتجون، لماذا؟!

لأن وسائل الإعلام تتجاهلهم، وتأتى بعقليات تافهة ليس لديها من العلــم شئ، وينشرون أفكارهم على الملأ، بينما هؤلاء العمالقة جلوس فى بيــوتهم، إن قالوا لا يسمع لكلامهم إلا القليل..

لذلك توالت الأزمات على الشــرق العربــى والإســلامى، وأصــبحت الأزمات تتوالى بين عشية وضحاها، وكلما خرجنا من أزمة وقعنا فى أزمــة أصعب منها، كيف ذلك؟! لأن التعاون مفقود بين وســائل الإعــلام، فهــذه الجريدة تضخم الجريمة ولا تنشر الحل، وأخرى تهون، وثالثة صامتة لــيس لها رأى، وكأنها تعيش بمعزل عن الحياة الاجتماعية، وعندما تتم مناقشة لحل أزمة مثلاً،، تجد أن خمسة من البشر يتحدثون فى وقت واحد، فالمشــاهد لا يسمع الرأى الصواب، والقارئ للجريدة أو المجلة تخــتلط عليــه الأفكــار..

والسبب: أننا فقدنا أسلوب أدب الحوار، وهذا من المشاكل التى يعانى منها المجتمع العربى والإسلامى.

إننا ونحن نتكلم عن أسلوب النبى عليه الصلاة والسلام عن حل الأزمات علينا أن نعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يتسم بالسماحة.. وقبول الآخر، والحوار مع أى شخص، مع مراعاة أسلوب أدب الحوار بكل دقة وبُعد عن التوافه والتشنج، وعدم التشويش على آراء الآخرين، وإذا كنا قد أتينا بنماذج معينة من أسلوبه العملى صلى الله عليه وسلم فى حل الأزمات، فهناك الكثير والكثير من حياته، كغزوة أحد، وغزوة الخندق، وفتح مكة، ويوم حنين، إلى غير ذلك من المواقع الكبرى فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، وتركنا ذلك لفطنة القارئ الذى يدرك تماماً أن النبى عليه الصلاة والسلام هو أكبر زعيم عرفته الإنسانية فى حل المشاكل وهو أعظم العظماء فى تربية أصحابع. وتدريبهم على الأعمال كما قرر ذلك كثير من منصفى كتاب التاريخ.

ونحن كما يقول القائل:

قضيتنا عادلة وحلها سهل وبسيط، لكن المدافع عنها خائب وقليل الحيلة والتفكير، وضعيف العقل. والسبب: أنه لم يقرأ تاريخ أمته العظيمة، وعاش على هامش الحياة، ولم يعرف المجد الذى صنعه الآباء والأجداد، وتركوه ميراثاً للأبناء والأطفال، فضيعناه واستبدلنا به نماذج من أفلام السينما الهابطة والمسلسلات المنحرفة والخبر المزيف، والتخاريف العملية والإعلامية التى لم تستند إلى أصل علمى، وتطاول على الدين من أبنائه الذين لم يدرسوا ولم يتفقهوا ولم يجلسوا إلى معلم، وإنما قرءوا فى بعض الصحف أو الكتب المشبوهة وعاشوا على أفكار صدرها إلينا أعداء الدين وأعداء الإنسانية، وابتكروا لنا أساليب لا تليق بأى إنسان عنده كرامة.

لذلك ترى فى الشرق يقتل الأخ أخاه، بل الوالد ولده، والأم تذبح أبناءها، وكل ذلك ناتج عن أمية دينية وجهالة بقضية الحياة، وعدم تذوق الجمال الذى بثه الله أمام أعيننا فى الجو.

ومع ذلك فقدان الأمل ونضوب معين الحياة..

يا حسرة على العباد، ماذا أصابهم حتى وصلت حياتهم إلى ما وصلت إليه.. السبب وسائل الإعلام التى كانت وراء هذا الإنهيار الأخلاقى والعلمى، وفى نفس الوقت التكاسل عن أداء العمل والعيش من فتات الآخرين.

إن المسلم هو دائرة الخير فى المجتمع، إذا عرف دوره بدقة، وأدى ما عليه بأمانة، وارتبط بمجتمعه وأحَبَّ أهله ووطنه، ودافع بكل قوة عن الأخلاق لتبقى عالية حية أصيلة فى نفوس أبناء الوطن.

والمسلمون اليوم ابتعدوا عن القرآن، ولو أنصفوا لعلموا أنه مصدر قوتهم وسبب سعادتهم، لكنهم تركوه، فحق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم "ستكون فتن كقطع الليل المظلم؟! قالوا وما المخرج منها يا رسول الله" قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين وهو الصراط المستقيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدىّ إلى صراط مستقيم" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعــد

فإننا نتوجه إلى قـــادة العربيـــة. والإســـلامية. والعلمـــاء والمفكـــرين. والمثقفين. وكل الناس. تعالوا بنا نتفق على أنه لابد أن نتعاون على:

1) العمل بكل جهد. وبذل الطاقات على– ترشـــيد العقـــل الإســـلامى. وإيقاظه. وتثقيفه. وتهذيبه.

2) العمل بجد على محو الأمية الدينية. مع صحوة مرشدة. ويقظة إيمانية على التعرف على حقائق الدين ومبادئه– لأنه دين وسط. واعتدال وأنه لا يقر العنف. ولا يقبل الإرهاب. ويجرم القتل وقطع الطرق. وتـــدمير المنشـــآت. وغير ذلك من كل عمل فيه إفساد فى الأرض أو ضرر بالعبـــاد– لأنـــه لا ضرر ولا ضرار. والدين المعاملة ولكى يتحقق ذلك فعلى– كل أسرة أن تهتم بأولادها. وعلى المؤسسات التعليمية أن تهتم بالمنـــاهج وإعـــداد المـــدارس. وتهيئة المكان المناسب لتلقى العلم.

3) بذل الجهد. والتخطيط بدقة لمحو الأمية الأبجدية. لأنه مـــن الشـــئ المخزى أن نكون من أمة الإسلام– أمة إقرأ. ولا نعرف القراءة ولا الكتابـــة وأن نخطط بدقة لإدارة المشاكل والأزمات والتحكم فيها طبعـــاً لمـــا أمرنـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

4) التوجيه إلى كتابة السيرة النبوية بأسلوب معاصر مع التحليـــل لكـــل موقف وربطه بالأحداث المعاصرة– وشرح بعض الكلمـــات العربيـــة التـــى يصعب حلها. والتعرف عليها.

5) توجيه منظمة العالم الإسلامى على القيام بعمل نموذج لأطلس عن البلاد الإسلامية وشبكة المواصلات. والإتصال بينها- وبيان المناخ- والتعرض للمنتجات. وأهم الأحداث فى هذه البلاد. ويتم ذلك العمل مع جامعة الدول العربية مع إنشاء شبكة تليفزيونية. تقدم نماذج عن الدول الإسلامية والعربية. وتقدم المادة بلغات متعددة.

6) ولكى ننجح فلابد لنا من عمل ثورة على الأخلاق الفاسدة وبيان الأخلاق النبيلة. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ويقول الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإنهموا ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

إننا لن نقف عند ليل مظلم. ولكننا نتطلع إلى فجر مشرق ونهار مشرق. وعندنا أمل عظيم فى الله سبحانه أن يوفقنا للعمل الجاد المثمر البناء.وأن يكون سندا لنا وموفقاً. وأن يجمع شمل الأمة الإسلامية. وأن يوحد صفها ويجمع كلمة المسلمين على كل خير يكون من ورائه نهضة الأمة- وتجنيبها الأزمات وأن يرفع قدرها. ويعلى شأنها.

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد نبى الرحمة. ورسول الرشاد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبالله التوفيق

منصور الرفاعى محمد عبيد

أهم مراجع الدراسة

–القرآن الكريم

– كتب الحديث :صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند الإمام أحمد ،مستدرك الحاكم ، سنن ابن ماجه، سنن الترمذي، ابن اسحاق، السنن الكبري للبيهقي، أوسط الطبراني، الحافظ بن عساكر، حلية ابن نعيم، البزار ، مراسيل أبو داود ،النسائي ، ابن حيان ، الألباني في الصحيح ، فتح الباري لابن حجر ، رياض الصالحين للنووي،

– السيرة النبوية لابن هشام ج1،ج2،ج3

– الترغيب والترهيب للأصبهاني،ج3

– الروض الأنف للسهيلي ج1،ج4

– محمد صلي الله علية وسلم للشيخ محمد الصادق عرجون ج1في 27 من رمضان سنة 1391 سلسلة البحوث الإسلامية

مجمع البحوث الاسلامية

–متاع الاسماء المقريزي ج1

–فقة السيرة النبوية / د/ محمد سعيد البوطي

–العقد الفريد لابن عبد ربة ج3

–أسد الغابة للعلامة عز الدين أبي الحسن

–الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج2

–كتاب احياء علوم الدين ج2

–الطبقات الكبري لابن سعد ،ج1،ج2

–تفسير ابن كثير ج2

–السيرة الحلبية

-زاد الميعاد ج1
-غالية المواعظ للألوسي ج1
-كتر العمال ج6
-صلاح الدين خليل. طبع المعهد الالماني
-ابن القيم- هدايا الحياري
-دكتور / فاروق حمادة – العلاقات الإسلامية النصرانية
-لسان العرب
-أسباب الترول للسيوطي
-الاسلام والحضارة العربية- محمد كرد علي
-جوستاف لوبون –كتابة حضارة العرب
-زيجريد هونكة ، " الله ليس كذلك "
-الحضارة العربية ،محمد كرد علي
-الدعوة الإسلامية للسير توماس ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وعبد المجيد عامر

السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ /
منصور الرفاعى محمد عبيد

- ولد فى محلة زياد/ مركز سمنود/ محافظة الغربية عام 1932.
- درس بالأزهر وتخرج من كلية أصول الدين – جامعة الأزهر.
- عمل بوزارة الأوقاف وشغل العديد من المناصب وآخرها مدير عام المساجد ووكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن.
- له إسهامات متعددة فى النشاط الاجتماعى من خلال الجمعيات الخيرية خاصة فى جمعية منع المسكرات ومكافحة المخدرات وجمعية الوقاية من الجريمة. رئيس مؤسسة أولاد عبيد الاجتماعية.
- متحدث بالإذاعة والتليفزيون وله مقالات بالمجلات والجرائد علاوة على التعليقات على الأحداث الوقتية والفتاوى.
- مشارك فى كثيرمن المؤتمرات العلمية فى داخل البلاد وخارجها.
- قدم الكثير من المواد العلمية التى قدمت فى عمل بالإذاعة والتليفزيون.
- قام بإعداد المادة العلمية لمسابقات الشباب ورافقهم فى رحلات العمرة والمصايف والرحلات الخلوية من خلال وزارة الشباب ومشارك فى قوافل التوعية بالمحافظات لفترة تزيد عن عشرين سنة.
- عضو لجنة التربية والإعداد القومى بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة من عام 1980.
- عضو لجنة تنمية المجتمع شعبة الشباب والرياضة بمجلس أمناء إتحاد الإذاعة والتليفزيون من عام 1982.

- مشارك فى كثير من الأعمال الشعبية ولجان المصـــالحات وكفالـــة الأيتام ورعاية طلاب العلم.
- سافر إلى كثير من دول العالم لحضور المؤتمرات العلمية والمشاركة بالأبحاث فى الداخل والخارج.
- عضو لجنة القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس.
- عضو بالمجالس القومية المتخصصة شعبتى الرعايـــة الاجتماعيـــة والشباب والرياضة.
- عضو اتحاد الكتاب.
- عضو مجلس الشعب فى دورات سابقة.
- عضو لجنة القيم الأخلاقية بأكاديمية طيبة المتكاملة.
- ورد إسمه فى الموسوعة القومية للشخصيات البارزة والتى صـــدرت عن هيئة الاستعلامات عام 1989، 1992.
- على مدار أكثر من سنتين أعد خطبة الجمعة كمادة علميـــة لمجلـــة رسالة الأزهر ومجلة الإسلام خمس سنوات.
- حاصل على الكثير من الدروع والميداليات وشـــهادت التقـــدير مـــن هيئات وجامعات ووزارات والميدالية الذهبية فى الـــدعوة الإســـلامية مـــن مؤسسة آل العزائم وميدالية فضية من وزارة القوى العاملة، وميداليـــة مـــن جامعة الدول العربية لنشاطه الاجتماعي في الوقاية مـــن الجريمـــة وعـــلاج مدمني المخدرات.
- حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
- له أكثر من ثمانين مؤلفاً.

قائمة بمؤلفات الشيخ/
منصور الرفاعى محمد عبيد

1) بشائر بين يدى الرسالة المحمدية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- 1976م.

2) الإسلام وصحة الإنسان، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- 1981م.

3) الإسلام ورعايته للطفولة، القاهرة، دار الشعب – 1981م.

4) القصص الهدف، القاهرة، دار الفكر العربى – 1978م.

5) القصة فى القرآن الكريم أهدافها ووسائلها، القاهرة، دار الفكر العربى – 1980م.

6) طريق الوصول والأرجى للقبول، القاهرة، دار الشعب 1975م.

7) تربية الأبناء فى ضوء السنة النبوية الشريفة، القاهرة، هيئة الكتاب – 1983م ط1 دار الجيل، ط2.

8) الإسلام وموقفه من التطرف والعنف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1985 – 2006 – ط2 – مكتبة الأسرة.

9) المنبر وأثره فى اتجاهات الرأى العام- 1985 دار الجيل بيروت – ط1- الدار الثقافية ط2 – 2001م.

10) دعاء العارفين، 1986م – دار الجيل بيروت.

11) خير يوم، مكتبة الطاهرة – المحلة الكبرى – 1987م.

12) العمل، المحلة الكبرى – مكتبة الطاهرة – 1984م.

13) يا بنى اعرف دينك 3 أجزاء، 1981م، دار الفكر العربى – القاهرة.

14) العبادات – القاهرة – دار الفكر العربى – 1980م.
15) الزكاة وأثرها فى التكافل الاجتماعى، القاهرة – دار الفكـــر العربـــى – 1980م.
16) يا بنى أقم الصلاة، القاهرة – دار الفكر العربى – 1980م.
17) المرأة ماضيها وحاضرها، القاهرة – الدار المصرية اللبنانية – 1987م.
18) المرأة فى ظل الإسلام، القاهرة – الدار المصرية اللبنانية – 1978م.
19) أمهات المؤمنين ونساء أخريات، 3 طبعات، دار الشـــعب 1980م – دار الفكر العربى 1982 – الدار المصرية اللبنانية – 1989م.
20) العنوسة وأثرها الاجتماعى، القاهرة – دار الفكر العربى – 1998م.
21) القرآن وكيف نتلوه – القاهرة – الشراكة العربيـــة للنشـــر والتوزيـــع – 2000م.
22) التكافل الاجتماعى فى الإسلام – القاهرة – الدار المصـــرية اللبنانيـــة – 1988م.
23) الدعاة والتنمية الاجتماعية – القـــاهرة – الـــدار المصـــرية اللبنانيـــة – 1989م.
24) نظام الحكم فى الإسلام – القاهرة – الدار الثقافية للنشر – 2001م.
25) الشباب ودوره الاجتماعى – القاهرة – الدار الثقافيـــة للنشـــر – 2001م (3 أجزاء).
26) الإنسان وعلاقته بالملائكة والجان – القاهرة – مركز الكتاب للنشـــر – 2003م.
27) الحوار آدابه وأهدافه – القاهرة – مركز الكتاب للنشر – 2003م.
28) مدرسة الصوم – القاهرة – مركز الكتاب للنشر – 2004م.

29)خالد بن الوليد رائد الشباب – القاهرة – مركز الكتاب للنشر – 2004م.
30)القرآن واليهود – القاهرة – مركز الكتاب للنشر – 2005م.
31)العمل الاجتماعى تطوع وعطاء – القاهرة – مركز الكتاب للنشر – 2006م.
32)الشباب والحوار – القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات – 2006م.
33)التطوع والعطاء – القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات – 2006م.
34)الإسراء والمعراج فى ضوء العلم الحديث – القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – 1976م.
35)أنوار وأزهار – القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – 1976م.
36)الزكاة والصيام – القاهرة – الدار الثقافية للنشر – 2001م.
37)الحج وكيف نؤديه– القاهرة – الدار الثقافية للنشر – 2001م.
38)سلسلة بستان الخيرات – 5 كتب – القاهرة – الدار الثقافية للنشر – 2001م.
39)قصص الأنبياء – 20 كتاب – القاهرة – دار الفكر العربى – 1992م.
40)سلسلة الأسرة السعيدة – القاهرة – الدار الثقافية للنشر – 1998م(3 كتب).
41)سلسلة السيرة العطرة – القاهرة– الدار المصرية اللبنانية – 2007م (16 كتاب).
42)القرية السعيدة – القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات – 2006م.
43)سؤال وجواب – القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات (أصول قضايا الشباب 3 كتب – 2006).

44) الحوار تواصل وعطاء – القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات – 2006م.
45) المرأة ودورها فى الهجرة – القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – 1980م.
46) عمل فيلم عن الصلاة (كتابة سيناريو عن الطهارة والصلاة) لحساب باكستان – دار الهلال 1978م.
47) مسلسل عن الزكاة لدولة البحرين عام 1982م ووافق عليه الأزهر الشريف.
48) قصص الصحابة فى إذاعة القاهرة حيث تم إخراجها فى 30 حلقة فى شهر رمضان 2002م.
49) كتاب السيدة زينب ودورها الاجتماعى – القاهرة – دار الهلال – 1976م.
50) الإسلام دعوة عالمية – دار الكتاب الصوفى – 1991م.
51) حقوق الأبناء على الآباء – دار الجيل بيروت – 1993م.
52) الإسلام وقضايا الشباب – الدار المصرية اللبنانية – 2001م.
53) غزوة الأحزاب – تحليل لمواقف – الدار الثقافية للنشر – 2000م.
54) المسجد ومكانته الاجتماعية – الدار المصرية اللبنانية – 1987م.
55) أزاهير المجالس الأدبية، القاهرة، مركز الكتاب للنشر 2010.
56) "حقوق الإنسان– العامة في الإسلام، مركز الإسكندرية للكتاب، 2008م.
57) حقوق الإنسان العامة في الإسلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2010م.
58) أخلاقيات الشباب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.

59) السيرة النبوية للأطفال والناشئة، القاهرة، مكتبة الدار العربية، 2012م.

60) التكفير والعنف والإرهاب، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2013م.

61) تبسمك في وجه أخيك صدقة، القاهرة، دار العالم العربي، 2012م.

62) نسائم الإحسان من سيرة خير الأنام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2013م.

63)للشباب أقول، مركز الكتاب الحديث، القاهرة 2015.

64)عذاب القبر ونعيمه، القاهرة، مركز الكتاب الحديث، 2015.

65)المرأة العربية وتفاعلها الاجتماعي، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.

66)اليهود في القرآن،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.

67)دعاء العارفين،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.

68)تربية الناشئة في ضوء السنة النبوية،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.

69)العمل في المنظور الإسلامي،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.

كما ساهم فضيلة الشيخ فى مئات الحلقات من البرامج الإذاعية والتليفزيونية أهمها الآتى:

- أمهات المؤمنين – إذاعة الشعب قبل إلغائها 1969 – 1970م.
- برنامج خير يوم إذاعة القرآن الكريم لمدة 4 سنوات.

- برنامج رجال ونساء خلدهم القرآن – بالتليفزيون – القناة الأولى – أكثر من ثلاثين حلقة.
- برنامج الحج وكيف تؤديه أكثر من 20 حلقة – القناة الثانية 1983م.
- مشارك فى برنامج حديث الروح – بالقناة الأولى – توقف الآن.
- مُعد ومُقدم – الحديث الدينى الاجتماعى للكبار بإذاعة الكبار من يوم إنشائها حتى الآن يومياً.
- خطبة الجمعة مئات المرات ومشارك مع بيوت الثقافة، والثقافة الجماهيرية بالندوات والمحاضرات.
- برنامج آيات بينات بالقناة السادسة.
- برنامج فى نور القرآن بالقناة الثانية.
- برنامج تفسير آيات القرآن وآيات التلاوة بالقناة الرابعة.
- إعداد المادة العلمية عن النساء المؤمنات ودورهن الاجتماعى ويذاع بالقناة الثانية الأحد من كل أسبوع، وفى رمضان كل يوم.
- أحلى صباح بالقناة الثالثة بالتليفزيون المصرى.

وغير ذلك من البرامج المتنوعة وكذلك المقالات فى الصحف والجرائد والتعليق على الأحداث فى الإذاعة والتليفزيون.

قائمة المحتويات